

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الأول - السنة السابعة
اكتوبر 1963 - جمادى الأولى 1383
ثمن العدد 1,50 درهم

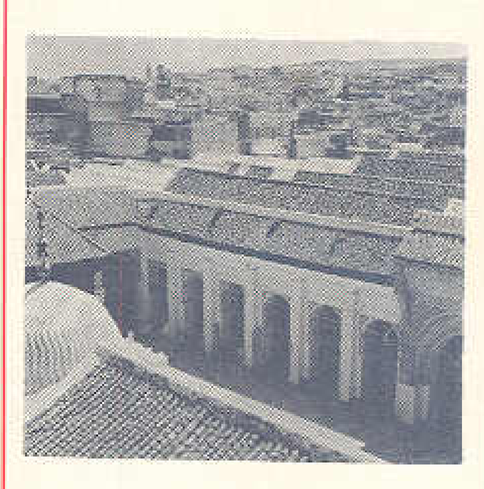
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الأول
السنة السابعة
أكتوبر 1963
جمادى الأولى 1383
ثمن العدد 1,50 درهم

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر جانبي لمدينة فاس
ويبدو واضحا منه جانب من
جامعة القرويين الشهيرة

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف
الرباط - المغرب ، الهاتف 10 - 308

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 - 485 - الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 10-308 - 03-327 - الرباط

واجب الشباب المسلم

للأستاذ : أبو الأعلى المودودي

اخواني الكرام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني في هذه اللحظة المباركة التعبير عن عظيم شكري وغبطتي بهذه الفرصة السعيدة التي اتيحت لي اليوم لان القي كلمتي المتواضعة امام مجموعة طيبة من الشباب المومن المخلص ، الذين جاءوا الى هذا البلد الامين من كل فج عميق ليذكروا اسم الله في ايام معلومات وليشهدوا منافع لهم ، وبتعبير اشمل لحضور اجتماع المؤتمر الاسلامي السنوي الكبير . والهدف من كلمتي هذه هو احاطة الشباب المومن علما بمنهاج الدعوة الاسلامية ، الذي تقتضيه الظروف الحاضرة في العالم الاسلامي . وسانتهز هذه الفرصة الثمينة لاخراج كل ما يضمره قلبي ويخفيه صدري امامكم ، لتكونوا بعد ذلك على بصيرة تامة ومعرفة دقيقة بالوضع الراهن في البلاد الاسلامية ، ثم تبادروا الى اللجوء الى كل وسيلة تصلح – الى حد علمي – لاعادة المياه الى مجاريها ، بكل حكمة وتبصر وجراة وصمود. واذا وجدتم ، ايها الاخوان الكرام في كلمتي هذه ما ترون فيه نفعا للاسلام والمسلمين فاسمعوا وعوا وليبلغ الشاهد الغائب ، لعلي لا اجد في المستقبل مثل هذه الفرصة السعيدة في مثل هذه الايام المباركة في مثل هذا المقام الكريم . وادعو الله تعالى ان يوفقني واياكم لما فيه مرضاته وان يجعل كل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

ايها الاخوان الكرام ، ان الامر الذي يجب عليكم ان تعلموه قبل كل شيء ، هو : ان العالم الاسلامي ينقسم الى قسمين : قسم ، المسلمون فيه اقلية وازمة الحكم فيه بايدي غيرهم . وقسم ، المسلمون فيه اغلبية وهم الذين يقومون فيه بحكم انفسهم .

ومما لا جدال فيه ان القسم الثاني من هذين القسمين هو اكثر اهمية من القسم الاول بحكم الطبيعة، اذ ان مصير المسلمين في الدنيا يتوقف في ازدهاره او اضمحلاله الى حد كبير على ما يختاره القسم الثاني من المنهاج في حياته الاجتماعية . ولا انكر ما للقسم الاول من الاهمية والمكانة في حد ذاته ، بل اقيم له وزنه. وذلك لان مجرد وجود المومنين بفكرة وعقيدة ونظام للحياة في سائر انحاء العالم ، حيث يتجاوز عددهم آلافا مؤلفة ليكون اكبر وسيلة واقوى عامل لتشجيع الذين يومنون بتلك الفكرة والعقيدة والنظام للحياة فعلا ، ويرفعون لواءها . الا انه من الظاهر البين ان تلك العقيدة وتلك الفكرة وتلك الدعوة اذا صارت مغلوبة الشان ومهانة المكانة في عقر دارها فان المومنين بها المتفرقين في انحاء العالم لن تقلهم الارض ولن تظلهم السماء الى اجل غير مسمى والى امد غير قصير . ولذلك لا نكون خاطئين اذا قلنا : ان المصير الذي ستلقاه الامة الاسلامية انما هو نفس المصير الذي سيكتب البلاد الاسلامية التي تتسع رقعتها من اندونيسيا والملايو شرقا الى مراكش ونيجيريا غربا. هذا هو منطق الفكر وهذا هو ما تشير اليه الاسباب الظاهرة . اما ان كان هناك من الحوادث الخارقة للعادة ما يتوارى عن عيوننا وتريد الحكمة الالهية والقدرة الربانية الاتيان به فليس ذلك من المستبعد عقلا والمستحيل وقوعا ، اذ ان الله تعالى من شانه ان يفجر الانهار من الاحجار الصم ويبدل الصحاري القاحلة الجرداء حدائق جميلة غناءة في لمح البصر. وسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

فبناء على ما قرضنا آنفا بصدد مستقبل الامة الاسلامية ، وقلنا ان مستقبلها مرتبط في خيره او شره بمستقبل البلاد الاسلامية ، نستعرض الآن : ما

هي الاوضاع التي تسود اليوم البلاد الاسلامية وما هي اسبابها ودواعيها وما هو المنهاج الذي ينبغي ان يسلكه العاملون للاسلام فيها ؟

ان البلاد الاسلامية قد سقطت في براثن الاستعمار آخر الامر بعد ان بقيت مصابة الى مدة غير يسيرة بالتدهور الفكري والجمود العقلي والانهيار الخلقي والاضطراب السياسي . وكان الاستعمار قد القى عصاه في البلاد الاسلامية في القرن الثامن عشر للميلاد وبلغ اوجه في اوائل القرن الحاضر حيث قد ساد البلاد الاسلامية كلها الا النزر اليسير الذي بقي بمنجاة من الاستعباد المباشر للمستعمرين . الا ان الهزائم تلو الهزائم التي اصابته قد جعلته لا يختلف في ذلك وصغاره عما آل اليه امر من حوله من بلاد المسلمين ، بل صار اكثر شعورا بالنقص واشد ذعرا من الذي سلبه الاستعمار حريته سلبا تاما .

وان من افظع النتائج التي انتهينا اليها من جراء الاستعمار الغربي هو ما تردينا فيه من الانهزام الفكري والانحلال الخلقي ، والتبعية الثقافية للغرب .

ان المستعمرين الغربيين لو سلبوا اموالنا سلبا ونهبوا ثروتنا نهبا وقتلونا تقتيلا وابادوا اولادنا عن بكرة ابيهم ودمروا بيوتنا تدميرا لما كان هذا الظلم اشنع نوعا واشد قسوة وافدح نتيجة من الظلم الذي اقترفوه نحونا ببث سموم حضارتهم المادية وثقافتهم الملحدة واخلاقهم المنهارة في مجتمعنا . وكان من سياستهم الاستعمارية انه كلما تمت لهم السيطرة والانتصار في قطر من الاقطار الاسلامية قضوا على نظامنا التعليمي والتربوي نهائيا ، ان امكن لهم ، او جعلوا المتخرجين منه المثقفين بثقافته من سقط المتاع وشيئا لا مقام له الا في سلة المهملات في الحياة الاجتماعية . كما انهم ، حسب خطتهم المرسومة ، لم يدعوا للغات الشعوب المسلمة المنهزمة مكانتها المرموقة، حيث طردوها من دوائر التعليم والتربية ولم يبقوها اداة لتسيير ادارة الحكومة . واقاموا على انقاضها صرح لغتهم وجعلوها اداة للتعليم واداة لتسيير ادارة الحكومة . وقد طبق هذه الخطة البشعة في البلاد الاسلامية جميع الفاتحين الغربيين من الهولنديين والانجليز الى الفرنسيين والايطاليين وغيرهم ، وكانهم كانوا على اتفاق فيما بينهم في هذا الشأن .

ثم ان المسلمين الغربيين انشأوا في الشعوب الاسلامية ، طبقا لخطتهم المرسومة ، جيلا جديدا منها، يجهل الاسلام بجميع تعاليمه السامية ، وعقائده الاسلامية ، وشريعته السمحة ، وتاريخه المجيد ، وتقاليده الذهبية ، وقد صيغ من جهة عقليته واسلوب تفكيره ونظره الى طبائع الاشياء ، في القوالب الغربية المادية . ثم بدات تتولد من هذا الجيل المتفرنج اجيال متتابعة متعاقبة كان كل منها ابعد تمسكا بالاسلام ، واعمق انغماسا في الحضارة المادية ، واشد شغفا بالثقافة الغربية ، واخلص ايمانا بفلسفة الغرب للحياة الانسانية . وقد بلغ هؤلاء من الانهزام الفكري مبلغه حيث صاروا يعتبرون النطق بلغتهم القومية وصمة عار في جبينهم ، والتكلم بلغات الفاتحين مفخرة من المفاخر . وكان جبين احدهم يندى بسبب كونه فردا من افراد المسلمين مهما تعصب المستعمرون انفسهم لدينهم المسيحي واعتزوا باعتناقه . كان المتفرنجون من المسلمين يفتخرون بالمروق عن الدين والاستهتار باحكامه ويكيلون لتقاليده الذهبية كل سخرية وسبة ويعتبرون ذلك وسيلة لازدياد كرامتهم وعلو مكانتهم وارتفاع شانهم في المجتمع مهما احتفظ الفاتحون الغربيون بكرامة تقاليدهم البالية المبتذلة واعتصموا بحبل عقيدتهم الواهية . ان الفاتحين لم يرضوا ولا ليوم واحد التزي بازياء المسلمين وانتهاج طرازهم للحياة العامة ، رغم بقائهم في البلاد الاسلامية مدى حياة احدهم . اما القوم المتفرنجون فحدث عنهم ولا حرج ، انهم ما ادخروا جهدا في تقليد الفاتحين في كل صغيرو كبير من اساليبهم في الاكل والشرب الى عاداتهم للنهوض والقعود . واخيرا قد دخلوا كل جحر دخله الغربيون رغم كونهم في بلادهم وفي بيئاتهم . وليت الامر وقف عند هذا الحد . ولكنهم ، اتباعا لسنن الغربيين واقتفاء لكل اثر من آثارهم قد تهلوا من سموم افكارهم المادية والالحادية ، كالعصبيات الجاهلية والقومية الوطنية ، والاباحية الخلقية والفسق والفجور والمجون والخلاعة حتى الثمالة . وقد رسخ في اذهانهم ان كل ما يجيء من الغرب حق وصواب ، والايمان به واجب كل الوجوب ، والعمل بمقتضاه من امارات التقدمية ، والاعراض عنه تخلف ورجعية وحماقة وسفاهة . الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون .

كان من خطط الاستعمار المرسومة بشأن المسلمين المنهزمين امامهم ابشع انهزام ، ان كل من كان منهم يحوز قصب السبق فى اصطباغه بالصبغة الغربية وابتعاده عن السمات الاسلامية يحوز المكانة المرموقة فى المجتمع والدوائر الرسمية المدنية منها والحربية كما اصبحت لهم الاهمية كل الاهمية فى الميادين السياسية والاجتماعية . ثم هم الذين تزعموا الحركات السياسية وهم الذين وقع عليهم الاختيار للتمثيل فى البرلمانات . وختام القول انهم هم الذين كان قد خلا لهم الجو فى الحياة الاجتماعية فباضوا فيها وافرخوا.

ثم ان البلاد الاسلامية لما رفعت فيها حركات التحرير رؤوسها كان من المحتوم بحكم الطبيعة ان ترجع ازمة زعامتها وقيادتها الى ايديهم ، اذ انهم هم الذين كانوا مضطلعين بلغة القوم وعارفين بطبيعتهم بسبب كونهم اقرب الناس اليهم . فلذلك لما بدأت البلاد الاسلامية ينكمش فيها ظل الاستعمار وتتحطم فيها اغلاله وتتمتع بالاستقلال والحرية انتقلت اليهم ازمة الحكم وصلاحيات النقض والابرام . فصاروا خلفاء المستعمرين فى الارض ، لانهم هم الذين كانت تحققت لهم السيطرة فى ميادين السياسة اثناء عهد المستعمرين وهم الذين كانوا يتولون تسيير دفة الدوائر الرسمية ويتربعون على المناصب العليا فى جيوشهم .

ان لتاريخ الاستعمار منذ توغله فى البلاد الاسلامية الى توليه عنها وبداية عهد الاستقلال والحرية عدة نواح لا بد لنا من ان نضعها امام اعيننا اثناء استعراضنا للاوضاع الراهنة فى البلاد الاسلامية . اذ انه لا يمكننا دراسة تلك الاوضاع وتحليلها بكل دقة اذا صرفنا النظر عن تلك النواحي . فهاكم بعضها :

الاولى : ان المستعمرين لم يتمكنوا من زحزحة عامة المسلمين عن طريق الاسلام طول مدة استيلائهم على البلاد الاسلامية رغم جهودهم الجبارة المبذولة فى هذا السبيل . لا شك ان المستعمرين قد اطبقوا عليهم الجهل وعكروا صفو اخلاقهم الزكية وتغذوا فيهم قوانينهم المستوردة بدلا من احكام الاسلام ، وجعلوهم يتعودون على حياة غير اسلامية . الا انهم ما استطاعوا اثارتهم ضد الاسلام وجعلهم خارجين على التقاليد الاسلامية ، ومما يدل على هذا ، ان عامة المسلمين حتى الساعة ما زالوا مولعين بالاسلام كما كانوا فى الماضي وستجدونهم مومنين به من صميم قلوبهم باخلاص فى النية وصدق فى العزيمة ولا يرضون بدونه دينا ولا نظاما للحياة ، مع انهم لا يعرفونه حق معرفته ولا يتفقهون فى احكامه وتعاليمه . ولا جدال فى ان اخلاقهم قد انهارت وان عاداتهم قد ساءت وان اذواقهم قد فسدت الا انهم لم تتبدل لديهم مقاييس القيم الاسلامية للاخلاق . نعم ، من الممكن لهم ان ياكلوا الربا ويقترفوا الزنا ويتعاطوا الخمور ، بل هم يفعلون كل هذا فعلا ، الا انكم لا تجدون فيهم من يومن بحلة هذه المحرمات ما عدا الشرذمة القليلة من المتفرنجين الذين احلوا ما حرمه الله وحرموا ما احله الله . ان عامة المسلمين لم يعتبروا الرقص والغناء والسهرات بالملاهي والمجون من اصل الثقافة وصميم الحضارة وان لم يستطيعوا ترك التلذذ بها كما انهم ما زالوا يعيشون خلفا عن سلف تحت القوانين الغربية ولكنهم لم يرسخ فى اذهانهم ان هذه القوانين على شيء من الحق والصحة وان قوانين الاسلام قد اكل عليه الدهر وشرب ولم تعد تصلح لمجاراة العصر الحاضر . ان الاقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية ، المنخدعين ببريقها الخلاب مهما آمنت بالقوانين الغربية والنظم الحديثة فان عامة المسلمين لا يومنون الا بالاسلام ولا يطالبون الا بتطبيق قوانينه فى بلادهم .

الثانية : ان رجال الدين فى البلاد الاسلامية لهم احتكاك مستمر بعامة المسلمين ومخالطة دائمة معهم فى افراحهم واتراحهم حيث انهم لا يتكلمون الا بما يتكلم به عامة المسلمين ولا يمثلون الا ما يومنون به من عقيدة ودين . الا انهم ببقائهم مبعدين عن ازمة الحكم منعزلين عن مزاولة الشؤون السياسية والاجتماعية الى امد غير يسير، لم يعودوا يصلحون لتوجيه المسلمين توجيها سياسيا . ولهذا السبب نفسه ما استطاعوا التربع على مناصب الزعامة لحركات الكفاح والتحرير التي قامت فى السنوات الاخيرة فى كل قطر من الاقطار الاسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار . كما انهم لم يتمكنوا فى عهد الاستقلال والحرية من الاسهام المباشر فى ادارة الدولة . وان مهمتهم فى حياتنا الاجتماعية الحاضرة لا تعدو وظيفة الفرملة فى جهاز السيارة حيث يحولون الى حد ما دون سرعة سيارة الحياة الاجتماعية . غير ان هذه الفرملة قد تكسرت فى بعض الاقطار الاسلامية . اما السائق ، وهو الفئة الحاكمة المولعة بالغرب ، قد يهوى بها الى الدرك الاسفل بسرعة مدهشة ولكنه يظن انه يعرج بها الى الجهة العليا ويحسب انه يحسن بذلك صنعا .

الثالثة : ان الحركات التحريرية التي قامت في الاقطار الاسلامية وان كان يتولى توجيهها الفئة المتفرنجة الا انه من الجدير بالذكر انها لم تستطع تحريك عامة المسلمين وشحذ هممهم واذكاء مشاعرهم لدفعهم وراء حركاتهم وجعلهم يستميتون فيها الا باسم الدين وباسم اعادة ما اندرس من المجد الاسلامي . انهم لم يروا بدا من المناداة باسم الله ورسوله ومن تقرير حركاتهم صراعا ناشبا بين الاسلام والكفر لاستمالة عامة المسلمين الى حركات التحرير وتحريضهم على افراغ جهدهم وبذل مهجهم في سبيلها . لانهم ما كان لهم ان ينجحوا في اشراك عامة المسلمين في ركبهم وجعلهم مستجيبين لدعوتهم متبعين لخطواتهم منضوين تحت لوائهم بدون الالتجاء الى هذه الوسيلة الناجحة .

ومن ادهى الدواهي وافجع الكوارث انه لما تحقق لهم المقصود وتم للبلاد استقلالها نبذوا عهودهم وراء ظهورهم وتناسوا كل ما كانوا يدلون به من التصريحات والبيانات اثناء معركة التحرير . بل الاسلام كان اول ضحية لخيانتهم بعد الاستقلال ، ذلك الاسلام الذي باسمه كانت هذه الفئة تقيم الدنيا وتقعدها وبواسطته تكللت معركتهم بالنجاح . اليس هذا من اكبر الخيانات التي ظهرت في تاريخ الاسلام ، واعظم اكذوبة اقترفت في عالم السياسة ، وابشع انحراف رأته عين السماء .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان في القلب اسلام وايمان

الرابعة : والاخيرة ... ان الاستقلال الذي حصل للبلاد الاسلامية تحت زعامة هذه الفئة وجهود عامة المسلمين لا يعدو ان يكون استقلالا سياسيا فقط، وانما الفرق كل الفرق بين الاستعمار الغابر وبين الاستقلال الحاضر هو ان السيطرة التي كانت للاجانب في الماضي اصبح يتمتع بها الاقارب في الحاضر .

ولا اختلاف بينهما البتة في ميولهما واتجاهاتهما وفلسفتهما للاخلاق والاجتماع والاقتصاد كما ان موقفهما من الاسلام واحد حتى ان الاساس الفلسفي لنظام التعليم والتربية الذي كان قد وضعه المستعمرون لتحقيق مصالحهم الاستعمارية واهدافهم الخاصة لا يزال يتشبث به المستعمرون الجدد . وان القوانين التي وضعها المستعمرون الاجانب لاتزال في حيز التنفيذ بل أضف الى هذا ان التشريع الجديد لا يزال يسير في نفس الطريق الذي كان يسير عليه ايام المستعمرين من جهة اسسه وفكرته ونظمه . ومما زاد الطين بلة ان الاحوال الشخصية التي لم يتمكن المستعمرون الغربيون من التعرض لها نرى الآن محاولات للقضاء عليها باسرها او ادخال التعديلات المشؤومة عليها باسم التقدم ومسايرة العصر الجديد في عهد الاستقلال ... عهد الاستعمار الجديد .

اما الحضارة الغربية والاسس الخلقية المادية التي خلفها المستعمرون الغربيون بعد مغادرتهم البلاد الاسلامية فهؤلاء المتفرنجون لا يعضون عليها بالنواجذ فحسب ، بل شمروا عن ساقهم لجعل شعوبهم الساذجة ايضا اكثر ميلا الى الاخذ بها واكثر انغماسا في ورطاتها من ذي قبل . ان هؤلاء المساكين لا يتصورون ان يكون هناك للحياة الاجتماعية نظام ما لا تقوم فكرته على اسس القومية والوطنية . وقد انتهى بهم الامر في هذا الشأن الى انهم شتتوا شمل المسلمين باسم القومية ومزقوا جمعهم وفرقوا كلمتهم وجعلوهم يقتل بعضهم بعضا ويأكل قويهم ضعيفهم . وقد بلغ الالحاد من اذهانهم وعروقهم مبلغه واشربوا في قلوبهم العلمانية وبداوا ينتهزون كل فرصة لافساد الجيل الحاضر وتعكير صفو اخلاقه والانحراف به كليا عن الاسلام وتعاليمه ، بل وتشجيعه على الاستهزاء بالله ورسوله والاستهزاء بالعقائد الاسلامية من البعث والنشور والجنة والنار والثواب والعقاب . ونشطوا في اشاعة الاباحية والفجور ـ الذي انغمسوا فيه هم انفسهم الى آذانهم ـ تحت اشرافهم باسم الاصلاح والحرية والتقدم وتنوير الراي العام .

ان الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان هؤلاء المتفرنجين مهما ناصبوا للاستعمار الغربي العداء ، ومهما اثاروا ضده الضجات تلو الضجات . الا ان المستعمرين احب لديهم من الدنيا وما فيها . والدليل على ذلك ان كل بادرة من بوادر الغرب تاخذ بمجامع قلوبهم ، وكل ظاهرة من ظواهره تملك عليهم انفسهم ، وكل ما ياتي اليهم منه يعتبرونه مقياسا للحق ومعيارا للتقدم ويقلدونه في كل صغيرة وكبيرة ، مع الفارق ان الغرب مجتهد فيما يعمل وهم مقلدون لا راي لديهم ولا تفكير ، وان الغرب يهلك عن بينة وهم يهلكون عن عمى . خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ان هذه النواحي الاربع التي عرضتها عليكم يمكنكم في ضوئها دراسة الاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية على اكمل وجه ويسهل عليكم معرفة موطن الداء فيها ووصف الدواء له .

الا ترون ان معظم الحكومات الاسلامية في الدنيا قد طرا عليها الوهن والضعف فصارت كانها خشب مسندة . فما السبب في ذلك ؟ . . . انما السبب الوحيد في ذلك هو انها تعادي كل المعاداة ضمائر المسلمين وعواطفهم وعقائدهم بتصرفاتها الشنيعة .... يريد المسلمون الرجوع الى حصن الاسلام وشريعته السمحة ونظامه المحكم ، ولكنها ترغمهم على الاستمساك باذيال الغرب والالتحاق بمعسكره .

ومن نتائج ذلك الصراع المستمر ان عامة المسلمين لا يسايرون حكوماتهم بقلوبهم في كل قطر من الاقطار الاسلامية بسبب اتجاهاتها المعاكسة للفكرة التي يعتنقونها .

ومن الواضح منطقيا وواقعيا ان اي دولة لا يمكن ان يتوفر لها اسباب القوة والسلطان وعوامل الرقي والنهوض اذا كانت حكومتها في واد وشعبها في واد آخر لا يتكاتفان في تحقيق مطالب الرقي والتطلع الى ذروة المجد : لا الحكومة بايديها الامينة وتصرفاتها الصحيحة ولا الشعب بقلبه النابض وعزيمته الصادقة. واذا كان الامر كذلك وكان الصراع على قدم وساق بين الحكومة والشعب او بين الايدي والقلوب فمن المحال البتة ان تقطع الحكومة اية خطوة الى الامام وتتقدم البلاد ولو قيد شعرة الى قمة المجد . لان سائر الجهود والطاقات بسبب هذا الصراع الداخلي تذهب ادراج الرياح وتصير هباءا منثورا .

ومن جراء هذا الوضع المولم ، الذي قد بينته لكم آنفا فان البلاد الاسلامية لا تزال تصيبها كوارث الديكتاتوريات . واذا سبرت اغوار هذه الكوارث تعرف ان الفئة المتفرنجة التي جعلها المستعمرون خلفاءهم في البلاد الاسلامية تعلم علم اليقين بان نظام الحكم فيها اذا كان يقوم على اساس التصويت العام فان زمامه لا يمكن بقاؤه في ايديها الى مدة طويلة بل سينتقل عاجلا او آجلا الى الذين يطالبون باقامة نظام الحكم على ما يومن به الشعب من عقيدة وعلى ما يحمل في قلبه من عواطف وعلى ما يعتنقه من فكرة وعلى ما يرثه من مقدسات . فنظرا لذلك فان هذه الفئة لا تخلي للنظام الديمقراطي سبيله ولا تدعه يسير سيره الطبيعي بل هي تبادر الى استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فتقيم النظام الديكتاتوري مقام النظام الديموقراطي . ولكنها تسمى ديكتاتوريتها باسم الديمقراطية لخدع الناس بانها من انصار الديمقراطية وانها لا تقوم بشيء لا تقتضيه مصلحة الشعب . وهم في الحقيقة لا يخدعون الا انفسهم وما يشعرون .

وكانت هذه الديكتاتوريات قد قام بها في بداية الامر الزعماء السياسيون من الفئة المتفرنجة ثم تطورت الامور تطورها الطبيعي وسارت الاشياء الى طريقها المحتوم حيث ان الجيوش في البلاد الاسلامية قد تنبهت لحقيقة القضية ورأت النظام الديكتاتوري لا يقوم الا على اكتافها ، وتنفيذ مخططه لا يتم الا باسلحتها . فخرج هذا الشعور بالضباط العسكريين من معسكراتهم الى ميادين السياسة وبداوا يحيكون خيوط المؤامرات اقلب نظام الحكم وبداوا يسلطون على الشعب الديكتاتورية العسكرية بدلا من الديكتاتورية السياسية بعد ازاحة الزعماء السياسيين من طريقهم وزجهم في السجون والمعتقلات او تحديد اقامتهم في دورهم . وها نحن اولاء نرى اليوم ان الجيوش في البلاد الاسلامية صارت بلية عظمى وآفة كبرى في حق بلادها وشعوبها العزل ولم تعد وظيفتها جهاد الاعداء والذود عن الحياض بل صار شغلها الشاغل فتح بلادها نفسها عنوة . واستعملت لذلك الغرض السلاح الذي اخذته من شعبها المسكين للدفاع عنها وحماية حوزتها وسيلة لاستعباده واذلاله . وها قد أتى على البلاد الاسلامية حين من الدهر لا تحل فيه قضاياها الخطيرة ومشاكلها الشائكة في البرلمان والمجالس الاستشارية وبالتصويت او الاستفتاء العام بل تحل في المعسكرات بالدبابات والمسدسات . وان تعجب فعجب ان الجيوش ايضا لا تتفق كلمتها على زعيم واحد او قائد واحد بل ينتهز كل ضابط من الضباط العسكريين فرصة لتمهيد السبيل لفرض ديكتاتوريته والاستبداد بكرسي الحكم بعد تحطيم غيره . ومن المضحكات المبكيات انه اذا تم لواحد منهم السيطرة على البلاد فهو يعتبر ضالة الشعب ومنقذ الانسانية والزعيم الاوحد ورجل الساعة حتى اذا واجه مصيره المحتوم ، اصبح اكبر خائن والد أعداء الشعب . اما الشعوب الاسلامية فشأنها اليوم شأن الدمي في ايدي الاطفال لا دخل لها في شأن من شؤون بلادها . والامر الوحيد الذي يتحد

عليه كل من الديكتاتوريين السياسيين والديكتاتوريين العسكريين ، مع تضارب مصالحهم واختلاف اغراضهم انه كلما اتيحت لكل فرد من هذين الفريقين الفرصة لفرض سيطرته واستخدام وسائل بلاده لم يال جهداً فى بث سموم الالحاد والفجور واطلاق سراح دعاة الخلاعة والمجون ليلعبوا دورهم فى طمس معالم الفضيلة وصرف الشباب عن غاياته السامية فى الاخلاق والدين الى متعة العيش والشهوة الدنيئة .

...ان هناك بارقة امل تلمح فى هذا الظلام الحالك فى ضوئها حقيقتان : اولاهما ان الله تعالى اذاق انصار الالحاد والفسوق ودعاة الاباحية والمجون وبال امرهم فالبسهم شيعا يذيق بعضهم باس بعض . وهذا من فضل الله على الامة . اذ انهم لو كانوا يرمون عن قوس واحدة لاصبحوا للامة الاسلامية داء عضالا لا علاج له . ولكنهم اتخذوا الشيطان وليهم وان كيد الشيطان كان ضعيفا .

ثانيهما ... ان قلوب عامة المسلمين لا ينقصها التحمس للدين والفضيلة ولا يروقهم ما يقوم به هؤلاء الزعماء المصطنعون من عملية الهدم والتخريب. وان هناك لشواهد تدل على انه اذا قامت جماعة راشدة تتوفر فيها شروط الاهلية والكفاءة للقيام بدور الزعامة والتوجيه ، وتكون على ايمان راسخ الجذور بالاسلام وعلى عقيدة قوية بمبادئه وعزيمة صادقة للتضحية لكل غال ورخيص فى سبيله ، فلا شك فى ان هذه الجماعة هي التي سيؤول اليها زمام الشعوب الاسلامية اخر الامر وهي التي سيكتب الله لها الانتصار فى المعركة الفاصلة بين الحق والباطل وهي التي ستتولى تطهير تلك الشعوب من ادناس الالحاد والفسق والفجور وترجع بها الى ما كانت عليه فى القرون الذهبية من الفضيلة والسعادة والرفاهية ولا تياسوا من روح الله فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

ويهمني فى ختام كلمتي هذه ان الخص للشباب المومن ولا سيما المثقفين منهم ثقافة عصرية الامور التي يجب عليهم الاخذ بها للقيام بالعمل الجدي للاسلام فى الظروف الحاضرة :

اولا : لا بد لكم ، قبل كل شيء ، من معرفة دقيقة بحقيقة الاسلام حتى تكونوا مسلمين علما وتفكيرا كما انتم مسلمون قلبا وعاطفة وحتى تكون لكم القدرة الكافية لتسيير الشؤون الاجتماعية فى العصر الحاضر وفقا لاحكام الاسلام ومصالحه وقواعده

ثانيا : عليكم ان تبادروا الى تقويم ما اعوج واصلاح ما فسد من اخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للاسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ولتعلموا بان التناقض فى قول الانسان وعمله يزرع بذور النفاق فى القلوب ويزيل ثقة الناس به . وان نجاحكم ليتوقف على الاخلاص فى النية والصدق فى العزيمة وعلى ان توافق اعمالكم اقوالكم . وان الرجل الذي يقول ما لا يفعل انما يضر بدعوته اكبر ضرر . « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ! »

ثالثا : ان لا تدخروا جهدا فى بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية اودعها الله اياكم فى سبيل نشر الدعوة الى الله بالكتابة والخطابة وان تقوموا بدراسة ونقد اسس الحضارة الغربية وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب وحتى تحطموا اصنام النظريات الاوربية التي استحوذت على قلوب المسلمين وعقولهم من زمن طويل . هذا فى جانب ، وفى الجانب الاخر عليكم ان تقوموا بتدوين وعرض قوانين الاسلام للحياة الانسانية بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بان نظام الاسلام من شأنه انه اذا اختاره شعب من شعوب العالم لا يتقدم الى الامام فحسب ، بل يسبق الاخرين فى كل ناحية من نواحي الحياة . ان هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه الى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الاسلامية والمحبين لها والمتاثرين بها فى كل شعبة من شعب الحياة الاجتماعية . ولا بد من اطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى ياتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المومنين بها الذين نحتاج اليهم لتشييد صرح البلاد على دعائم النظام الاسلامي . وانه لمن العبث ان نتوقع انقلابا اسلاميا شاملا قبل ان تسبقه عملية الاعداد والتحضير واذا حصل بطريقة صناعية وبدون اعداد كامل فلن يكتب له النجاح ولن تتاصل له فى الارض جذور .

رابعا : ان تضموا الى اسرتكم كل من يتاثر بدعوتكم الاسلامية وتكونوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور محكم حتى لا يمكن للضعف والخور

ان ياخذا الى صفوفها سبيلا . ان مجرد تكوين جماعة من الناس الذين اتفقوا على مبدا معين دون تنظيم دقيق محكم يقوم امره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يجدي بشيء . هذا ما تؤكده التجارب الماضية . ولا ينبئكم مثل خبير .

خامسا : عليكم ان تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف السوام حتى تبددوا ظلام جهلهم وتجلوهم على بينة من امر دينهم وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب كما يجب عليكم ان تهتموا باصلاح اخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الاسلامي ليقفوا سدا منيعا في وجه السيل العارم من الالحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الاسلامية . وذلك لان الشعوب التي الهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها ان تكون ارضا طيبة لان تقوم فيها دولة اسلامية ، لانه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين عامة الناس يصبح من المستحيل اقامة نظام اسلامي فيهم . وان الكذبة والخونة الفاسدين والفسقة والفجرة قدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام اسلامي .

سادسا : لا تحاولوا اقامة نظام اسلامي على اسس غير سليمة وعلى دعائم ضعيفة . بل يجب عليكم الصبر في هذا الشان . لان الاهداف التي نريد تحقيقها اهداف ضخمة كبيرة تهدف الى تصحيح القيم الانسانية في افهام الناس والى اعادتهم الى حظيرة الاسلام بعد الردة التي هم عليها منذ زمان طويل . ومثل هذا العمل الجليل يحتاج الى مثابرة ومصابرة والى تفكير عميق . كما انه يجب عليكم ان تخطوا كل خطوة بحساب ، وبحكمة وتبصر . ولا تخطوا خطوة جديدة الا بعد ان تراجعوا نتائج خطوتكم الاولى : هل هي تسير في الطريق المرسوم وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة . وذلك لان الاستعجال امر غير مامون العاقبة فاشتراكنا ـ مثلا ـ في حكومة فاسدة على رجاء ان اشتراكنا هذا انما هو خطوة تقربنا الى غاياتنا انما هو امر غير صحيح لان التجارب العملية تؤكد بأن مثل هذا العمل لا تجني منه الثمار الطيبة وذلك ان الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستهم الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي اليهم مصالحهم واهواؤهم . واما الذين يلتحقون بهم بغية تحقيق الاهداف النبيلة ، فلا بد لهم من مسايرتهم . ومعنى ذلك انهم يصبحون آخر الامر ابواقا لهم والعوبة في ايديهم يفعلون بهم ما يشاؤون . ويستغلونهم كما يريدون .

واحب في ختام كلمتي ان اوجه اليكم نصيحة هي . ان لا تقوموا ابدا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الاهداف وتحاشوا عن استعمال العنف والقوة والسلاح لتغيير الاوضاع . لان هذا ايضا نوع من الاستعجال الذي لا يجدي بشيء ومحاولة للوصول الى الهدف باقصر طريق . ان هذا الطريق اسوأ عاقبة واكثر ضررا من كل صورة اخرى . وان الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي وسيحصل كذلك في المستقبل بجمعيات علنية يكون نشاطها واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار . فعليكم ان تنشروا دعوتكم بطريق علني وتقوموا باصلاح قلوب الناس وعقولهم على اوسع النطاق وتسخروا الناس لغاياتكم باسلحة من الخلق العذب والشمائل الكريمة والموعظة الحسنة والحكمة البالغة ، وان تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الابطال .

فهذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور راسخ الاسس قوي الدعائم كبير النفع في حق هذه الامة المسكينة ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لاي قوة معادية ان تقف وجهه . واقول ان هذه الامة لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها . اما اذا استعجلتم وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف ثم نجحتم في هذا الشأن الى حد ما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من الشباك . هذه هي النصيحة التي اوجهها لكل من يقوم بأمر الدعوة الاسلامية . وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . واقول كما قال الشاعر :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني

واسأل الله تعالى ان يسدد خطانا ويلهمنا السداد والرشاد ويوفقنا لاعلاء كلمته بالطريق الذي يرتضيه لنا . انه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

باكستان ـ ابو الأعلى المودودي

العرب والحضارة الإنسانية

للأستاذ: محمد المبارك

ان الافراد فى المجتمع الواحد لا يمكن ان يتكون من مجموعهم مجتمع سعيد منتج صالح للبقاء الا اذا كانت لهم غاية مشتركة يسيرون نحوها وهدف يجتمعون على تحقيقه ، اما اذا كانت غاية كل واحد منهم ان يكون هو وحده كل شيء فى السعادة والمجد والمنفعة ، وفقدت الغاية أو الهدف المشترك ، وكان التنازع والصراع اساس التعامل بينهم فان مآل هذا المجتمع التناقص والاضمحلال ، وكيف يمكن ان يعيش مجتمع ليس بين افراده حد أدنى من الاعتقاد بغاية مشتركة والعمل لهدف جامع ؟ وكيف يمكن ان يسير ويرقى وينتج حضارة اذا لم ينظر الى هؤلاء الافراد نظرة اساسها المساواة الانسانية من حيث الاصل واذا لم يفسح المجال امامهم على اساس التكافؤ فى الفرص والحد من طغيان القوي على الضعيف منهم ليقدم كل منهم ما يستطيع تقديمه للمجتمع من خير بحسب ما تؤهله له مواهبه وقدرته .

ان ما ذكرناه فى الافراد ليعيشوا فى مجتمع واحد ينطبق على الشعوب والقوميات ليمكن ان تعيش في مجتمع بشري عام وليمكن ان ترتقي الحضارة وتقدم الخير للناس اجمعين . ان الشعوب او القوميات هي من البشرية اجزاؤها المكونة لها ولابد لها منها كما لابد للمجتمع من افراد ، وهذا هو واقع البشرية الذي لا ينكر ، فقد خلق الله الناس « شعوبا وقبائل » لا افرادا منعزلين ، ولكن البشرية لا تعيش سعيدة ولا ترتقي حضارتها اذا كانت الانانيات القومية وظلم القوي منها للضعيف واستعلاء بعضها على بعض واستعباده هي القاعدة السائدة والاساس الذي تقوم عليه ، اذ الحياة تصبح صراعا عنيفا بين الشعوب والقوميات ، وبدلا من ان تقدم كل منها ما تمكنه مواهبه وقدرته لتقديمه من خير للبشرية ينشغل فى هذا الصراع الذي يستنفد قواه ويستغرق جهده .

لابد للقوميات لتكون مجتمعا بشريا قادرا على انتاج الحضارة وافاضة الخير وارتقاء العلم من الاعتقاد بغاية مشتركة يسير الجميع نحوها وهدف جامع يعمل الجميع على تحقيقه ، ولا مانع حينئذ من التنافس ، ولكن فى سبيل المسارعة الى تحقيق الهدف المشترك وبلوغ الغاية المشتركة . ومن هنا كانت اهمية العقائد ذات الصفة الانسانية العامة فى ارتقاء الحضارة واحلال السلام والامن بين شعوب البشر . ان هذه العقائد الانسانية المشتركة بايجادها مواطن مشتركة بين الشعوب واحلالها للسلم بدلا من الحرب تفسح المجال للقوميات لتظهر فى مجالات الفكر والعمل وميادين الحضارة نتاج عبقرياتها وتنمي امكانياتها وتتعاون بعضها مع بعض فتبرز كل واحدة منها فى الميدان الذي هو ميدانها وتكمل بعضها بعضا بما لكل من خصائص ومزايا ومواهب .

ان التعايش السلمي هو ادنى مراتب التعاون اذ انه اقرار كل شعب بحق الشعب الآخر فى ان يعيش بسلام وامن ، ولكن التعاون الايجابي بين الشعوب والاقوام هو مرتبة ارقى فى مدارج التعاون البشري والارتقاء الحضاري .

ان تقدم الحضارة الانسانية منوط اذن بوجود عقائد انسانية مشتركة بين القوميات ، ويستلزم ذلك بالطبع اعتبار المساواة بين الشعوب من حيث الاصل الانساني والمبدا وفسح المجال امامها فى فرص متكافئة دون ان يطغى قوي منها على ضعيف اساسا ضروريا للوصول الى هذه الغاية الانسانية المنشودة .

ان حرية الشعوب واعتبارها متساوية من الوجهة الانسانية وتقديم الفرص المتكافئة لها جميعا وفسح المجال لانتاجها واظهار عبقرياتها ومواهبها ووجود مبادىء انسانية وعقائد مشتركة بينها شروط ضرورية لاستقرار السلام وانتاج الحضارة ، وبالمقابل ان استعباد الشعوب بعضها لبعض واستعمارها وتمييز بعضها على بعض فى الحقوق الاساسية والانانية القومية

والتمييز العنصري والعقائد المبنية على العصبيات الجنسية كلها ترجع بالانسانية الى الوراء وتحل الصراع محل التعاون والحرب محل السلم وتؤخر الحضارة الانسانية والارتقاء البشري .

ان لكل قومية صيغة تصوغ فى قوالبها الحضارة واتجاها تتجه فى مسيرها نحوه ونظرة تفهم الحياة من خلالها وانتاجا ماديا او معنويا تقدمه للناس ، وان افضل القوميات هي تلك التي تقدم للمجتمع البشري افضل حضارة واحسن انتاج والتي تخدم بحضارتها وانتاجها الانسانية . فمن القوميات ما لاتستطيع ان تخدم الا نفسها فنفعها مقصور على ذاتها ومنها ما يتعدى نفعها الى غيرها . ومنها ما لاينتج الا الاشياء المادية الزائلة المستهلكة وان كانت نافعة ومنها ما ينتج الافكار ويبدع الاخلاق ويبعث الحضارات ويغني الشعوب ، وههنا مجال التفاضل والتنافس بين القوميات . وكلما كانت العناصر الانسانية الخيرة اكثر فى حضارة قومية من القوميات كانت تلك القومية وحضارتها من نوع ارقى واسمى والامجاد والمفاخر القومية انما تكون صحيحة سليمة ذات قيمة اخلاقية بقدر ما تكون انسانية فى نتائجها وآثارها . وان التطور البشري سائر نحو زيادة الرصيد الانساني المشترك والنقص من اثر الخاصة غير المشتركة .

فما هو نصيب العرب فى الماضي والآتي من الحضارة الانسانية وما هو مدى مساهمتهم فيها ؟ وماذا قدموا للبشرية من نفع وخير ورقي ؟ وهل استنفدوا ما عندهم من امكانيات ؟ وما هي العناصر الانسانية العامة فى الحضارة التي حملوها الى الناس ؟ وما هي المكانة التي تؤهلها لها امكانياتهم من جهة وحضارتهم ورسالتهم من جهة اخرى فى الماضي والمستقبل ؟

ان العرب منذ عصور قديمة نضجت عناصر تكوينهم وتظاهرت عوامل الاصل والوراثة وعوامل البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها على هذا التكوين حتى كانت تلك الامة التي وصفها النبي العظيم صلوات الله عليه بقوله : «انا خيار من خيار من خيار» والتي بلغت عقولها مرتبة عالية من الادراك الفطري واتجهت نفوسها نحو المثل الاعلى الذي تجلى فى المروءة والشرف بما فيهما من عناصر الكرم والشجاعة والوفاء والعفة وان كانت اسرفت وافرطت وضلت عن الهدف وانحرفت ، وكانت الجاهلية مزيجا من الحكمة الفطرية والمثالية ومن الاسراف والانحراف ، الى ان قضت حكمة الله فى ان تخرج رسالة الاسلام من صميم الجزيرة وتهبط الحكمة الآلهية على النبي العربي وترتسم صورة المثل الاعلى الانساني الكامل بيد القدرة الآلهية فى كتاب عربي مبين .

واننا هنا امام حقيقتين تاريخيتين لايمكن انكارهما بصرف النظر عن اعتقاد المسلم الديني فى الاصل الالهي للاسلام :

اولهما : ان الاسلام ظهر اول ما ظهر فى صميم الجزيرة العربية وكانت النفس العظيمة التي تلقفته وأعلنته للناس ودعت اليه من صميم العرب ومن خيارهم وانه بصرف النظر عن اصله الغيبي الالهي تجاوب مع نفوسهم على بعد ما بين مستواهم والمستوى الذي رسمه للحياة ولئن صادم بعض عاداتهم فانه لم يصادم الاصيل من اتجاهاتهم والكريم من خصالهم والعميق من مشاعرهم ، وان العرب بعد هذا اتخذوا من هذا الاسلام اساسا بنوا عليه حياتهم وجعلوه دستورا لهم بل اساسا ودستورا لبناء انسانية جديدة اشرفوا هم على بنائها واستطاعوا ان يحققوا فيها لاتعايش الشعوب والامم فحسب بل تعارفها وتعاونها فلم تضع ذاتيتهم ولم تذب قوميتهم بل كانت انسانية الصيغة فى حضارتها واتجاهاتها وكانوا هم قواما على هذه الانسانية التي اصبحوا يرون فيها امتدادا لشخصيتهم المعنوية وثقافتهم ورسالتهم ، وهكذا كان نفوذهم وعملهم وفتوحهم ليس فرض قومية على اخرى ولكن نشر صيغة انسانية للحضارة وتاسيسها والدعوة اليها عن طريق شعوب الامم الاخرى وجماهيرهم . وهكذا كانت الحقيقة التاريخية التي لامعدى عنها ان الاسلام غدا بالنسبة الى العرب اولا (والى من تبعهم ودان بالاسلام ثانيا) نظرتهم فى الحياة وتصورهم للوجود والفكرة الشاملة التي اتصلت بعقولهم ونفوسهم اتصالا عميقا وكانت الناظم لهم افرادا واجيالا حتى عرفت فى العالم بهم وعرفوا بها . ولا سيما بعد ان انبثقت عن الاسلام حضارة شملت جميع آفاق الحياة الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، وكانت اللغة العربية لغة هذه الحضارة خلال التاريخ لانها اللغة التي بكلماتها وتعابيرها ظهرت الى الوجود رسالة الاسلام .

والحقيقة التاريخية الثانية هي : ان الاسلام في صورته الاصيلة قبل ان تشوهها عصور الانحطاط والمفاهيم الاعجمية التي انحرفت في فهمه تضمن القيم الخالدة من تراث الديانات والنبوات والاهداف الانسانية والغايات المشتركة بين الامم والشعوب وجاء بالمعتقدات التي تقيم انسانية تقر حرية الامم والاقوام والمساواة بينها وتفسح المجال لعبقرياتها وانتاجها على اساس التعارف والتعاون ورسم للانسانية الصورة الكاملة للمثل الاعلى الانساني الذي يتجاوب مع الفطرة ويطابق الحقيقة فوصل الانسان باعماق الوجود في جانبه الروحي وبعث فيه الوعي الكوني العام ووصله عن طريق الكون بما وراء الكون من قوة خلاقة واشعره بمسؤوليته العظمى امام قوة الله هذه . وعلى هذا الاساس الروحي الاصيل عمل على تكوين الشخصية الخلقية للانسان وفسح المجال لتقدم العقل وارتقاء الحياة المادية دون اعتبارها الغاية القصوى وبذلك حرر الانسان والبشرية من الاثرة والانانية ومن العصبيات القبلية والطبقية والجنسية ومن الخضوع للمال وللانسان صاحب المال أو السلطان واقام بعد ذلك نظاما يكافح فيه الظلم والفقر والجهل ويقام العدل والعلم والامن والعيش .

ان الامة العربية التي اشرفت في الماضي على تكوين حضارة انسانية وادت يومئذ رسالتها قادرة اليوم بل مسؤولة عن تكوين حضارة انسانية جديدة في ظروف جديدة وشروط واشكال جديدة ولكنها تحتفظ بالقيم الخالدة والاسس والمباديء والاتجاهات. ان يقظة العرب وقيام الامة العربية وتحررها وانبعاثها من جديد مصدر خير لا مصدر قلق او خوف لجميع الشعوب والقوميات الاخرى وللانسانية ولتقدم الحضارة وحسن توجيهها نحو الخير والحق والعدل ونحو الله مصدر الحق والخير .

محمد المبارك



أثر الإسلام في الحياة الاقتصادية في غرب إفريقيا

للأستاذ : نعيم قداح

لقد استطاع الاسلام كحضارة راقية ان يثبت وجود المدنية الافريقية وان يطورها ، وكان احد العوامل الرئيسية التي ادت الى ازدهار الحياة الاقتصادية في غرب افريقية ابان العصور الوسطى وما بعدها ، وكان التقدم الاقتصادي ردا بليغا على افتراءات الاستعماريين الذين زعموا ان افريقية كانت تعيش في العصر الحجري حين نزل الاستعمار (*) .

1 ـ في المجال التجاري :

كان الدعاة في اغلبيتهم الساحقة من التجار الذين يقومون برحلات موسمية يحملون بضائعهم الى اقاصي الغابات الاستوائية ، وان وصول البضائع الافريقية الى المغرب العربي منذ القرن الثاني عشر لاكبر دليل على تشجيع الاسلام للافريقيين ليخرجوا من عزلتهم الطويلة التي هيمنت عليهم في العهود الوثنية ، وكان الداعية التاجر نشيطا يلفت الانظار الى ذهب لنظافته وتواضعه ، والنتيجة الطبيعية لهذا النشاط التجاري ظهور المدن على طرق القوافل وكانت هذه المدن التجارية ذات طابع اسلامي في ابنيتها ومساجدها وتخطيطها .

ولما سادت اللغة العربية كلغة رسمية في الثقافة والتجارة في القرن الثاني عشر اختفت الى الابد التجارة التي تعتمد على المقايضة والاشارة ، لقد ادخل الاسلام نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية ، وقد شهد بذلك الرجالة العرب والاوربيون .

وقد اوجد الاسلام في الدول الافريقية لاول مرة نظام الضرائب العينية على البضائع المستوردة والمصدرة قبل ان ينتشر النقد المسكوك ، وبازدياد تغلغل الاسلام في المجتمعات الافريقية اخذت التجارة شكلا منتظما وتولت الدول الافريقية الاسلامية حماية القوافل التجارية .

وقد راينا ان الاسلام قد ساعد على نشوء المدن التجارية مثل سنة وطومبوكتو وغاو (مالي) وو الاتا ونيما (موريتانيا) واغاوس (النيجر) واودينة (ساحل العاج) .

وقد اقام في هذه المدن التجارية العرب مع الافريقيين في ظل الاخوة الاسلامية (*) وذلك لان العلاقات التجارية بين افريقية والعالم كانت محصورة بالبلدان العربية في الشمال الافريقي ، القطر المصري ، وقد اقيمت في المدن الافريقية الاسواق في ايام معلومة تقليدا لاسواق المغرب العربي (*) وكان العرب المسلمون اول من تغلغل في مجاهل القارة السوداء بسيطرتهم على المواصلات وطرق القوافل ؛ فكان هناك طريق سجلماسة اوداغشت ـ كومبي عبر الصحراء الموريتانية ؛ وهو يمر بالسوس الاقصى ، وطريق ارواف في صحراء موريتانيا الى سجلماسة في المغرب (بالقرب من مراكش) ومن طومبوكتو الى مراكش ومن طومبوكتو ـ غاو ـ توات ـ ورغلا (صحراء الجزائر) تلمسان ومن غاو ـ تكادا ـ مرزوق فطرابلس (ليبيا) ومن تكادا الى اغادس فتشاد فالفاشر (في السودان العربي) فالبحر الاحمر او القاهرة ، ومن كانو بنيجريا

(*) انظر في هذا البحث المصادر التالية :
P. Marty : L'Islam en Guinée, l'Afrique noire pré-coloniale : A. Diok

(*) انظر كتاب (افريقية العربية في ظل الاسلام) لمؤلفه نعيم قداح نشر وزارة الارشاد

الى تيبتي فى صحراء النيجر فواحة مرزوق (فزان ، فبرقة فالاسكندرية .

وهكذا نظم الاسلام التجارة ووسائل التبادل ، فقد وفد العرب تجارا دعاة نقلوا تجارة ودينا وحضارة ومما يشير الى الصلات التجارية الحضارية بين العرب وافريقية المثل السائر فى شمال افريقية الذي يقول : ان تجرب جملك فعليك بالتطران وان افتقرت فسافر الى السودان .

2 — وفى الزراعة : ان الاسلام قد اثر فى تشجيع العمل الزراعي والقطاف وتربية المواشي بعد ان كان الافريقيون يعيشون على الصيد ، والاسلام حرم تربية الخنزير ولكنه حث على الاكثار من تربية المواشي وهي حيوانات لها اهميتها الاقتصادية وقد عملت قبائل (الفولا) النازحة من الشمال على اشاعة تربية الماشية فى الفوتاد جالون وفى مناطق الغابات و ساحل العاج وفى بعض الانحاء فى مالي والسنغال وشمال نجيريا ، وكان ذلك خير معين للافريقيين على الاقلاع عن عادة اكل لحوم البشر ، كما يقول دي بلانول (٭) وكان التأثير العربي الاسلامي فى الزراعة واضحا جدا منذ ان اوقف الدين الحنيف المنازعات القبلية باشكالها الدموية ، وقد شعر المتحولون الى الاسلام بنوع من الاستقرار كانوا يتعطشون اليه كثيرا من قبل ، وقد حرم الاسلام الغزو والسلب فاتجهت القبائل الى العمل الزراعي لتنتج اقواتها .

وكانت مقاومة الاسلام لتجارة الرقيق ، (التي كان يمارسها الاوربيون) عونا للافريقيين على صون قواهم البشرية ، ومن ثم انصرفوا الى التقدم والبناء ، وتركوا الترحل وحياة الغابات ليستقروا فى الارض الزراعية بصورة دائمة وعرفوا منذ استقرارهم قيمة الكنوز الدفينة فى الارض ، فزرعوا الاراضي الشاسعة بالحبوب والارز ، وقد ارتبطت الزراعة فى الفوتاد جالون (غينيا) بالقدسية التي كان يتمتع بها رجال الدين ، فالفلاحون هناك يطلبون الى الامام ان يتدحرج بجسده على الارض بعد زراعتها لمنحها الخصب ، وربما كان ذلك من رواسب الوثنية .

ولقد احتاج الطلاب الذين يتعلمون فى كنف احدى الطرق الدينية والدعاة الذين يقيمون فى الزوايا لامد طويل بقصد نشر الاسلام ، احتاج كل هؤلاء الى ما يسد الرمق ليتابعوا مهماتهم المتنوعة الكثيرة ، ولم يجدوا امامهم الا الاراضي يزرعونها ويقتاتون منها .

ثم ان المريدية قد حثت اتباعها على العمل فى الزراعة ورصدت الارباح الناجمة عن ذلك لتدعيم الدعوة (٭٭) وقد اعترف الفرنسيون بان زراعة الفستق فى السنغال ، ذلك المحصول الذي جنى الفرنسيون من احتكاره الارباح الطائلة قد انتشرت بفضل المسلمين الذين استقروا فى اراضي السنغال الخصبة وكان شعارهم : (من يزرع يأكل) .

وقد نظم الافريقيون امور الزراعة من اجل الكسب الشريف تنظيما تعاونيا يتفرع الى جميع انحاء النشاط الاقتصادي الزراعي من خزن المحاصيل الى الى بيعها او نقلها او تصديرها .

3 — في الصناعة : وكما قدم الاسلام للافريقيين المبررات النفسية والاجتماعية للعمل فى الزراعة والتجارة فانه خلق نوعا من النشاط فى الصناعة اليدوية فاصابت تقدما ملحوظا .

وكان وصول الاسلام الى افريقيا الغربية قد آذن بانقضاء عادة العرى الوثنية ، وحث الناس على ارتداء الملابس فازدهرت نتيجة لذلك حياكة الملابس وصناعة النسيج وكانت تومبوكتو ، منذ نشاتها ، تشتهر بصناعاتها النسيجية كما يقول المؤرخان كاتي وديوب الافريقان .

ومن جهة أخرى فان الصناعات الاستهلاكية المحلية قد نمت نموا عظيما فقد انتفع الافريقيون بالثروة الحيوانية فى بلدانهم انتفاعا كبيرا فظهرت الدباغة واشتهر امرها خلال القرون الوسطى فى البلدان العربية بشمال افريقية ، وكان الافريقيون يصدرون انواعا من الاحذية الى تلك البلاد ضمن حركة التبادل التجاري .

٭ عالم الاسلام ، دراسة جغرافية للعالم الفرنسي دي بلانول .

٭٭ المريدية : طائفة من الدعاة فى السنغال تزعمها احمد بامبا وقد نشطت فى الدعوة الى السلام الى ما بعد الحرب العالمية الاولى .

وكانت مواقف الاسلام ضد الوثنية العنيفة المهاجمة تقتضي ان يدفع المسلمون غوائلها ، واضطرهم ذلك الى صناعة انواع من الاسلحة التي يحتاجون اليها في الحروب وفى مقاومة الحيوانات المفترسة وفى الصيد ، وكان الحدادون يمثلون مكانة مرموقة فى المجتمع الافريقي وكانت صناعتهم رائجة نظرا لحاجة الفلاحين الى الادوات الزراعية ولحاجة العمال اليدويين اليها فى النجارة والدباغة والحياكة ، وكان قيام قبائل السونغاي بتشكيل دولة على النيجر نوعا من التكتل الاسلامي ، وكان وجود هذه الدولة على ضفاف نهر النيجر العظيم قد دعاها الى انشاء اسطول تجاري وحربي يمخر عبابه ، ومن الطبيعي ان تنشط صناعة القوارب باشكالها المختلفة ، وكان الصيد فى هذا النهر قد ادى الى ظهور صناعة تجفيف السمك التي اختصت بها مجموعة من سكان المدن النهرية وقد استطاع الافريقيون ان يستغلوا الثروة الذهبية فى بلادهم بمساعدة جماعة من التجار العرب من شمال افريقية ، واشتهرت فى هذه الصناعة منطقة البورة فى غينيا Bouré ومنطقة البامبوك Bambouk فى السنغال، وقد أكد المؤرخ كولبان ان سبائك الذهب الافريقية قد وصلت الى بلدان البحر المتوسط ، ولم يتقن الافريقيون هذه الصناعة الا عند ما دخل الاسلام الى بلدانهم تعرفهم قيمة الذهب فى الحياة الاقتصادية .

وكانت صناعة الاسلحة فى دولة الحاج عمر راقية متطورة تشهد بذلك موجودات المتاحف الفرنسية وكان عند الحاج عمر جماعة من الصناع يتقنون اصلاح الاسلحة النارية التي اشتراها الحاج عمر من السيراليون ، وكان هذا السلطان يحث اتباعه على الاستمرار فى استخراج الذهب حتى يتمكن من شراء الاسلحة لمقاومة الاستعماريين ، كل هذا ، ما كان له ان يحدث لولا سلطان الاسلام ، لان الوثنية لم تكن فى مستوى مقاومة الاستعمار من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية ، لقد تهالكت الوثنية تحت اقدام المستعمرين لانه لم يكن لها سند الدولة المنظم .

كان شعار الوثنيين : انتظر ثمار الاشجار حتى تسقط ، وكان شعار الافريقيين المسلمين : اعمل واكسب من الطريق الشريفة والوسيلة النزيهة .

دمشق : نعيم قداح



الوصايا العشر

للأستاذ : محمد عمر داعوق

الحمد لله الذي شرع لنا من الدين ما وصى به جميع الانبياء والصلاة والسلام على رسوله معلم الناس الخير وهاديهم الى الصراط المستقيم .

اما بعد ، خمس كلمات عرضها رسول الله (ص) على اصحابه يوما وانزلها منزلة العقلاء لاهميتها عند الله فقال : « من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن ؟ » وكان ابو هريرة بين الحضور وكما نعرفه دائما حريصا على كل خير فاسرع مجيبا انا يا رسول الله .. ومعنى هذا اني مستعد لاخذها والعمل بها ثم تعليمها للناس ليعملوا بها . فاخذ النبي (ص) بيده وعد خمسا : « اتق المحارم تكن اعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس ، واحسن الى جارك تكن مؤمنا ، واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » .

هذا الحديث الهام الذي جمع صفات الكمال التي تجعل من الانسان العادي مسلما مثاليا ومؤمنا مهيبا ، نأخذ منه الوصية الاولى فقط وهي التي جمعت الوصايا العشر التي وردت في القرآن الكريم وهي قوله تعالى في سورة الانعام « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : 1) الا تشركوا به شيئا 2) وبالوالدين احسانا 3) ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم 4) ولا تقربوا الزنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن 5) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون 6) ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده 7) واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها 8) واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى 9) وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون 10) وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

قارئي الكريم ، لقد جمع الله عز وجل هذه المحارم مجملة في سورة الانعام ومفصلة في سورة الاسراء تبدأ من قوله « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » واخبرنا اننا اذا اجتنبنا هذه الكبائر كفر عنا سيئاتنا الاخرى وادخلنا مدخلا كريما فقال : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » وكما في قوله متسامحا ومتجاوزا عن الذنوب « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة » .

فالوصية الاولى النهي عن الشرك الذي هو اكبر الكبائر اذ انه تعالى لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقد اخبرنا رسول الله (ص) ان اكبر الكبائر الاشراك بالله ثم عقوق الوالدين ثم شهادة الزور ، ولقد هدد الله عز وجل رسله جميعهم باحباط العمل والخسران المبين ان هم اشركوا به شيئا فقال لنبيه : « ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » .

وهكذا نرى ان لا عمل ينفع مع الاشراك مهما كان كبيرا وصالحا ، وصدق الله العظيم اذ يقول في حق المشركين « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » لهذا سمي الاسلام بدين التوحيد اي افراد العبودية لله عز وجل فقط بلا وساطات ولا شفاعات وقد ذم سبحانه الذين عبدوه من طرق ملتوية وواسطة ما انزل الله بها من سلطان فقال عنهم « ما نعبدهم (اي الاصنام) الا ليقربونا الى الله زلفى » وصدق رسول الله (ص) اذ يقول لابن عمه : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . الى آخر الحديث المشهور » .

اما الوصية الثانية فهي النهي عن عقوق الوالدين والامر ببرهما والاحسان اليهما كما في قوله تعالى « ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » وقد علمنا ان الكبيرة الثانية في حديث النبي الآنف الذكر هي عقوق الوالدين ، والعقوق هو نكران للجميل وكفران للحقوق والمؤمن ليس بكافر ولا ناكر ، والقصة الشهيرة التي وقعت على عهد رسول الله (ص) اكبر شاهد على ان الله عز وجل لا يقبل من العاق صرفا ولا عدلا . فقد حضرت الوفاة شابا صالحا وجاء الصحابة يلقنونه الشهادة فلم يتحرك بها لسانه فعلموا ان شيئا يحجزه عن ذلك فاخبروا رسول الله (ص) بذلك فارسل الى امه وسالها عن حالها مع ابنها فاخبرته انها غير راضية عنه لتفضيله امراته عليها ؛ فطلب اليها ان ترضى عنه والا دخل النار ، فلما ابت قال لاصحابه اجمعوا لي حطبا حتى احرقه في النار فرق قلبها حينئذ ورضيت عنه فاذا بولدها يحل عقاد لسانه وينطق بالشهادة ثم يختم له بالخير ولولا رضا امه عليه لدخل النار رغم اعماله الصالحة وهكذا كان عقوق الوالدين من الكبائر التي حرمت علينا .

اما الوصية الثالثة فهي الوثوق بما عند الله من رزق فلا نقتل اولادنا خشية الفقر ، والاجهاض بعد تكوين الجنين قتل للولد وهو كبيرة من الكبائر المحرمة على المسلمين فضلا عن انها شك بما عند الله من رزق وخير ؛ والمؤمن عادة يكون بما في يد الله اوثق منه مما في يده هو نفسه . لهذا كان قتل الولد جريمة مزدوجة نسال الله حسن اليقين .

اما الوصية الرابعة فهي النهي عن اقتراب الفواحش على جميع انواعها مثل الزنا واللواط والسحاق والاستمناء وغيرها سواء كان ذلك بالسر او العلن ؛ وقوله تعالى ولا تقربو اي لا تفعلوا المقدمات حتى لا تقعوا في الفاحشة نفسها مثل قول الشاعر : نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ، وهذه كلها مقدمات الفاحشة وما يقال عنها يقال عن الخمر التي تسهل الفاحشة لما تسلب من وعي وتخامر العقل . يروى ان شابا صالحا دعته امراة لبيتها وغلقت عليه الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، فلما استعصى عليها رفضت ان تفتح له الباب وهددته بالفضيحة بحجة انه اقتحم عليها بيتها ، ثم خيرته بين احدى ثلاث : اما ان يشرب الخمرة التي كانت بجانبها او يقتل غلاما كان في بيتها او يستجيب للمراودة ، ففكر الشاب قليلا وانتقى باجتهاده اخف الاضرار الثلاثة وكان لم يذق طعم الخمر من قبل فشربها فاضاع صوابه فكان ان قتل الغلام وزنا بالمراة ، وهكذا قربته الخمرة من الفاحشة والجريمة فأتاهما معا ، لهذا يوصينا رب العالمين ان لا نقرب الفواحش حتى لا نقع فيها وصدق رسول الله (ص) اذ يقول « الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه » نسال الله تعالى العافية .

اما الوصية الخامسة فهي النهي عن قتل النفس البريئة اذ ان خراب الارض جميعا اهون على الله من قتل نفس بغير حق لهذا يقول : « ومن قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا » ثم يقول مهددا ومتوعدا المجرمين باربع قوارع « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا اليما » لهذا كان قتل النفس من الكبائر التي لا يغفرها الله .

اما الوصية السادسة فهي النهي عن اكل مال اليتيم والاقتراب من ذلك ومعنى هذا ان لا تستغل ضعف اليتيم فناكل امواله بالباطل ظلما فكانما ناكل في بطوننا النار قال تعالى : « ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وكفى بهذا التهديد رادعا عن هذه الكبيرة .. نسال الله ان يجعلنا من الذين قال فيهم رسول الله (ص) « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه » ولا يجعلنا من الذين قال فيهم « شر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » .

اما الوصية السابعة فهي النهي عن التطفيف في الميزان وعدم بخس الناس اشياءهم وهذا عبارة عن اكل اموال الناس بالباطل وقد هدد الذين يكيلون بكيلين ويزنون بميزانين كيل ميزان لهم وكيل ميزان للناس هددهم بالويل والثبور فقال : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وقد اهلك الله عز وجل قوما كانت هذه صفاتهم هم قوم شعيب عليه السلام (سورة هود) ، وهكذا نرى ان خسران الكيل والميزان غش واكل لاموال الناس بالباطل وهو من الكبائر التي حرمت علينا . وصدق رسول الله (ص) اذ يقول « من غشنا ليس منا » .

اما الوصية الثامنة فهي النهي عن شهادة الزور وعدم الميل مع الاقربين مهما كان الحال وقد سبق ان ذكرنا ان شهادة الزور من أكبر الكبائر ولا عجب فهي التي اجلست رسول الله (ص) بعد ان كان متكئا وظفق يكررها بغضب حتى اشفق الصحابة عليه من شدة انفعاله وقالوا ليته سكت رحمة به ، وقد جعل الله عز وجل قول الزور صنوا للاوثان فقال « فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » ، والمؤمن صادق لا يكذب وقد اخرج الله عز وجل الذين يفترون الكذب من الايمان فقال : « انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله . » وهكذا نرى ان الكذب وشهادة الزور من الكبائر التي حرمت علينا .

اما الوصية التاسعة فهي النهي عن نقض العهود والمواثيق سواء كانت شفوية ام كتابية ، وخاصة التي جعلنا الله عليها كفيلا قال عز وجل « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » فنقض العهود من الكبائر التي تستوجب اللعنة ونار الجحيم ، قال تعالى « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

كما وصف الله عز وجل الذين ينقضون العهود بشر الدواب فقال : « ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » .

اما الوصية العاشرة فهي النهي عن اتباع المذاهب المستحدثة والمبادىء المبتدعة وترك القرآن الذي هو الصراط المستقيم ، يروي انه لما نزلت هذه الآية كان بيد رسول الله (ص) عصا فرسم بها على الارض خطا غليظا مستقيما ثم رسم على طرفي الخط خطوط رقيقة ملتوية تخرج من الخط كالفروع وقال هذا صراط الله واشار الى الخط المستقيم ثم قال وهذه هي السبل التي تتفرق بكم عن الصراط واشار الى الخطوط الملتوية على طرفي الخط المستقيم ؛ وهكذا نرى الانصراف عن مبادىء الاسلام وتعاليم القرآن وتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام الى غيره من المبادىء والمذاهب كبيرة من الكبائر التي صرفها الله .

هذه هي الوصايا العشر في القرآن الكريم جمعها رسول الله (ص) في كلمة واحدة من وصيته المؤلفة من خمس كلمات فقال : اتق المحارم تكن اعبد الناس .

جعلنا الله من الفضلاء المتذكرين المتقين كما في آخر كل آية من الآيات الثلاث حتى نكون من اعبد الناس .

والحمد لله رب العالمين .

محمد عمر الداعوق





فقوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) ، اي يوهمون الله والذين آمنوا بقولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين حقيقة ، ظنا منهم لجهلهم وسخافة عقولهم ان الله تنطلي عليه الحيل والخدع ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، ولخساسة ما يظنون وما يفعلون ، قال تعالى :(وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون) ، بهذا الخدع الراجع الى انفسهم لعمايتهم وعدم ادراكهم ان الله مطلع على مايسرون وما يعلنون ، ثم ذكر السبب الحامل لهم على ظنهم ان الله يخدع ، وهو مرض قلوبهم فقال : (فى قلوبهم مرض) ، بسبب الشك والجهل بالله وصفات كمالاته ، (فزادهم الله مرضا) جهلا على جهلهم ، يعني ان الاسلام كان سببا فى زيادة جهلهم وفشوه وانتشاره حيث لم تنفذ عقولهم الى ما فيه من اسرار وحكم ، وفضائل ومزايا ، وشاع وانتشر بين الناس قصورهم عن ادراك هذا الفضل العظيم الذي ادركه المومنون حقيقة ، ثم هددهم تعالى بقوله (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) ، وقوله تعالى حكاية عنهم : (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون) ، اي انكروا كون ما يضرون به الاسلام والمسلمين فسادا ، وزعموا انه نفس الاصلاح لان فى ظنهم ان ما يتعاطون من ذلك هو قضاء على الاسلام واهله ، ثم رد القرآن بقوله (الا انهم هم المفسدون) بما يبيتون به للاسام واهله ، (ولكن لا يشعرون) ، اي تبييتهم هذا لا يفيدهم شيئا ، وان الاسلام سوف ينتشر ويعم وجه الارض بالرغم مما يصنعون لايقافه وما يصنعه غيرهم كذلك ، وقوله تعالى : (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) ، اي المؤمنون حقيقة (قالوا انومن كما آمن السفهاء) ، اي انؤمن كما آمن الطائشون الناقصون العقول الذين لا ثبات لهم على المبدا ولا على ما كان عليه اسلافهم فسموكم ايها المسلمون سفهاء ، (الا انهم هم السفهاء) ولكن لغفلتهم وقلة شعورهم وعقولهم لا يعلمون) ، انهم هم السفهاء حقيقة ثم قال تعالى حكاية لحالة من احوالهم فى النفاق القائم بهم (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) ، بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده ، اي اظهروا الاسلام ارضاء لكم وتعمية لاحوالهم ، (واذا خلوا الى شياطنهم) ، الى بعضهم او كبرائهم (قالوا إنا معكم انما نحن مستهزءون) بالمسلمين فيما نقول لهم ونوافقهم عليه ظاهرا وذلك شان ذي الوجهين الذي لا مبدا له ولا قرار له على شيء ، يريد أن يكون مع هذا الفريق وهذا ليهنا مع الجميع ويطيب له العيش وما هو بالغ ذلك كله ، ولذلك قال تعالى : (الله يستهزيء بهم) يجازيهم على اقوالهم واعمالهم هذه من جنس ما قالوا وما عملوا ، والاستهزاء طلب الهزء وهذا المزاح قصد الاستخفاف بالغير ، وقوله تعالى : (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) ، اي يمهلهم فى تجاوزهم الحد فى هذا العصيان يعمهون ، يترددون من الحيرة وعدم الثبات ، وقوله جل من قائل : (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) ، اي اولئك الذين بذلوا الهداية فى الضلال وفرطوا فيها من اجله ، وعبر عن ذلك بالشراء ليفيد ان ذلك عن مكايسة وروية وقصد واختيار ، كما يفعل المشتري الشيء فى حالة شرائه غالبا فانه لا يشتريه الا بعد التقليب والتروي والرضى وفى ذلك من التسفيه لهم والتبكيت ما لا يخفى ، اذ الرشيد الذي هو على بينة من امره لا يبذل الحسن فى القبيح ولا يختار الفساد على الصلاح ولذلك اكد تعالى هذا التسفيه بقوله : (فما ربحت تجارتهم) ، شراؤهم بقصد الربح والاتجار (وما كانوا مهتدين) موفقين فى وجه الاختيار.

وقوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم وتركهم فى

ظلمات لا يبصرون) أي مثل هؤلاء المنافقين فى دخولهم للاسلام ظاهرا واحتمائهم به وانتفاعهم بتشريعه حيث عاملهم معاملة الحالة الظاهرة عليهم ، وهي حالة الاسلام ولم يواخذهم بما تكنه بواطنهم من الكفر كمثل من طلب ايقاد نار ليهتدي بها الى شيء اخفته الظلمة عليه ، وهي هنا الكفر ، فلما اضاءت هذه النار بنورها ما حوله حتى ابصره وكشف له واشتاقت نفسه اليه ، ذهب الله بنور تلك النار وتركهم فى ظلمات متكاثفة لايبصرون شيئا ، ــ شبه القرآن ــ دخول هؤلاء المنافقين فى الاسلام ظاهرا قصد الانتفاع به فى الدنيا بمستوقد النار قصد الانتفاع بنورها والاهتداء به الى شيء اخفته الظلمة عليه وحالت بينه وبينه وشبه انتفاعهم بالاسلام ذلك الانتفاع اليسير وهو معاملتهم فى الدنيا معاملة المسلمين باضاءة نور النار ما حول المستوقد لها ثم ذهابه بسرعة ثم يأسهم من عود ذلك النور اليهم للانتفاع به مرة اخرى بقوله تعالى: (صم بكم عمي الآية) ، اي انهم فاقدون لالات الاستفادة الثلاث : السمع والكلام والبصر للخروج من تلك الظلمة ظلمة النفاق فهم غرقى فيها الى الابد عياذا بالله .

ويحتمل ان يكون معنى هذا المثل (مثلهم) ومثلك يامحمد معهم كمثل الذي استوقد نارا قصد هداية الناس بنورها فلما اضاءت ما حوله واهتدى الناس وانتفعوا بها ذهب الله بالنور الذي كان معدا وصالحا لاهتدائهم به ، فاضافة النور اليهم على هذا الاحتمال وان كان لا كسب لهم فيه ولكن من جهة صلاحيته لاهتدائهم به اضيف اليهم والاضافة تقع لأدنى ملابسة، (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) ما ينتفعون به فيكون المعنى على هذا الاحتمال الثاني تشبيه النبي عليه السلام فى اتيانه بشريعة الاسلام وهداية الناس بها بمستوقد نار قصد الاضاءة بنورها والانتفاع بها ، وتشبيه شريعته وما فيها من النفع وهداية الناس للخير بالنور الناشيء عن استيقاد تلك النار ، وتشبيه حال المنافقين فى حرمانهم من الانتفاع بشريعته على الدوام والاستمرار ، بذهاب نور تلك النار عنهم وبقائهم فى ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصرون ، ثم اكد دوام هذه الظلمة عليهم بقوله سبحانه : (صم بكم الآية) ، وعلى هذا الاحتمال الثاني يكون القرآن نزل احتماء المنافقين بالاسلام وانتفاعهم بمظهره منزلة العدم حيث لا دوام له .

وقوله تعالى : (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الآية) ، اي ان مثلك ومثلهم ، كمثل صيب: مطر غزير من السماء ، لان المطر الذي يتسبب منه الظلمات والرعد والبرق شانه ان يكون غزيرا ، وذكرت السماء وان كانت من لوازم المطر لزيادة التصوير ، ونزلت شدة ظلمة هذا الصيب بكون متقلا بالماء جدا منزلة ظلمات متعددة ، (يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق) ، الضمير فى يجعلون عائد على المنافقين العائد عليه ضمير مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الخ ، والصواعق هي الرعود الشديدة الصوت ، قال الراغب فى مفرداته : الصاعقة هي الصوت الشديد فى الجو ، ومعنى الكلام يجعلون اصابعهم فى آذانهم من اجل الصواعق حتى لا يسمعونها على شدتها ، فيقضى عليهم من هولها ، ولذلك قال حذر الموت واعيد ذكر الرعد بلفظ الصواعق ليفيد ان المقصود من الرعد الاول ، الرعد الشديد الهول ، ، لا مطلق الرعد ، وقوله تعالى: (والله محيط بالكافرين) أي حاشرهم ومبقيهم على الدوام فى خوفهم ودهشتهم من تلك الصواعق ، ثم قال تعالى : (يكاد البرق يخطف ابصارهم) ، يعني ان هؤلاء المنافقين دائما وابدا فى هولين عظيمين احدهما ماتقدم من خوفهم من اجل الصواعق ، والثاني خوفهم على ابصارهم من البرق ثم ذكر تعالى لهم حالا اخرى مع هذا البرق وهي حيرتهم وعدم ضبطهم لاحوالهم فقال ، (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اهتداء بنوره (واذا اظلم عليهم) انقضى وذهب (قاموا) ، وقفوا حيارى لا يدرون كيف يتقدمون او يتاخرون (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) ، فلا يسمعون تلك الصواعق ولا يبصرون البرق وما يهددهم به من ذهاب نور عيونهم ولكن شاء ان لايذهب بذلك منهم ، حتى يبقوا فى محنة وهول شديدين دائما وابدا فيكون القرآن فى هذه المثل ، شبه النبي عليه السلام وما جاء به من شريعة الاسلام والخير الكثير الناتج عنها بالمطر الغزير العام النفع ، وشبه ما فى شريعته من الزواجر والوعيد المزعج لهؤلاء المنافقين بالظلمات والرعد والبرق المخيف ، وشبه هؤلاء المنافقين فى حيرتهم وخوفهم من افتضاح امرهم امام هذه القوارع بحالة من يجعلون اصابعهم فى اذانهم خوفا مما يترتب على الصواعق من الفزع المهلك وعلى البرق من الذهاب بالعين ونورها .

ثم ان ما ورد فى احوال المنافقين الموجودين زمان البعثة من هذه الآيات التى سمعتها وصورت لك احوالهم فيها وفى غيرها من الآيات والاحاديث النبوية لا يختص بهم وحدهم ولا يقصر عليهم دون غيرهم فان لكل زمان دجالين ومنافقين يظهرون الاسلام والمحبة اكثر من غيرهم والشفقة على ما صار اليه اهله وهم فى

الباطن يكرهونه ويعملون على خرابه وتقويض اركانه ، رجاء نيل نعمة او دوامها أو الترقي فيها أو دفع ضرر أو نقمة عنهم ، فمهما تحققت هذه الاوصاف فى فرد أو جماعة الا ونالتهم هذه الآيات وشبهها بالذم والوعيد منطوقا ومفهوما ؛ اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الوارد عليه ذلك اللفظ ، ولذلك يقول الاصوليون الوارد على سبب خاص معتبر عمومه عند الاكثر .

وقول الله سبحانه : (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الآية) قال الامام الشافعي فى تفسيره : ان هذا الخطاب لاهل مكة ، والاقرب عندي انه خطاب للمنافقين ، وان الكلام لا زال فيهم وذلك ليكون الكلام متصلا بعضه ببعض ، اذ سياق الكلام كان فيهم وفى بيان احوالهم كما علمت ، وذلك من قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية) .. ويكون خطابهم فى هذه الآية لونا آخر من الكلام غير ما تقدم اذ بعد ما خاشنهم فيما تقدم واظهر نقصانهم وفضح سرائرهم حتى لا يغتر بهم الناس ولا تنطلي عليهم حيلهم ، عاد وخاطبهم عن طريق الحجة وتحريك عاطفتهم باستلفات نظرهم الى ما يحركها من خلق الله لهم وجعل الارض فراشا لهم .. الخ .. ويكون المقصود من الكلام الاول نشر الدعاية ضدهم اتقاء لشرهم ، والمقصود من هذا الكلام الاخير استجلاب قلوبهم للاسلام حقيقة واستمالتهم اليه بقوله تعالى : (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) يا ايها المنافقون لا تبقوا على نفاقكم واشراككم باطنا برب غيره بل وحدوا ربكم بالعبادة ، الذي خلقكم واوجدكم واوجد الذين من قبلكم (لعلكم تتقون) بتلك العبادة (النار التي وقودها) حطبها (الناس والحجارة) (اعدت) هيئت (للكافرين) بربهم (الذي جعل لكم الارض فراشا) مبسوطة مهياة لقيامكم وقعودكم ونومكم ويقظتكم كالثوب المفروش لهذه الاحوال (والسماء) على عظمها وكبر جرمها (بناء) سقفا محكم البناء لا يؤثر فيه تعاقب الايام ولا توالي العصر (وانزل من السماء) من العلو اذ كل ما علاك يسمى فى اللغة سماء فالسماء فى هذا اللفظ غير السماء فى اللفظ السابق (ماء) مطرا نافعا اذ التنوين يراد لبيان النوع ، ولذلك قال تعالى : (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) يعني ان اخراج الرب للثمرات بالماء المقصور منه رزقكم ونفعكم لا عبثا ، تعالى الله عن ذلك ، او من غير قصد بالكلية ، وفى ذلك من استجلاب عاطفتهم لعبادته ما لا يخفى ، ثم اكد الامر السابق فى قوله اعبدوا ربكم الخ .. بقوله : (فلا تجعلوا لله اندادا) اي شركاء فى عبادتكم له ، (وانتم تعلمون) انه لا رب سواه وانه يامركم بافراده بالعبادة بعد ما اقام لكم الدليل على استحقاقه هذا الانفراد .

ثم بعد ما قرر القرآن الدليل فيما سبق على استحقاق الله الانفراد بالعبادة التفت الى تقرير نبوة النبي عليه السلام والاستدلال عليها بخصوص القرآن الذي ليس من جنس الكلام الذي يعهدونه من البشر مثلهم ، ويقرر لهم انه لو كان على اساليب كلام البشر وما يعهدونه منهم من مدارك وغيرها لقيل انه من كلام محمد او من كلام بشر آخر القاه اليه ، اما وقد جاء على خلاف ذلك كله فذلك دليل على انه من عند الله اوحاه اليه بصفته رسولا منه الى خلقه ، وذلك فى قوله تعالى: (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الآية) اي وان كنتم فى شك من كون القرآن من قبلنا بل هو من تلقاء محمد او من بشر آخر علمه اياه فجيئوا انتم بسورة مثل السور المعهودة فيه فى بلاغتها وحكمتها وما اشتملت عليه من علم وتشريع وغير ذلك، واحتجوا حينئذ بما جئتم به من تلك السور على انه ليس منفردا بالاتيان بجنس ذلك الكلام الذي ادعى الانفراد بالمجيء به ، وكونه علامة على نبوته (وادعوا شهداءكم من دون الله) ليشهدوا لكم بمماثلة ما اتيتم به لتلك السورة من القرآن اي ادعوا بلغاء العرب واساطين الفصاحة الذين يتحكمون عادة فى رقاب الكلام وموازنة بعضه ببعض (ان كنتم صادقين) فى انكم مرتابون حقيقة فى كون القرآن من عند الله وفى ان فى قدرة البشر ان ياتي بمثله ، وانما قال : (من دون الله) اشعارا بان الله متبريء منهم ومما يأتون به قصد معارضة القرآن ، وعالم ان ما ياتون به هو دون جلالة القرآن وجزالته وهو سبحانه اجل من ان يستشهد على جور وانحراف .

ويحتمل ان يكون المراد من ذلك اننا نستدل على نبوة عبدنا محمد فيكم بالطرق العادية المتعارفة لديكم وهو تحكيم فحول البلاغة واساطين الكلام ، لا بالطرق الغيبية الراجع امرها الى الله كالمباهلة التي دعا اليها القرآن اهل الكتاب (فان لم تفعلوا) بان لا تاتوا بسورة من مثله ثم اياسهم من هذا الاتيان تعجيزا لهم بقوله تعالى : (ولن تفعلوا) ، لان «لن» تفيد تاكيد النفي فى المستقبل اي بان عجزتكم عن ذلك (فاتقوا النار) بتوبتكم من جحد رسالة محمد وادعائكم افتراءه القرآن من عندية نفسه (التي وقودها (حطبها) الناس والحجارة) وحكمة ذكر الحجارة من وقودها ، الاشارة الى شدتها فانه لا تصهر ولا تذاب الا اذا

كانت شديدة الحر للغاية وفي الدرجة القصوى منـــه اعدت للكافرين الذين يموتون على كفرهم من غير توبة منــه ولا رجوع عنــه .

هذا وبعد ان حاذينا في تفسيرنا لهــذه الآيــــة الكريمة ما كتبه المفســرون فيها من كون وجه اعجـــاز القرآن بلاغته وخروجه بها عن مالوف فطاحل البلغاء ، وهو الذي يرشد اليه قوله تعالى : (وادعوا شهداءكم من دون الله) وما زاده على البلاغـة المرحوم الجليـــل الشيخ محمد عبده رحمه الله من اشتمال القرآن على العلم والحكمة والتشريع وغير ذلك وقفنا للشيخ فريد وجدي مد الله في حياته في مادة (قرا) من دائرة معارفه على تفسير في وجه اعجاز القرآن من ناحية اخرى نقتطف منه ما امكننا اقتطافه ، لانه كلام طويل ، قال ادام الله بركته : « حصر المتكلمون في اعجاز القرآن اعجـازه في بلاغته ، واننا وان كنا نعتقد ان القــرآن بلــغ الغايــة القصوى في البلاغة ، الا اننا نرى ان البلاغة ليست هي اكثر جهة اعجازه » الى ان قال ، بعد كــلام « فوجب على الناظر في ذلك ان يبحث في وجه اعجازه في مجـــال آخر يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى الذي كان للقرآن على عقول الجاحدين به)) ثم قال ((العلة في نظرنا واضحة لا تحتاج اكثر من التامل ، وهــي ان القــرآن روح من امر الله تعالى ، ثم استشهد بقولــه تعالــى : (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) فهو يؤثر بهذا الاعتبار تاثير الروح في الاجساد فيحركها ويتسلط على احوالهــا ، فقولــه تعالى : (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) يكفــي وحده في ارشادنا الى جهة اعجاز القرآن وقصور الجن والانس على الاتيان بمثله . كلامه ، فانظره فانه كــلام نفيس طويل اتى فيـه على امثلة كثيرة من اعجازه بهــذا المعنى ، قال المفسر عفا الله عنه ورغما عن نفاسة كلام فريد وجدي ودقة نظره في استخراج وجه اعجازه من كونه روحا من امر الله ، فان الآية التي نفسرها هنــا تقتصر ان يكون وجه اعجازه في بلاغته ، بدليل الاحتجاج بطلب معارضته وعرضه على بلغاء العرب ، نعم لا تقتضي هذه الآيــة حصر وجــه اعجـازه في بلاغتــه ، ولذلك استنبط الشيخ عبده وجوها اخرى واستنبط فريــد وجدي هذا الوجه ، وسـيستنبط غيرهم وجوها اخــرى والقرآن بحر زاخر لا تنقضي عجائبه لا سيما والفقهاء والاصوليون يقولون ان العلل لا تتزاحم .

وقوله تعالى : (وبشر الذيــن آمنــوا وعملـــوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتهــا الانهــار) الذي ظهر لي في ارتباط هذه الآية بما قبلها ان الذيــن آمنوا المبشرين فيها هم خصوص الذين كانوا منافقين ثم اقلعوا عن نفاقهم وآمنوا بالله ورسوله ايمانا صادقا، اي بشـر هذا الفريق بان لهم جنات تجري من تحتهــا الانهار ، وان ما كان صدر منهم من نفــاق فيما قبــل لا يضرهم ولا يقعد بهم عن اللحاق بمن سبقهم للايمان وان لهم من خواص الجنة مثل ما لهم ، لأن الحســنــات يذهبن السيئات ، ولأن الاسلام يجب ما قبله من الكفر والنفاق ، اي بشـر الذين تابـوا من نفاقهــم وعملــوا الصالحات كما يفعل المسلمون الحقيقيون ان لهم جنات متعددة للتلذذ والتنعم بنعيمها وباختلاف كيفياتهــا أو اشكالها وانواعها تجري من تحتها الانهار ، وان في هذه الجنة ما يضمن عادة رونقها ويحفظ بهجتها ونسيمها ، وهو جري الانهــار واطرادها من تحتهـــا اي من تحت ظلال اشجارها ، لان الغروس وثمارها ونضارتها لا دوام لها بدون ماء كاف لارواثهـــا ، لاسيما وجري الانهــار وسط الاشجار مما تلتذ به الانفس ويزيد متعة بالجنات (كلما رزقوا منها) من الجنات (من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبــل) اي ان اعــداد هذه الجنــات لنعيمهم والترفيه عليهم في احوالهم يجعلها مما لاتنفــر الطبــاع من ثمارها لشرابتها عن المالوف والمعتاد هناك ولا تشمئز منها الاذواق ، بل يقبلون عليها اقبال المشتهي لها قابلين هذا الثمر الذي رزقنا من قبل في دار الدنيا (واتوا به متشابها) لما في دار الدنيـــا (ولهم فيهـــا) في الجنات (ازواج مطهرة) من كل عيب ونقص خلقي او اخلاقي (وهم فيها خالدون) دائمون غير مهدديـــن بالخروج منها ولا بزوالها وانقراضها .

ولم يتعرض القرآن ها هنا للباس اهل الجنـــة وفرشها واثاثها ، لأن ما ذكر هاهنا من انواع الرفاهيــة الزائدة على اصول الحياة المتعارفة للناس وقوله تعالى: (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضــة فما فوقها الآية) قدمنا في خطبة هذا التفسير ان القــرآن لا وحدة موضوع له ، وانه نزل مفرقا بحسب الاحوال والمقتضيات ، وبينا ذلك هناك غاية البيان ، وانه يعسر من اجل ذلك في بعض الأحيان وجود مناسبة لبعــض آياتــه ، ومن جملة ما عسر علينا وجود مناسبة له مع ما سبقه ، وما تاخــر عنه ، قوله تعالــى : (ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا الآية) فانظــر فان القــرآن بعدما كان يعارك المنافقين وينازلهــم بالحجة المشرقــة بالعطف واللين على افراد الله سبحانه بالعبادة ، وعلى نبوة النبي (ص) انتقل الى ذكر عدم استحياء الله مــن ضرب المثل لخلقه ، وما استتبع ذلك ، ثم عاد فرجــع الى تتميم منازلة المنافقين ومنازعتهم وذلك من قولــه

تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية) فالله اعلم بهذه المناسبة ، والعجز عن الادراك ادراك .

وما قصدت بهذا الا تحريك تفكير اقوام امدهم الله بما لم يمدنا به من قوة الفهم عساهم يجدون مناسبة قوية لذلك ، وبعد ما مرت ليال وايام بل شهور واعوام على هذه الكتابة اعدنا التأمل فى الآية وما سبقها ، فظهر لنا ان الله ضرب للمنافقين مثلين فى جهلهم وانحطاط اخلاقهم بقوله : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله الخ) وكانت عادة القرآن فى مخاطبة الكافرين أن يجمع لهم بين الشدة واللين والخشونة والرفق واستدرك الامر لهم ها هنا بقوله : (ان الله لا يستحيي الخ) اي ان شان الله سبحانه ان يصور بضرب الامثال أحوال الخلق وما هم عليه من استقامة واعوجاج ، وان كانوا ما كانوا حتى يستدركوا ما فاتهم من تلك الاستقامة ، وعليه فضرب ذينك المثلين للمنافقين ليس بدعا من الامر ، وهذا ما يؤكد ما ظهر لنا واستدركناه على الامام النسفي تبعا لعلقمة من ان قوله تعالى : (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) لا زال فى خطاب المنافقين فالحمد لله على ما ارشدنا اليه .
والاستحياء تغير وانكسار فى اخلاق المستحيي يظهر اثر ذلك على جوارحه ووجهه اذا نسب له او عرض له شيء يعتقد قبحه ، والمثل تعبير عن شيء بلفظ غيره لما بينهما من المناسبة والمشابهة ، وضربه ايجاده وذكره، والبعوضة هي البقة كما فى القاموس ، وهي من الحيوان المستحقر بين الناس ، وحيث كان الاستحياء بالمعنى الذي قررناه محالا فى حق الله تعالى ، اذ الله منزه عن التغير والتأثر وسائر العوارض ، فيكون المعنى ان الله لا يترك ضرب مثل من الامثال ، البعوضة فما فوقها ، اما فى الدقة والحقارة ، واما فى الكبر والعظمة لما فى ضربه من الفائدة والتعليم لخلقه ، بل يأتي به لمصلحتهم وتنشيط عقولهم وادراكهم ما خفي عنهم من الصفات والاحوال الواقعة فى الشيء المضروب فيه ، وهذا شانه سبحانه بضرب الامثال تربية لملكة عقولهم وارشادا اليهم كيف يقيسون الاشياء على بعضها ويشبهونها بها فيعبرون عنها بلفظ تلك الاشياء المشبه بها حتى كأنها هي ، فقد كثر فى الكتب السماوية القديمة ضرب هذه الامثال ، وقد خصصت سورة من الانجيل لذكر الامثال ، وفى القرآن الشيء الكثير من ذلك مفرق فى غير ما سورة (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه) اي المثل (الحق) الوارد (من ربهم) على لسان نبيه فيذعنون له ويتفهمون فى معانيه ويتأملون فيما قصد به (واما الذين كفروا) جحدوا وحدة الله ونبوة نبيه محمد (ص) فيستفهمون عنه استفهام انكار واحتقار، (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ولو انصفوا لراوا ما قصد به من الهداية والابانة عن معنى لا يتضح كل الاتضاح الا بضرب ذلك المثل (يضل به) ، بهذا المثل (كثيرا) من خلقه (ويهدي به كثيرا) من خلقه كذلك ، واضلاله سبحانه من اضل به بابعاده واخراجه عن طريق الرشد والصواب ، أي تقوية للشبهة عليهم بسببه حتى لا يهتدوا الى ما قصد به ضربه وهدايته سبحانه من هداه به بارشاده الى كيفية اخذ العبرة ووجه الحكمة فيه ، ثم بين تعالى الفريق الذي يضله به ، وفى بيان علة اضلاله وهي فسقه وخروجه عن الجادة والصواب ، فقال تعالى : (وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) عهد الله هاهنا ما فطر وطبع عليه البشر من ادراك انه لابد لهذا الكون من خالق يخلقه ويدبر أمره ، ونقضه هو العمل خلافه واشراك الله بغيره من بعد ميثاقه ، من بعد احكام عقده بقيام الادلة والحجج العقلية والعادية على وجوده وانفراده بشؤون خلقه ، (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وسر شرائعه السماوية الآتية من قبله الى رسله لخلقه ، ووصلها ، احترامها والعمل على ما فيها من أمر ونهي (ويفسدون فى الأرض) يضرون الخلق (أولئك هم الخاسرون) ، الخسران نقص مال التجارة، وعبر به ها هنا عن سوء حال هؤلاء الذين يضلهم المثل وهم الفاسقون كما تسوء حالة من خسر فى تجارته بنقص ماله واختلاط أمره عليه .

ثم عاد القرآن الى محاجة المنافقين باستلفات نظرهم الى الحجة التي لا يمكن للعقل أن ينكرها وهو ايجادهم بعد العدم ، ثم اعدامهم بعد الوجود ، وادراج حياة البعث فى مقام الاحتجاج بقصد التخويف والتهديد لا بقصد الاحتجاج ، اذ الذي يحتاج فى اثباته الى اقامة الدليل لا يصح الاحتجاج به ، فقال : (كيف تكفرون بالله) ، أي كيف تجحدون وجوده وقد اقام لكم الدليل من انفسكم على وجوده وذلك فى قوله تعالى : (وكنتم امواتا) ، عدما محضا ، (فأحياكم) ، خلقكم واوجدكم ، (ثم يميتكم) ، يصيركم عدما بالموت، فمن يفعل ذلك بكم منكم أو من غيركم سوى الله وحده، أو هل ايجادكم واعدامكم قاما بكم من غير فاعل اصلا ، وذلك محال عقلا اذ الأثر لا يقوم بنفسه ، وانما يقوم به غيره (ثم يحييكم) ، يبعثكم ، (ثم) ، بعد الموت (اليه ترجعون) وحده فى حسابكم وعرض اعمالكم عليكم والجزائكم عليها ، ثم احتج تعالى عليهم بحجة

اخرى هي في عداد الحجة التي سبقت والتي لا يمكن للعقل انكارها وفيها زيادة تحريك عواطفهم الى الاقرار بالله ، حيث ذكر ان جميع هذا المحتج به انما خلقه لاجلهم ، فقال : (هو الذي خلق) ، اوجد (لكم) لا لغيركم (ما في الارض جميعا) ، ما اهتديتم الى مصلحتكم ومنفعتكم منه وما لم تهتدوا ، (ثم استوى الى السماء) الاستواء ها هنا بمعنى القصد ، قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اي قصده قصدا مستقيما، والمراد ها هنا بالسماء العلو ، لا السماوات المعهودات اذ السموات المعهودات سياتي ذكرهن بالاثر والضمير في قوله (فسواهن) للسموات المفهومة من المقام وتسويتهن ، خلقهن وتعديل خلقهن ، وتقديمه (سبع سموات) اي خلقهن سبع سموات ، وقوله تعالى : (وهو بكل شيء عليم) يحتمل ان يكون مسوقا للاحتجاج كما سبق ما قبله ، فيكون حجة اخرى غير ما تقدم ، اي ان من حجة الله على هؤلاء المنافقين انه بكل شيء عليم اذ لو لم يكن عالما بكل الاشياء ، ما جل منها وما دق ، فمن يمدها بالوجود وبالحياة ومقوماتها، كالتغذية والهواء والحرارة وما شاكل ذلك ؟ اذ امدادها بما ذكر فرع عن علمها لاستحالة قصد المجهول ، ثم العلم فرع عن وجود الذات العالية حيث ، ان العلم صفة والصفة لا تقوم بنفسها .

ويحتمل انه سيق للترجي والتخويف اي انه سبحانه بكل شيء عليم ومن جملة ما يدخل في كلية العلم هذه اعمالكم وما يصدر منكم من خير او شر .

وقوله تعالى : (واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) من هنا انتقل القرآن من الاحتجاج بالامور المعقولات الى الاحتجاج بالنعم العظمى التي انعم بها على البشر والتي ينبغي ان تقابل بالحمد والشكران لا بالطغيان والكفران ، وهو الجاه المذكور في هاتين القضيتين التاليتين وعلو الكعب والمنصب فيهما اذا اعلى ما تصبو اليه النفوس واعظم ما يتهالك ويتنافس فيه المتنافسون من اعظم ملك الى احط سوقة هو الجاه وعلو المنصب ، كل طائفة بحسب مرتبتها وما يمكنها ان تزاحم فيه ، فقوله تعالى : (واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) اي اذكر يا محمد لامتك على وجه التذكير والتنبيه والامتنان ما جرى منا من التنويه والرفعة لجنس البشر في الملأ الاعلى اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة عني يخلفني في خلقي ويدبر امورهم ويحفظ مصالحهم ، واني نظرت اليه في اعطائه هذه الخلافة والتنويه به في الملائكة بذلك من ناحية ما فيه من الكمال واستعداد للخير لا من ناحية ما فيه من نقص

واستعداد للشر ، كما توقعه الملائكة منه في قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، فكيف يكفرون بي بعد هذا التنويه العظيم والرفعة الكاملة ، وكيف يخرجون عن امري ونهيي ، وكيف يخالفونك وانت احد خلفائي فيهم . وقوله تعالى جوابا لما قالته الملائكة : (اني اعلم ما لا تعلمون) ، اي اني اعلم في هذا الخليفة من استعداد للخير وصلاحية للخلافة ما لا تعلمون منه ، فان هذه الارض جعلتها دار كسب وعمل للحياة لا دارا مجردة للعبادة والذكر والطاعة كما هي حالكم ، وما وضعته على هذه الحالة لا يصلح لعمارته والخلافة فيه الا من كانت فيه قابلية للكسب واستعداد للعمل لاجل الحياة ، وهو هذا الخليفة الذي اخبرتكم اني جاعله فيها خليفة ، وما استشعرتموه من انه يفسد في الارض ويسفك الدماء لا يقتضي صرف هذه الخلافة عنه ، فان ما يصدر منه من الفساد وسفك الدماء نذر قليل بالنسبة لما يقوم به من المحاسن والمصالح من عمارة الارض وتدبير شؤونها والحكم في الاشياء للغالب لا للنادر .

وفي صرف الله الخلافة عن الملائكة بعد تعرضهم لطلبها وجوابهم هذا الجواب عن ذلك اشعار بان الصالحين المتجردين للعبادة والذكر لا يصلحون في الغالب لسياسة الخلق ولا تصلح على يدهم احوال الارض ، فان المكلف بسياسة الخلق يقتضي تكليفه صرف الكثير من اوقاته وتفكيره في مصالح الخلق لاستبداله بالقبيح من الاحوال الصالح منها ، ثم استبداله بالصالح الاصلح ، والصالحون المتجردون للعبادة والذكر بمعزل عن ذلك اذ لهم ما يشغلهم عنه وهو انقطاعهم الى العبادة ولذلك نجد ان الفضلاء من الانبياء والمرسلين والصالحين والعلماء الصادقين وان تولوا على الخلق في بعض الازمان لا تطول ولايتهم كثيرا بل انما يوجدهم الله في تلك الولاية كالنموذج والمثل الاعلى لاهل الارض فاولا ليقضوا على الفساد الذي كان يهدد الامة باقبح الشر ، وثانيا ليقتدي بهم من كان فيه استعداد لذلك من اولي الامر وغيرهم ، ثم يذهبون فيخلفهم آخرون مشبعون بروح الدنيا وحبها خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وفقا من الله واحسانا منه لخلقه فان عامة الخلق وهو السواد الاعظم من الناس لا يستطيع مجاراة هؤلاء الصالحين في احوالهم واحكامهم وسياستهم على طول الزمان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) ، وقال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) .

نظرات حول كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 4 -

(*) **الطرف الثاني من الفصل الثاني** من المقالة الاولى

وضعت اللغة للتعبير عن المحسوسات والمعنويات معا فهي الاختراع الذي اعان الانسان على تخفيف حضارته وجعله مرتبطا بماضيه .

وليست اللغات من وضع فرد معين او جيل معين وانما هي صورة معبرة عن اجيال تختلف حضاراتها وثقافاتها .

فاللغة العربية مثلا صورة للحضارة العربية في مختلف عصورها فهي مرآة لادبنا ولعلمنا واصناعاتنا ولتاثرنا بغيرنا وتأثيرنا في غيرنا ؛ في اجزائها وتراكيبها تتجلى شخصيتنا في ايام ازدهارنا في بغداد ومصر والشام والاندلس والمغرب وفي تعابيرها القديمة يتجلى الطابع الخاص الذي كان يعيش عليه العرب في الجاهلية وفي تحليل بعض الكلمات تظهر آثار الامتزاج العلمي والفني والادبي بيننا وبين غيرنا من الامم .

فالاطلاع على لغة ما مرتبط بالاطلاع على تاريخها وحضارتها ومؤلفاتها في الماضي لان قواعد النشوء والارتقاء تقتضي ذلك . والضلاعة في التعبير تقتضي الالمام بالمصطلحات الخاصة التي استعملها واضعوها وسيلة تعبيرهم وطريقة تبيانهم لنستفيد من تجاربهم وطاقاتهم .

ولما كان الوصول الى هذا الهدف لا ياتي عفوا وانما ياتي عن طريق التعلم ، رأينا كثيرا من المؤلفين يعتنون بتقديم كتب ادبية وعلمية ولغوية من خلالها تتكون الفكرة الذاتية عند الكاتب وبواسطتها يكتسب الالفاظ التي يعبر بها بل انها تعينه على الفهم ايضا فكثير من التشبيهات في الادب ومن الصور التعبيرية نجدها مقتبسة من مصطلحات علمية او فلسفية يتعذر على الجاهل بها ان يفهم النص الادبي ويستوعب معناه خصوصا وقد مرت على الادب العربي فترات مختلفة استحوذ فيها التكلف على الادباء فكانوا يغالون في التصنع ويباهون بمعلوماتهم العامة فأصبحت بعض اشعارهم وكتاباتهم رموزا والغازا لا يحلها الا من كان عالما بما يعلمون .

ولهذا اعتنى القلقشندي في كتاب صبح الاعشى بتقديم أنواع من العلوم الى الكتاب ليستعينوا بها ولتكون سبيلا لهم الى تفهم الادب نثرا وشعرا ، فهو مثلا بعد ان ذكر في الطرف الاول من الفصل الثاني من هاته المقالة ما يحتاج اليه الكاتب من مواد الانشاء خط طرفا ثانيا لما يحتاج الكاتب الى وصفه في اصناف الكتابة مما تدعو الضرورة اليه ، وقد اعتمد في هذا الطرف على المعلومات التي كانت في عصره حول الحيوان والنبات والاحجار والمعادن والنجوم .

ومما لا ريب فيه أن كثيرا من النظريات العلمية قد تغيرت تبعا لتطور العقل البشري ونموه ، فليس من الممكن ان نعتبر جميع ما توصل اليه العرب آنذاك حقائق علمية متصلة مستمرة لا تختلف مع الزمن لان الفكر الانساني جبار طموح لا يقف عند حدود الاولين

* خص المؤلف هذا الطرف لما يحتاج الكاتب الى وصفه في اصناف الكتابة وحلله في الجزء الثاني من الصفحة الرابعة الى الصفحة الثانية والتسعين بعد المائة (من 4 الى 192)

ولكنه يعمل دائما على اكتشاف المجهول وعلى البحث عن أسرار الطبيعة لاستغلال قواها ؛ فمن السخافة أن نقارن بين غزو الفضاء اليوم وبين ما كان يكتبه العرب عن الفضاء في الماضي دون اعتبار الفروق الزمنية ، لاننا بذلك سنبخس للعرب فضلهم في العلم اما اذا اعتبرنا هاته الفروق فسنعترف لهم بأسبقيتهم في كثير من الاكتشافات والاختراعات وسنقر بأستاذيتهم للمدنية الحديثة من حيث الخطوط التي رسموها والمناهج التي علموها فهم الذين عودونا عدم الجمود ودفعونا الى الربط بين النظريات والتطبيقات والى الابتعاد عن اليأس عند الاخفاق في المحاولات الاولى

ولما كان القلقشندي يرى عدم استغناء الاديب عن مختلف العلوم لاحتياجه اليها ذكر في كتابه جملة من هاته العلوم وفصل الحديث عنها ثم ذكر كيفية استغلالها ووجوه استعمالها ، فكان هذا الكتاب نقطة الاتصال بين العلم والادب ، وسنرى في هذا الطرف مثلا كيف كان يربط بين خاصيات الموصوفات وما يتصل بها من مظاهر الطبيعة وبين الاساليب الادبية المختلفة من حيث اوصافها الذاتية او من حيث المقارنات والتشبيهات .

فهو قد قسم هذا الطرف الى انواع فقال :

النوع الاول : الانسان وتحدث عن اوصافه الجسدية والخارجية عن الجسد سواء ما يختص بالرجل او ما يختص بالمرأة او ما يشتركان فيه .

وانما ذكر هاته الاوصاف ليعرفها الكاتب فيؤلف كلامه حسب مقتضى الحال في المدح والهجاء فالذي يستعمله الكاتب من النعوت في مدح الرجل يجب ان يكون ملائما لرجولته وحالته لان اختلاف طبقات الممدوحين يقتضي اختلاف درجات الكلام ، وهذا شرط أساسي من شروط البلاغة ، ولهذا نقل الينا المؤلف عن قدامة بن جعفر من كتابه نقد الشعر قوله (*) « ومدائح الرجال تنقسم بحسب الممدوحين من اصناف الناس في الارتفاع والاتضاع وضروب الصناعات والتبدي والتحضر ، فيحتاج الى الوقوف على المعنى اللائق بمدح كل »

وبعد ان نقل الينا امثلة شعرية من هذا الكتاب قال : ((ويؤخذ مما ذكره قدامة ان القضاة والعلماء يوصفون بما يليق بمهمهم من ذلك فيوصف العالم بثقافة الذهن وحدة الفهم وسعة الباع في الفضل وما وما يجري مجرى ذلك ويوصف القضاة بذلك وبالعدل والعفة ومباينة الجور ونحو ذلك » .

النوع الثاني : دواب الركوب وهي اربعة أصناف

1 — الخيل ويحتاج الى المعرفة بوصفها في مواضع من اهمها ووصفها عند بعث شيء منها في الانعام والهدايا والجواب على ذلك ووصفها في ترتيب الجيوش والمواكب وذكرها في مجالات الحرب وقد تحدث عن اصنافها والوانها وشياتها وما يستحسن ويستقبح من صفاتها ومعرفة الدوائر التي تكون فيها والبصر بأمور اسنانها واعمارها ، وختم الحديث عنها بقوله : « وقد قيل ان خير الخيل الذي اذا مشى تكفأ واذا عدا بسط يديه واذا ادبر جفا واذا اقبل اقعى » .

2 — البغال وفيها نوعية من الخيل والحمير من حيث انها تتولد بين حصان واتان او بين حمار وحجر .

3 — الابل وقد تحدث عن انواعها والوانها وأسنانها وما يستقيم ويستحسن من صفاتها .

4 — الحمير قال « ومنها النفيس وخيرها حمر الديار المصرية واحسنها ما أتى به من صعيدها »

النوع الثالث : جليل الوحش وكريم صيوده وهو اصناف ثلاثة :

1 — جليل الوحش وهو ما يتخذه الملوك للزينة وما في معناها ويحتاج الكاتب اليه لوصفه في الهدايا والمواكب وما يجري مجراهما وتحدث في هذا الصنف على الاسد والنمور والكركدن والفيل والزرافة وقد قال عن الزرافة : « ومن امراضها الكلب وهو كالجنون يعتريها كما يعتري الكلب فيقتلها ، وكل من عضته وهي على هذه الحالة قتلته الا ابن آدم فانه ربما عولج فسلم . ومن امراضها الذبحة والنقرس » .

---

* صبح الاعشى الجزء الثاني صفحة 11

2 – معلمات الصيد ويعبر عنها بالضواري وهي كل ما يقبل التعلم من الوحوش وتحدث فيه عن الفهودة والكلاب .

3 – ما يعتني بصيده من الوحوش والمشهور منه عشرون ضربا .

1 – الحمارة العتابية وهي حيوان في صورة البرذون موشى الجلد بالبياض والسواد يروق الناظر حسنها .

2 – البقر الوحشية وتعرف بالمها وهي دون البقر الاهلية في المقدار وبها يضرب المثل في حسن العيون وسوادها .

3 – الحمر الوحشية ويقال للانثى منها اتان وللذكر حمار ، وعير كما يقال في الحمر الانسية وربما قيل الفراء ، وهو من اشد الصيد عدوا ولذلك يضرب به المثل فيقال كل الصيد في جنب الفراء او في جوف الفراء وبه تشبه العرب خيلها وابلها في السرعة .

4 – الغـزلان .

5 – الأيابيل جمع أيل وهو حيوان قريب الشبه من الظباء .

6 – الارانب .

7 – الذئاب .

8 – الثعالب قال : « ومن خصائص الثعلب انه تمرغ في الزرع فلا ينبت موضعه وربما سفد الكلبة فولدت كلبا في خلقة السلوقي الذي لا يقدر على مثله »

9 – الضباع جمع ضبع ويقال لها ام عامر قال : « وهي مما يؤكل وان كانت من ذوات الناب لورود النص بذلك ، وتزعم العرب انها تكون سنة ذكرا وسنة انثى » وان ورد مثل هذا الزعم لما يبعث على التسلي والمرح .

10 – سنور البر .

11 – الـدب .

12 – الخنزير .

13 – السمور وهو حيوان شبيه بالسنور ، وقد يكون اكبر منه ومنه يتخذ نفيس الفراء التي لا يلبسها الا الملوك واكابر الاعيان مما يداني الملوك احسنها ودقائها ؛ واحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلا الى السواد .

14 – الفنك وهو دويبة لطيفة ، لها وبر حسن ابيض يخالطه بعض حمرة يتخذ من جلوده الفراء .

15 – القاقم وهو دويبة في قدر الفار لها شعر ابيض ناعم ومنه يتخذ الفراء .

16 – الدلف فارسي معرب : دويبة تقرب من السمور .

17 – السنجاب حيوان أكبر من الفار ووبره في غاية النعومة ، وجلده في نهاية القوة .

18 – سنور الزباد .

19 – السنور الاهلي .

20 النمس .

قال القلقشندي : « فاذا علم الكاتب صفات الوحوش وخصائصها عرف كيف يورد الجليل منها من الاسد والفيل ونحوها موارده في الوصف وكيف يصف ضواري الصيد كالفهد وكيف يصف وحوش الصيد كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وغيرها ، وكذلك ما يقع من التشبيهات بشيء من الحيوان كما قال بعض الشعراء :

وتجتنب الأسود ورود ماء
اذا كان الكلاب يلغن فيه (*)

النوع الرابع : الطيور وهي اربعة أصناف :

1 – الجوارح ويصاد بها الطير والوحش قال : « واعلم ان الصائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع اجناس الجوارح هي الاناث ، اما ذكورها فانها الطف في المقدار واضعف في الصيد» وذكر من الجوارح

(*) يشير الشاعر الى طبع الاسد فهو لا يشرب ماء ولغ فيه كلب وان مات عطشا ، واستغل هذه الصفة في تصوير انفة ممدوحة وعزته .

ــ العقاب وهي مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان واعقب وليس بعد النسر فى الطير اعظم منها واصل لونها السواد . واول من صاد بها أهل المغرب ثم تبعهم الروم فى ذلك .

ــ البزاة وهي ما اصفرت عينه من الجوارح ، وهي أشكال .

ــ الصقور وهي السود العيون من الجوارح .

2 ــ الطير الجليل وهو المعبر عنه بطير الواجب وبه تعتني رماة البندق ونحوها وتفتخر باصابته وصرعه ، وهو على ضربين :

الضرب الاول طيور الشتاء وهي الكركي والاوز واللقلق ، وهو دون الاوز فى المقدار ، والحبرز وهو الحباري ، قال فى حياة الحيوان ، وهي من اشد الطير طيرانا وأبعدها شوطا ، فانها تصاد بالبصرة فيوجد فى حوصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام .

ومنها التم وهو طائر فى قدر الاوز أبيض اللون طويل العنق احمر المنقار .

ومنها الصوغ وهو طائر مختلط اللون من السواد والبياض احمر الصدر واكثر ميله الى الخضرة والاشجار .

ومنها العناز وهو طائر اسود اللون ابيض الصدر احمر الرجلين والمنقار .

ومنها العقاب ويعتبر من طير الواجب كما يعد من الجوارح .

ومنها النسر وهو من اطول الطير اعمارا حتى يقال انه يعمر الف سنة ، وحكمه تحريم اكله لانه ياكل الجيف .

ومنها الايشة وهو طائر حاد البصر يشبه صوته صوت الجمل .

الضرب الثاني طيور الصيف وهي اربعة : الكي وهو طير اغبر اللون الى البياض أحمر المنقار والحوصلة ــ والفرنوق وهو طائر أبيض من طير الماء طويل العنق ــ والمرزم وهو طير ابيض فى ريشه حمرة طويل الرجلين والعنق ــ والشبيطر ويسمى اللقلق ويعرف بالبلارج (*) وهو طائر ابيض اسود طرفي الجناحين ورجلاه ومنقاره حمر .

3 ــ ما عدا الطير الجليل مما يصاد بالجوارح وغيرها وهو على ضربين :

الضرب الاول ما يحل اكله وهو انواع كثيرة . منها النعام وهو اسم جنس الواحدة نعامة وهو طائر معروف مركب صورتي جمل وطائر ويسمى ذكرها الظليم ، قال : « ومن خصائصها انها تبتلع العظم الصلب والحجر والحديد فتذيبه معدتها حتى تدفعه كالماء وتبتلع الجمر فيطفئه جوفها » قال : « ومن خاصته أن مرارته سم وحي » .

ومنها الاوز والبط والقرلي والغطاس والدجاج ومن اهم ما ذكر حول الدجاج قوله : « والفرخ يخرج من البيضة بالحضن وتارة بالصنعة والتدفئة » . ان تفكير الاولين فى الحضن الاصطناعي دليل على كثرة عنايتهم بتربية الدواجن وعدم اتكالهم على ظواهر الطبيعة وحدها فاستغلوا تجاربهم الخاصة لمصلحتهم

ومنها القطا ومنها الكروان ويجمع على كروان والانثى كروانة .

ومنها القمري والفاختة والدبسي والتنغبر الحجل عشر سنين ويعمل عشين ، يجلس الذكر فى واحد والانثى فى واحد ، وهو من اشد الطيور غيرة على انثاه حتى ان الذكرين ربما قتل احدهما الآخر بسبب الانثى، فمن غلب منهما دامت له .

---

* بالجيم المنقوطة من اسفل وقد اهمل الناسخ نقطة الجيم فاشكل على مصحح الكتاب عند ما طبعها بالحاء المهملة ، وقال : « مصحف لم نهتد اليه ولعله البارح .. ولفظة بلارج من الكلمات الدارجة في المغرب على هذا الطائر الصيفي .

* لم يشر المؤلف الى المصدر الذي اخذ منه هذا النص عن التوحيدي رغم ولعه بذكر المؤلفات . انه اخذه من كتاب الامتاع والمؤانسة ، الجزء الاول وقد طبعت لجنة التاليف والترجمة والنشر هذا الكتاب فى ثلاث مجلدات بتصحيح الاستاذين احمد امين واحمد الزين ، فليراجع انه من احسن كتب ابي حيان .

ومنها القمري والفاختة والدبسي والشفنين والدراج والشحرور والهزار والبلبل والسماني والحسون وابو براقش والزاغ والفداف وغراب الزرع.

الضرب الثاني ما يحرم أكله وهو انواع :

منها الطاوس ويجمع على طواويس .

ومنها السمندل وهو طائر يكون بارض الصين والهند ، ومن خاصته أنه لا تؤثر النار فيه حتى يقال انه يبيض ويفرخ فيها ويستلذ بمكثه فيها ويتخذ من ريشه مناديل ونحوها ، فاذا اتسخت القيت في النار فتأكل النار وسخها ولا تتأثر هي في نفسها .

ومنها الببغاء وابو زريق والهدهد والخطاف والصرد والعقعق والشقراق والغراب الابقع والحداة والرخمة والبومة والبوهة والخفاش .

قال القلقشندي : « فاذا عرف الكاتب احوال الطير وخواصها تصرف فيها بحسب ما يحتاج اليه في نظمه ونثره كما في قول الشاعر :
واذا السعادة لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل

واقتد بها الجوزاء فهي عنان
اشارة الى عظم العنقاء وعدم القدرة على مقاومتها ومع ذلك تنقاد بالسعد »

4 ـ الحمام وهو على قسمين :

احدهما ما ليس له اهتداء في الطيران من المسافة البعيدة .

والثاني ما له اهتداء ويعرف بالحمام الهدىء وهو المراد هنا ، قال : « وقد اعتنى الناس بشأنه في القديم والحديث واهتم بامره الخلفاء ، كالمهدي ثالث خلفاء بني العباس والواثق والناصر ، وتنافس فيه رؤساء الناس بالعراق ولا سيما بالبصرة » .

ولقد بالغ اهتمام الخلفاء به حتى افرد له القاطميون بمصر ديوانا وجرائد بانساب الحمام .

قال : « وقد اعتنى بعض المصنفين بأمره حتى صنف فيه ابو الحسن بن ملاعب القواس البغدادي الجراحات ومباشرة العرب لها منذ قرون .

الطائر ورياشه والوشوم التي توشم في كل عضو والوان الطيور وما يستحسن من صفاتها وكيفية افراخها وبعض المسافات التي ارسلت منها وذكر شيء من نوادرها وحكاياتها وما يجري مجرى ذلك » .

النوع الخامس : ما يحتاج الى وصفه من نفائس الاحجار :

قال : « وقد اعتنى الناس بالتصنيف فيها في القديم والحديث ، فممن صنف فيه في القديم من حكماء الفلاسفة : ارسطو طاليس ، وبلينوس ، وياقوس الانطاكي .

وممن صنف فيه من الاسلاميين : احمد بن ابي خالد المعروف بابن الجزار ، ويعقوب بن اسحاق الكندي وغيرهما ، واحسن مصنف فيه مصنف ابي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي »

وتحدث في هذا النوع على اثنى عشر صنفا :

1 ـ اللؤلؤ .

2 ـ الياقوت .

3 ـ البلخش .

4 ـ عين الهر .

5 ـ الماس ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه ، واذا وضع على سندال حديد ودق بالمطرقة لم يكسر ، وغاص في وجه السندال والمطرقة وكسرهما .

قال المؤلف : « ومن منفعته فيما ذكره ارسطو طاليس أن من كان به الحصاة الحادثة في المثانة في مجرى البول ، اذا اخذ حبة من هذا الحجر والصقها في مرود نحاس بمصطكي الصاقا محكما ثم ادخل المرود الى الحصاة فانها تثقبها » .

قال احمد بن ابي خالد : « وبذلك عالجت وصيفا الخادم من حصاة اصابته وامتنع من الشق عليها بالحديد » .

وفي مثل هذه النصوص من المتعة العلمية ما لا يخفى لانها تفتح لنا باب الماضي فترى من خلاله جهود الانسان في مكافحة المرض وتلمح تاريخ تطور كتابا للناصر لدين الله العباسي ذكر فيه اسماء اعضاء

6 ـ الزمـــرد .
7 ـ الزبرجـــد .
8 ـ الفيـــروذج .
9 ـ الدهنـــج .
10 ـ البلور ، وقد ذكر التيفاشي انه ظهر فـي زمنه معدن منه بالقرب من مراكش من المغرب الاقصى الا ان فيه تشعيرا وكثر عندهم حتى فرش منه لملك المغرب مجلس كبير ارضا وحيطانا .
11 ـ المرجـــان .
12 ـ البادزهر الحيواني وهو حجر خفيـــف هش ، واصل تكونه من الحيوان المعروف بالائل بتخوم الصين ويشتمل لمداواة السموم .

النوع السادس : نفيس الطيب ، وقد تحدث عن المسك والعنبر والعود والصندل .

النوع السابع : ما يحتاج الى وصفه من الآلات وهي اصناف :
الآلات الملوكيـة وآلات الركـوب وآلات السفـر وآلات السلاح وآلات الحصار وآلات الصيـد وآلات المعاملة وآلات اللعب وآلات الطرب وآلات المسكرات .
واذا اراد القاريء أن يعرف تفصيل هاته الآلات وخاصياتها واسماءها فعليه بالرجوع الى الكتاب (*)

النوع الثامن : الافلاك والكواكب ، وتحدث عـن الكواكب السيارة والثابتة .
قال : « فاذا عرف الكاتب احوال الافلاك والكواكب واسماءها وصفاتها عرف كيف يصفها عند احتياجـه الى وصفها وكيـف يعبر عنها عند جريان ذكرها ، ومن امثلته لذلك قول الطغرائي في لامية العجم :

وان علانـي من دونـي فـلا عجـب
لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
مشيرا الى كون فلك زحل اعلى من فلك الشمس

النوع التاسع : العلويات ما بين السماء والارض وقد تحدث في هذا النوع عن الريح والسحاب والرعد والبرق والمطر والثلج والبرد وقوس قزح والهالـــة والخز والبرد والهباء ، وعلل وجود هاته الظواهر من الناحية العلمية حسب ما عند الفلاسفة والحكماء في عصره ثم ذكر بعض التعليلات الخرافية والعقائدية ؛ والى القراء نموذجا من ذلك :

قال القلقشندي عن الرعد (*) : « وهو صـوت هائل يسمع من السحاب ، وقد اختلف في حقيقتـه ؛ فروي انه صوت ملك يزجر به السحاب ، وقيل غيـر ذلك ، والنصيرية من الشيعة يزعمون انه صوت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حيث زعموا أن مسكنه السحاب ، وذهبت الفلاسفة الى انه دخان يتصاعد من الارض ويرتفع حتى يتصل بالسحـــاب ويدخل في تضاعيفه ويبرد فيصير ريحا في وسـط الغيم فيتحرك فيه بشدة فيحصل منه صوت الرعـد ويقال منه رعدت السماء فاذا زاد صوتها قيل ارتجست فاذا زاد قيل ارزمت ودوت فاذا اشتد قيل قصفـت وقعقعت ، فاذا بلغ النهاية قيل جلجلت وهدهدت » .

النوع العاشر : الاجسام الارضية ، وتحدث فيه عن الجبال والاودية والقفار ثم عن المياه الارضية ثـم عن النبـــات .

ومن الطريف انه ذكر بعض خصائص النبـــات فقال : « اعلم ان النبات منـه ما يوجـد في كثيـر من الآفاق ومنه ما يختص ببعض الاماكـن دون بعـض ؛ قال : « وقد حكى أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية أن ببلاد سجلماسة من جنوبي بـلاد المغـرب الاقصى شجرة ترتفع نصف قامة او ارجح ، وورقهـا كورق الغار اذا عمل منها اكليل ولبســه الرجـل على راسه ومشى او عدا او عمل عملا لم ينم ما دام ذلـك الاكليل على راسه ولا يناله من ضرر السهر وضعـف القوة ما ينال من سهر وعمل » .

وفي هذا النوع ذكر اصناف النبات التي اولـع الكتاب والشعراء بوصفها وتشبيهها ، وذكر اشهـــر الرياض في عصره فقال : « وقد اتفق جوالـو الارض على ان منتزهـات الارض أربعـة مواضـع ، وهـي : سغـد سمرقنـد وشعب بـوان ونهـــر الابلـــة وغوطة دمشـــق » .

وبهذا النوع انتهى الطرف الثاني ، والى اللقاء مع القراء في الطرف الثالث المتعلق بصنعة الكلام ومعرفة كيفية انشائه ونظمه وتاليفه .

فـاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(*) كذا في الاصل والاصح الملكية لان الجمع عنـد ارادة النسبة اليه يرجع الى مفرده .
(*) صبح الاعشي الجزء الثاني من صفحة 131 الى صفحة 154 .
(*) صبح الاعشي الجزء الثاني من صفحة 131 الى صفحة 178 .

تناقضات حتمية في المجتمع الاسرائيلي

للأستاذ : المهدي البرجالي

حتمية التناقض في تركيب الكيان الاسرائيلي ـ تطورات الموقف الصهيوني من عوامل هذا التناقض ومظاهره ـ السياسة الاسرائيلية الحالية في هذا المجال ـ الاهداف التي تقوم عليها هذه السياسة والمشاكل التي ترتبط بها ـ النماذج والصور التي ينعكس عليها كل ذلك ـ العرب وظاهرة التناقضات الاسرائيلية .

في مطلع السنة الحالية ، وبالضبط في الخامس والعشرين من شهر يناير الماضي ، جرت باسرائيل ، محاكمة غريبة جدا ، لعلها من اغرب ما جرى من محاكمات في العصر الحاضر ، ومن اكثرها تمثيلا لمظاهر المفارقة والشذوذ ، اما المحكمة فقد اسست بالقدس المحتلة ، تحت اشراف بعض الاوساط الصهيونية المتطرفة ، واما المتهمون والمدانون ، فانهم لم يكونوا مجرد افراد معدودين ، او جماعة صغيرة ومحدودة ، بل انهم كانوا عبارة عن مجموع عناصر المجتمع اليهودي بالجزائر ، جميع السكان الجزائريين الذين يدينون بالديانة الموسوية ، وينتسبون بصورة او باخرى الى القطر الجزائري ، واما حق الاتهام ، فقد اعده محاميان صهيونيان ، ينتمي احدهما في الاصل الى الجنسية الجزائرية ، وكان يشغل في السابق منصب رئيس الاتحاد الصهيوني ليهود الجزائر ، وقد اتخذت الاجراءات العادية في تنظيم هذا المشهد الغريب ، وحددت له مختلف المقتضيات الشكلية ، من نيابة ودفاع وشهود وغير ذلك وامكن للجمهور الصهيوني حينئذ ، ان يشاهد مسرحية سياسية غريبة ، من بين اكثر المسرحيات بعثا على الاثارة والحساسية ، وادعاها الى عميق التعجب والاستغراب

وانصب الاتهام في غضون هذه المحاكمة على رقاب اليهود الجزائريين ، وتوالى قويا عنيفا على مجموع الجماعة اليهودية بالجزائر .. هذه الجماعة التي اخذ عليها انها : (.. قد خيبت الامال التي اناطتها بها دولة اسرائيل) لكن ما المراد بخيبة الامل هذه ؟ وماذا فعله اليهود الجزائريون حتى استطاعوا ان يؤثروا على امل الصهيونيين في اسرائيل، واثاروا ضدهم غضبا واشمئزازا غير محدودين؟ يتناول (حق الاتهام) كثيرا من النقط في هذا الموضوع ، معددا انواع التهم و« الجنايات » التي « اقترفها » يهود الجزائر نحو اسرائيل ، ومن ذلك : انهم لم يبادروا عقب اعلان استقلال الجزائر ـ بالهجرة الى اسرائيل ، مؤثرين على ذلك ، اما البقاء في مساقط رؤوسهم بالقطر الجزائري ، واما الاستيطان بفرنسا ، ومن ذلك ايضا ـ وهذا هو الاهم في الامر ـ انهم لم ينقلوا رؤوس اموالهم وممتلكاتهم الشخصية الى اسرائيل وحتى الذين اقدموا على الهجرة الى الدولة الصهيونية ، فان بعضهم قد احتاط بالاحتفاظ باموال خارج البلاد ، خوفا عليها من الطوارىء ، واستعدادا لامكانية مغادرة ارض الميعاد عند الاقتضاء ، وقد اضيفت خلال هذه المحاكمة الغريبة نعوت الخيانة والاجرام ، على كثير من المثقفين والرؤساء الدينيين اليهود من اصل جزائري ، وذلك بالنظر لعدم حماسهم في الهجرة الى اسرائيل ، وتفضيلهم على ذلك الاستيطان باوربا في حالة خروجهم من الجزائر ، وامتناعهم هكذا عن اعطاء المثل الى عامة الناس من شركائهم في الدين ، كما وجه اللوم كذلك الى البعض من هؤلاء المثقفين الذين ـ ولو استجابوا لداعي الهجرة الى اسرائيل ـ فانهم ـ مع ذلك ـ قد اصبحوا عبئا على الدولة الصهيونية اكثر مما هم عامل نشاط وحيوية في حظيرتها ، فجلهم يمتنع عن استيطان المستعمرات الصحراوية النائية ، ولا يساهم هكذا في تعمير المناطق المستصلحة ، المراد تعميرها ، وهم عوضا عن هذا ، يحرصون فقط على التجمع في المدن الكبرى والتهافت في ظلالها على موارد الحياة السهلة الرغيدة .. هذه الموارد التي هي غير متوافرة بالكثرة اللازمة في اسرائيل ، وليس للاقتصاد الصهيوني بها قبل او استعداد ،

وقد كان للدفاع ايضا كلمته في موضوع هذه المحاكمة المثيرة، وتولى حاخام قسنطينة الاكبر سابقا ، موضوع الدفاع هذا ، مستندا الى الاعذار التي تبرر احجام اليهود الجزائريين عن التهافت على الهجرة لاسرائيل ، وذلك بسبب ما يلاقيه المهاجرون الاولون من متاعب الحياة في الدولة الصهيونية ، وما يجدونه من عوائق وحوائل تعترضهم دون كفالة التعليم اللازم لابنائهم ، بل وضمان العمل والسكنى الضرورية في كثير من الاحيان .

ولا يعنينا في هذا الباب ما انتهى اليه امر هذه المحاكمة الشاذة ، التي تحدثت عنها في حينها بعض الصحف الكبرى في الغرب ، وعبرت بصدد الكلام حولها عن بعض الاستغراب الضمني الذي لا مناص من الشعور به في مثل هذا المقام ، انما الذي يثير بعض الاهتمام في موضوع من هذا القبيل ، هو ما يعبر عنه من ازدياد حرص الصهيونيين على وسائل الاصطناع والتكلف في بناء دولتهم ، واشتداد هوسهم في ذلك الى مدى غير محدود .

★

لقد كان عدد اليهود في فلسطين غداة قيام الحرب العالمية الاولى ، لا يتجاوز ثمانين الفا ، بيد انه عندما نبتت الفكرة الصهيونية في اذهان البعض من اليهود اواخر القرن الماضي ، وقامت على تنفيذ اهدافها هيئات صهيونية منتظمة — اخذت الهجرة الى فلسطين تعظم وتتسع كما وكيفا ، الى ان بلغ عدد المستوطنين اليهود ، من طارئين واصلاء (سنة 1936) بلغ هذا العدد نحو اربعمائة الف ، وقد استفاد الصهيونيون من الاحداث الجارية في اوربا خلال تلك الفترة، وسياسة النازي المضادة للسامية — استفادوا من كل ذلك كثيرا، وتمكنوا بسبب هذا وغيره من ترحيل اعداد هائلة من اليهود الاوربيين خاصة ، الى الشرق الاوسط ، حيث بلغت الجالية اليهودية في فلسطين حينئذ ما يناهز ستمائة وخمسين الفا من السكان ، الا ان الاوضاع تطورت بعد كل هذا تطورا يفوق جميع الحدود ، اذ انه بمجرد ما ارتفع الانتداب ، وسيطر الصهيونيون على البلاد سنة 1948 حتى تفتحت منافذ الهجرة بصورة هائلة ، وعلى نحو لم يسبق له من نظير ، وبفضل ذلك صار الكيان اليهودي يتعزز من الناحية الديموغرافية ، وبالتالي : السياسية حتى ليكاد السكان اليهود الان يشارفون المليونين ، او يزيدون على ذلك ، وعلى اساس التعايش بين هذه المآت من الالاف من اليهود المنتسبين الى كل جنس ، والمتكلمين بكل لغة ، والمتكيفين بمختلف انواع التكييف العقلي والاجتماعي على اساس « التعايش السلمي » بين هذه الفئات المتضاربة المتباينة ، يقوم كيان اسرائيل ويبني هيكلها الذاتي ، ومركزها في المجال العالمي والدولي ، وقد احس الصهيونيون منذ البداية بغرابة هذا الكيان الذي هم بصدد اصطناعه ، وخطورة هذه التناقضات « الانسانية » التي تعتمل في صميمه ، والتي يمكن ان تحييه على الدوام ، بشكل خفي وغير مباشر قد تنشأ عنه العواقب في الاجل البعيد ، ولذلك ومن اجل تلافي خطورة هذه العواقب ، دأبت الوكالة اليهودية ، التي كانت قبل قيام اسرائيل تتولى رعاية مصالح النشاط الصهيوني في فلسطين وخارجها — دأبت هذه الوكالة — قبل الحرب العالمية الاخيرة وبعدها — على بذل الجهود من اجل توحيد المستوى القومي لجملة اليهود الواردين على فلسطين ، من كل انحاء الارض ، وفي نطاق ذلك ، عنيت بوضع برامج تعليمية وتربوية لتوجيههم على اساس جديد ، وصهر افكارهم وعقلياتهم واذواقهم في بوتقة عامة ومشتركة يكون من نتائجه تصفية الفروق المزمنة القائمة بين المهاجرين الجدد ، وصبهم في قالب اسرائيلي متناسق ، اما الجهود التي بذلتها السلطات الاسرائيلية في هذا الميدان ، هي على درجة ما من الاهمية وسعة الاعتبار ، ويمكن للملاحظ ان يؤكد بان الجهود التربوية الموجهة هذه ، لم تفتأ تستنفذ من نشاطات الاسرائيليين وامكانياتهم ، قسطا كبيرا جدا ، يوازي احيانا ما يبذلونه في مضمار التوسع الزراعي والديموغرافي ، والامتداد الترابي في منطقة الشرق الاوسط ، وقد احرز في هذا المضمار — بحق — على كثير من النتائج النسبية التي يمكن تقدير قيمتها من زوايا جزئية ومعينة ، لا من وجهة النظر العامة التي تحاول ان تستوعب كل الجزئيات والتفاصيل فامام الصهيونيين باسرائيل ، مجال متسع للقول ، بانهم قد استطاعوا ان يسيروا في طريق التوحيد « القومي » اشواطا الى الامام ، اشواطا لا باس بها من حيث ما لها من قيمة في حد ذاتها ، وما يمكن ان يكون لها من اثر جزئي في معركة الوحدة العقلية والاجتماعية والعنصرية بين اشتات الطوائف اليهودية على فلسطين ، فمن الناحية العقلية فقد دأب الصهيونيون بصورة محدودة على اتباع سياسة تعليمية متسقة ، تستهدف في اساس ما تهدف اليه : التقريب بين مستويات التكوين العقلي والفكري والوجداني بين ابناء المهاجرين المتدفقين من مختلف اقاصي الارض ، كما اعتادوا ايضا على بذل مجهودات متتابعة من اجل تحقيق قدر من التقارب بين عقليات هؤلاء المهاجرين ، وتوفير انسجام — ولو مصطنع — بين تيارات تفكيرهم المتباين ، ووجهات سلوكهم ومشاربهم ، وصهر ذلك كله في بوتقة يرجون ان تكون ذات صبغة قومية متميزة ، وفي نطاق سياسة من هذا الباب ، ما زالوا يسهرون قبل قيام اسرائيل ذاتها على احياء اللغة العبرانية ، ونشرها بين اوساط المهاجرين ، وفرضها في مناهج التربية والتعليم ، واصطناع مجالات لها في مضمار الحياة « القومية » الاسرائيلية المفتعلة ، واقرت من

جهة اخرى ـ كذلك مناهج مدرسية وجامعية خاصة للتعريف بتاريخ اليهود القديم والحديث وتركيز اسس ثقافية يهودية ـ صهيونية في العقول والاذهان ، وهناك سبل اخرى غير هذه ما زالوا ينتهجونها لتحقيق اهداف مماثلة في هذا المضمار، اما من الناحية الاجتماعية فان المسؤولين الصهيونيين في اسرائيل ، ما برحوا يسلكون سبيل التظاهر بالعمل على التقريب بين الطوائف داخل الدولة التي اصطنعوها ، وذلك بادماج اهداف التوسع الاقتصادي في اهداف الانصهار الاجتماعي ، كما يريدون ان يثبتوا ذلك من خلال مستعمراتهم الصحراوية في منطقة النقب ، ففي هذه المستعمرات التي يحشرون فيها الكثير من اليهود ، الواردين من الاقطار العربية والشرقية ، والبلدان المتخلفة على وجه عام ، ياتون ايضا بافراد او جماعات محدودة من اليهود الاوربيين ، ومن في حكمهم ، وذلك في الظاهر ، من اجل تحقيق شروط الاندماج الاجتماعي والقومي ، اما في الواقع فمن اجل تسيير هذه المستعمرات وتكييفها من الناحية الاقتصادية والفنية، واذا ما نظرنا الى الامر من جانبه الانساني ، فاننا نجد ان القيادة الاسرائيلية ، ما فتئت تحاول التظاهر بمبدأ المساواة الطائفية ، والتلويح بهذا المبدأ سواء في دعاياتها الرسمية او في مجال نشاطها الدولي بصورة عامة ، بل ان هذه القيادة تسير بعيدا في طريق مخادعة الراي العام العالمي ، وذلك بمبالغتها في التظاهر بان سياسة المساواة هذه تشمل في نطاقها ايضا حتى بعض الجماعات العربية التي ما زال يسمح لها بالبقاء في ظروف يعلمها الجميع داخل اسرائيل .

وبالاجمال ، فان الخطة الاسرائيلية تنزع في اساسها الى اظهار النظام الاسرائيلي بمظهر الدولة التي تستجمع كافة شروط الكيان المنسجم المتلاحم ، الكيان الذي تتوافر له مقتضيات التواصل والانسجام السلالي والعقلي والاقتصادي والاجتماعي وغير ذلك ، وكم يحرص القادة الصهيونيون على التباهي بذلك لكل من يستدرج الى زيارتهم من الساسة الاوربيين او الافارقة او غيرهم ، بل انهم يجتهدون في محاولة اقناع هؤلاء الزائرين وغيرهم ، ان النموذج الاسرائيلي في الاندماج العنصري والتكيف الاجتماعي والفكري، والنمو الاقتصادي ، هو من احسن النماذج واولاها بالتقليد والاحتذاء من جانب الشعوب المتخلفة والحديثة عهد بالاستقلال والتطور ، ومن المحتمل جدا ان من بين المواضيع التي يشددون عليها في مجال اغراء رؤساء بعض الدول والحكومات المحايدة ـ اغرائهم بزيارة اسرائيل ، والاقامة فيها فترات تطول او تقصر ، بل وعقد الاتفاقيات والصفقات معها سواء بصورة او اخرى ـ لعل من بين المواضيع التي يشدد عليها الصهيونيون في هذا المقام ، ويعتمدونها في مجال الدعاية والاغراء هذا الموضوع بالذات ، موضوع التجربة الاسرائيلية في مضمار التلاؤم الطائفي ، والتطور الاجتماعي والفكري عن طريق المشاريع الاقتصادية الدقيقة ، والمناهج التربوية المحكمة ، لكن هل تعتمد هذه المدعيات الاسرائيلية حقا على اسس واقعية وصحيحة ؟ هل لها ما يسندها من مظاهر التطور العام في اسرائيل خلال السنوات الخمسة عشرة الماضية ؟ اننا سوف لا نعنى هنا كثيرا بالجانب الاقتصادي من الموضوع ، وذلك : اولا لان الكيان الاقتصادي الاسرائيلي ـ بالنظر الى انه يقوم في كثير من موارده ومصادره على التبرعات اليهودية العالمية ، وعلى التعويضات المستخلصة من هنا وهناك ، وعلى اشياء كثيرة من هذا القبيل ، فان هذا الكيان الاقتصادي ـ لكل ذلك ـ لم يتخذ مطلقا اية صورة تمكن من اعتباره كيانا حقيقيا ، قائم الذات بوجوده وفاعليته سواء في المجال الداخلي او على الصعيد الدولي العام ، وثانيا لان المسائل الاقتصادية ليست هي كل شيء في مضمار الازمة العامة التي تعاني منها اسرائيل ، بل ان هناك عناصر كثيرة اخرى تتفاعل في نطاق هذه الازمة ، وتضفي عليها صبغتها المأساوية المزمنة ، ومن هذه العناصر ما يتصل بالمشكل المبدئي لقيام الوضع الاسرائيلي في فلسطين ، وما يلتحق بهذا المشكل من تعقيدات نفسانية وفكرية واجتماعية وفلسفية ايضا ، ومن الواضح ان التعقيدات هذه لا تنعكس فقط على ميدان العلاقة بين اسرائيل والدول المجاورة ، بل تمس كذلك العقل اليهودي والوجدان اليهودي في مختلف انحاء العالم ، وعند كثير من الطوائف العبرانية هنا وهناك خارج اسرائيل ، ومن هذه العناصر كذلك ، الازمة الاجتماعية او ما يمكن ان ندعوها بالطبقية او الطائفية التي ما فتىء الكثير من اليهود يعانون منها في اسرائيل ، ويقاسون من نتائجها وامتداداتها سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ومن هذه العناصر ، كثير مما يمكن ان يلاحظه المراقب ـ ولو كان سطحيا ـ في حياة المجتمع الصهيوني داخل اسرائيل ، وفي علاقة النظام الاسرائيلي بالمبدئية اليهودية كدين وكقومية ، او كلاهما معا ، وقبل ان نخوض امر المشاكل القومية والدينية التي خلقها ولا يزال يخلقها وجود اسرائيل في حظيرة الجماعات اليهودية بالعالم ، وعلاقة هذه الجماعات ببعضها البعض ، وصلاتها بالدولة المصطنعة من جهة ، والدول الاصلية المختلفة التي تنتسب اليها من جهة اخرى ، قبل ان نتطرق الى ذلك نركز النظر ـ قبل كل شيء ـ في داخل اسرائيل بالذات ، لنرى بعض المظاهر السلبية التي ربما كان لبعضها اثر ما في نفور عدد من اليهود الجزائريين من الالتحاق باسرائيل ، وبالتالي لنجد الاصول الحقيقية التي دعت الى انعقاد المحكمة الغريبة بالقدس، ومحاكمة هؤلاء اليهود الذين لم تتمكن الدعاية الصهيونية الرسمية من استئصال بذور الاحساس بالمشكلة الاسرائيلية في ادمغتهم ، اننا اذا امعنا النظر ـ واعتمدنا في ذلك على مختلف

الظواهر السياسية والاجتماعية الموجودة داخل اسرائيل ، وملاحظات الخبراء والمراقبين ، والرحالة ايضا ، عن الحالة في هذه البلاد اذا امعنا النظر في ذلك ، تستخلص بكل بساطة الحقيقة الاساسية الآتية : وهي ان المشكلة التي يعاني منها النظام الاسرائيلي هي انسانية قبل ان تكون مالية او اقتصادية ، انها تتعلق بالانسان اليهودي الذي كان ملتحما بروابط عضوية وروحية ، تشده الى البلاد التي كان ينتمي اليها بلغته وثقافته وعقليته ، وبدمه ايضا حتى اذا ما قامت الفكرة الصهيونية واقحمته على منطقة الشرق الاوسط اقحاما ، وجد نفسه — في كثير من الحالات — يعيش في بيئة مترجرجة متخلخلة ، تسودها مظاهر الحرب والصراع ، في الداخل والخارج وتتحكم فيها عوامل اجتماعية واقتصادية وفكرية وسلالية لم يكن له بها عهد في كثير من الاحيان ، وليس للمرء ان يدعي بان مثل هذه الحالة القائمة هي بالفعل حالة جميع اليهود العائشين في اسرائيل ، والمتواردين عليها من كل حدب وصوب من جميع انحاء الارض ، ان هناك — حقا — عددا كبيرا من اليهود في فلسطين المحتلة ، يحسون بكامل الغبطة وتغمرهم من وجودهم في الارض الموعودة ضمن « دولة » كانوا يحلمون بها على توالي الدهور والاجيال بل ان ثمة من اليهود ايضا من لا يكتفون بتأكيد سعادتهم الروحية واعتزازهم القومي ، اذا ما سألتهم عن ظروف حياتهم باسرائيل ، بل يضيفون الى ذلك مزيدا من التأكيد على ما يدعون انهم ينعمون به من رخاء مادي ، ويسر في الاحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وقد تكون تأكيدات هؤلاء صادرة عن احساس حقيقي بالسعادة وحسن الحال ، وقد يكون الدافع على ذلك مجرد الرغبة في التجلد والتصابر ، والحرص على سمعة النظام الذي يربطهم به ولاء ذو اصول عميقة او شبه عميقة الا ان مثل هؤلاء الاسرائيليين — ان كانوا — يستطيعون المباهاة باحوال تلائمهم او تروقهم في حظيرة النظام الاسرائيلي القائم فانهم لا يستطيعون — من جهة اخرى — ان يؤكدوا — معتمدين على الاسانيد والبراهين الثابتة — ان هذه الحال هي حال جميع الاسرائيليين على السواء داخل الدولة الصهيونية ، وان ما ينسبونه الى هذه الدولة من قدرة على توفير الاحوال المناسبة يعم مختلف الطبقات التي تشكل قاعدة المجتمع الصهيوني الحاضر ، وقد يجيب هؤلاء — اذا ادلي لهم باعتراض من هذا القبيل — قد يجيبون بان اية دولة في العالم ، لا تستطيع فعلا ان تكفل لجميع المنتسبين اليها القدر الضروري والكافي من مقومات الحياة المزدهرة ، او شبه المزدهرة ، واسرائيل تشملها هذه القاعدة كذلك ، لكن الذي يجب ان يثير الالتفات ، هو ان الحالة التي تتمثل في وجود اسرائيل هي حالة خاصة ، بل وشاذة وانها لا تشبه بقية الدول الاخرى في هذه الحالة ، التي هي من اغرب ما شاهده العالم الدولي في العصر الحاضر ، فـ « الرعايا » الذين يشكلون كيانها الانساني هم معارون في اغلبيتهم من مختلف الدول الاخرى في العالم ، وقد انحدروا اليها او استدرجوا الى ذلك بوسائل اغرائية تقوم في اغلبيتها على استثارة مشاعر عاطفية ذات اصل تاريخي وديني وسياسي الى غير ذلك وقد اثرت هذه المشاعر على اغلبية المهاجرين الذين كانوا ينتمون بمجموعهم الى اقطار ، منها ما هو راق ومتقدم ومزدهر كاقطار اوربا والولايات المتحدة ، ومنها ما كان يكفل لهم على الاقل الامن والاطمئنان الروحي ويجنبهم مساوىء الكراهية العنصرية واللاسامية كما هو الشأن بالنسبة ليهود القارتين الافريقية والاسيوية ، لقد كان اذن هؤلاء يعيشون في احوال تنطوي على بعض الامتيازات التي لا تنكر اما من الناحية المادية ، واما من الناحية المعنوية ثم غمرهم تيار المشاعر او الاغراءات فلم يفيقوا منه الا وهم في فلسطين حيث الاوضاع هي غير الاوضاع وحيث المشاكل المعقودة المتكاثرة التي من الطبيعي ان تعاني منها اية دولة تشكلت على غرار اسرائيل ، وانتصبت واتخذت سبيلها الى التطور في ظل الظروف والاحوال التي ما برحت تحيط باسرائيل ، فمن المعقول ان يكون رد الفعل عند هؤلاء المهاجرين مختلفا باختلاف احوالهم الفكرية والعقائدية والاجتماعية ، فمنهم من يبلغ الاحساس الصهيوني عنده درجة تغطي على امكانية الشعور بالمشاكل القائمة ، والتغيرات الحادة المتوالية ، ومنهم من لا تتوافر له هذه الدرجة من الاحساس وهذا حق من حقوقه الطبيعية التي لا معنى للمجادلة فيها ، ان المهاجرين اليهود بالنسبة الى اسرائيل ، يختلفون تماما عن مواطني اية دولة اخرى من دول العالم ، فالمواطنون العاديون يجدون انفسهم ملتحمين منذ آبائهم واجدادهم ، بالدولة التي ينتمون اليها ولهذا فانهم يتقبلون — من حيث المبدأ — وجود المشاكل الواقعة في حظيرة هذه الدولة ، ثم يسعون جهدهم الى تلافي هذه المشاكل ، واجتناب مضاعفاتها ، اما المهاجرون اليهود في اسرائيل فانهم يجدون انفسهم — بالعكس من ذلك — مقحمين على بلاد لم يرتبطوا بها الا بصورة مصطنعة ، ومنذ عهود قريبة جدا واحيانا تحت تاثير اغراءات ووعود لا يجدون لها — فيما بعد — ظلا من الحقيقة فموقفهم في هذه الحالة يختلف تماما عن موقف غيرهم من المواطنين ، داخل الكيانات الدولية القائمة وعلى العكس يعتبرون محقين في ابداء هذا التذمر ، ما دام ان المشاكل التي تعترضهم كانوا في غنى عن معاناتها لو لم يهاجروا الى اسرائيل ، وبالتالي كان من الممكن ان يعيشوا حياة خالية من المشاعر والاغراءات والوعود ، ولكنها اكثر ثباتا واستقرارا واوفر امنا واطمئنانا ، مما هم فيه داخل هذا الكيان الاسرائيلي المفتعل ، الذي يضمهم بصورة غير طبيعية ، وهناك اعتبار آخر ، ولعله مما يزيد في

تأثير الاحساس بالخيبة عند كثير من المهاجرين ، ذلك انه كان من الجائز ان يصابروا ويجالدوا قوة المشاكل التي تواجههم داخل المهجر ، لو ان هذه المشاكل كانت ذات منشأ طبيعي ، وصادرة عن عوامل حتمية ، ليس لها من راد او دافع ، غير ان الواقع الذي يلاحظه هؤلاء المهاجرون ويلاحظه معهم كثير من المراقبين وخبراء القضايا والمشاكل الاسرائيلية العامة الذي يلاحظه هؤلاء او اولئك ان كثيرا من المشكلات الموجودة تعود الى اصول غير طبيعية وحتى اذا كانت كذلك ، فان المهاجرين اليهود لا يتاح لهم اي سبيل لكي يعانوا منها بصورة متساوية ، وعلى نحو يتحقق معه مدلول المواطنة الكاملة الذي كانت تعرضه عليهم الدعاية الصهيونية وهم في مواطنهم الاصلية وطبقا لهذه الاعتبارات يمكننا ان نجد التبرير الكافي للثورة الاجتماعية التي قام بها منذ سنين يهود الشمال الافريقي المستوطنون لاسرائيل ، معلنين عن تذمرهم من الحياة في نطاق الدولة الصهيونية حيث يسود ما يمكن ان ندعوه بالتمييز القاري اي هيمنة الطبقات المهاجرة من اصل اوربي وامريكي على حساب الجماعات الاخرى التي تنتسب في اصولها الى « سلالات » افريقية او اسيوية او ما هو في حكم ذلك ، ولا يبالغ المرء في القول اذا ما جرأ على التأكيد بان حالة المهاجرين الشرقيين تعتبر — احيانا — ذات صبغة مأساوية مروعة ، فعلاوة على ان العمل وبالتالي المورد الحياتي الاساسي غير متوافر لهم بصورة دائمة ومضمونة ، بينما ان اغلبيتهم كانت عناصر عاملة ونشيطة في بلادها الاصلية ، علاوة على هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة فان التعليم لابنائهم — كما تؤكده تقارير الخبراء في هذا الشأن — غير مضمون بصورة صحيحة ، بل وتبدو في مضماره مظاهر التمييز والتحيز على اوسع نطاق ممكن ، فاسرائيل هي من بين المناطق القليلة التي يصبح فيها التعليم غير مجاني فوق سن الرابعة عشرة ، اما الثانوي فهو مجاني حقا ولكن داخل بعض « الكيبوتزات » (التعاونيات الزراعية) التي تتوافر لها مؤسسات تعليمية وغالبا ما تكون مثل هذه « الكيبوتزات » في ايدي المهاجرين من ذوي الاصول الاوربية او الامريكية ، اما اليهود من اصل شرقي وخاصة مهاجري الشمال الافريقي فانهم لا يجدون في الاعم الغالب — سبيلا الى مثل هذه المعاهد المجانية ، وبالتالي فان تأمين التعليم الثانوي لابنائهم لا يوجد مضمونا الا بصورة ضئيلة جدا ، بل ان هذه الضمانة تنعدم في الكثير من الاحيان ويكون المآل في الغالب ، انهم يبقون بمعزل عن الالتحاق بالاطارات الادارية والفنية العليا وبالنتيجة لذلك يضطرون في النهاية الى ممارسة اعمال ثانوية وبسيطة ، ان وجدوا الى ذلك سبيلا ، وعلى الرغم من المعضلات المتزايدة التي يثيرها هؤلاء اليهود « المتخلفين » الى اسرائيل فان السياسة الصهيونية لا تزال تنتهج — مع ذلك — خطة اغرائهم

واستدراجهم بصورة او اخرى الى الهجرة لارض الميعاد حيث يضيفون — عند ما ينزلون — تعقيدات اخرى الى التعقيدات القديمة ، الا انهم هم الذين يتحملون — في النهاية — نتيجة هذه التعقيدات وعواقبها على مستقبلهم ومستقبل اسرهم وذويهم الاقربين ، وقد يتساءل المرء : لماذا اذن هذه الهجرة التي يحرص على تنظيمها الصهيونيون وعملاؤهم ما دام انها تحدث كل هذا القدر من المشكلات لاسرائيل ، الدولة التي يكون وجودها مشكلة دولية مزمنة ، وتعيش على هامش المشكلات وفي اعماقها في الصميم ؟ قد تبدو ظاهرة من هذا النوع مثيرة حقا للتعجب والاستغراب ، لكن الذي يلم به الكثيرون ان الروح التي تملي على اسرائيل مثل هذه الخطة لا تخرج عن نطاق الروح العامة التي تحدو بالدولة الصهيونية الى توريط جميع المصالح الدولية ، والمصالح الخاصة لليهود في العالم واقحام كل ذلك في بوتقة المصالح الاسرائيلية ، بكل ما تمثله من تعقيد والتواء ، في مختلف الميادين ، ان اليهود الشرقيين يثيرون حقا مشاكل مادية وتنظيمية واسعة النطاق الا انه لا بأس ان يتحملوا — في الاساس — تبعة هذه المشاكل ومضاعفاتها ، بينما يمكن الاستفادة من بعض ما يملكونه من امكانيات بشرية ونقدية ولو محدودة ، واستغلالها في تعمير المناطق الصحراوية النائية . هذا الى اعتبار آخر ، ويتمثل في ضرورة حشد اليهود من جميع انحاء العالم ، وتركيزهم تركيزا واسعا في الارض الموعودة ، ومحاولة الحصول بذلك على صفة الممثل لمختلف الطوائف اليهودية في العالم ، سواء في آسيا او افريقيا او اوربا او امريكا او الجزر المنتشرة هنا وهناك في مناطق المعمور ، وبالطبع فان هذه الاهداف اذا كانت تهم كثيرا من الصهيونيين المتحمسين لمشروع دولة اسرائيل فان هناك عددا آخر من اليهود ، كاليهود الجزائريين الذين تقول التقارير عنهم انهم آثروا الذهاب الى فرنسا او البقاء في الجزائر على الهجرة الى فلسطين — مثل هؤلاء اليهود — وكثير منهم يوجدون في فلسطين نفسها — لا تعنيهم هذه الاهداف بقدر ما يعنيهم ضمان استمرار تطورهم الاجتماعي ، وازدهارهم الانساني الذي كانوا ينعمون به على نحو يقل او يكثر ، في الدول الاصلية التي كانوا ينتسبون اليها بالجنسية او المولد او غير ذلك .

على ان القلق الاجتماعي هذا لا يختص به اليهود الشرقيون الذين يستوطنون اسرائيل بل ان اليهود من اصل اوربي او امريكي تبدو على بعضهم كذلك مظاهر من هذا القلق ، تصل احيانا الى درجة حادة جدا ، وذلك على الرغم مما ينعمون به على وجه العموم من امتياز على شركائهم في الدين من اليهود الشرقيين ، وما يتوافر لهم من عوامل التفوق الاجتماعي على كافة المستويات ، اما السبب في ذلك فيعود في كثير من الاحيان الى حالة التفوق التي يوفرها لهم النظام

الاسرائيلي هي في اعتبارهم حالة نسبية فقط يمكن تقديرها بالنسبة الى الاوضاع السائدة في اسرائيل ، اما بالنسبة لاقطارهم الاصلية في الغرب ، فان الذي يبدو واضحا حقا ان هناك فروقا شاسعة بين الحالتين ، وفي المشاكل الاسرائيلية لابد ان تظهر — بسبب ذلك — اكثر احراجا مما يمكن ان يحتمل وبالتالي ادعى الى القلق في كثير من الحالات ، ولا نسوق هذه التأكيدات من مجرد الظن او التخمين البحت ، بل ان هناك كثيرا من الملاحظات من هذا النوع يبديها المستطلعون للاحوال الاسرائيلية العامة ، وينص عليها الخبراء والعارفون سواء ممن يراقبون الامور عن كثب ، او من يحتكون بها ، ويندمجون فيها على نحو مباشر ، ومن بين المؤاخذات الجوهرية التي يوجهها هؤلاء المهاجرون الى الوضع باسرائيل ، قساوة العيش وشدة وطأته بهذه البلاد ، والاجهاد المبالغ فيه ، الذي يتطلبه تطوير « الخيبوتزات » (التعاونيات الزراعية) و « الموشافات » (القرى التعاونية) وما يقتضيه كل ذلك من مواجهة المصاعب الاقتصادية والاجتماعية التي ربما لم يكن لهم بها عهد خارج اسرائيل ، بل ان طبيعة البيئة الشرقية التي تتمثل في بعض المدن بفلسطين كالقدس المحتلة — مثلا — هذه البيئة لا تروق بعضهم كثيرا وفي بعض الحالات تثير فيهم شعور التذمر والاشمئزاز ، وقد نقل احد الرحالة الاوربيين الذين زاروا اسرائيل في السنوات الاخيرة (رولان بوني) شيئا مما شاهده ولمسه مباشرة من هذا القبيل ، فقد لاحظ هذا الرحالة الفرنسي ان اغلبية المهاجرين « المستغربين » لا يستطيبون العيش في القدس المحتلة ، ولا يجدون في ظلالها ما يشبع نهمهم من الحياة التي الفوا ان يعيشوها في مواطنهم الاولى بالغرب ، وثمة مظاهر كثيرة من هذا القلق الاجتماعي الذي يجتاح اوساط عديدة من اليهود الاوربيين والامريكيين المهاجرين الى اسرائيل ، وان كان هذا القلق يتضاءل شيئا ما امام ذكريات الاضطهاد النازي خلال الحرب وايضا امام الشعور بالعودة التاريخية الى الارض الموعودة لكن هل يستمر مفعول الذكريات النازية المريرة الى ما لا نهاية له ؟ وهل للشعور بالعودة التاريخية ان يغطي على مساوىء الواقع الماثل ، الذي تتراقص مظاهره امام الاعين كل يوم ؟

هناك — حقا — وعود بامكانية تحسن الاحوال في اسرائيل خلال السنوات العشر الماضية وهناك ايضا مجال للقيادة الاسرائيلية لكي تستطيع القول بان هذه الاحوال — وان كانت تتطلب رصيدا هائلا من الكد والعمل الا انه ليس من المعقول ان تعتبر احوالا خطيرة او باعثة على التشاؤم باي حال من الاحوال وقد يجاري المرء هذه التأكيدات ويتقبلها من ناحية مبدئية غير ان ذلك لا يمنع من ملاحظة الحقيقة البارزة وهي ان الوضع الاقليمي الذي تعيشه الدولة الصهيونية داخل الخضم العربي ، السائر باستمرار نحو سبيل اليقظة والانبعاث والتطور ، هذا الوضع يجعل اسرائيل — بمنطق الاشياء وطبيعة الظروف المحيطة بها — مجبرة على الاستمرار في التسلح ، واعالة عشرات الالاف من الجنود الذين يتألف منهم ما تدعوه بجيش الدفاع ، وهذا ما يستنفذ قسطا كبيرا من الموارد التي تستخلصها بمختلف الاساليب والطرق من انحاء العالم ، وهذا ما يدعوها كذلك الى الالحاح في طلب الصلح من العرب، بعد ان كانت تحاول في القديم فرضه عليهم وان تصل الى مبتغاها لا عن هذا الطريق او الاخر ، اما التعويضات التي كانت تقدمها المانيا الغربية خلال السنوات العشر الماضية ، فقد دأبت تشرف على الانتهاء ، وحتى سياسة التوسع الاقتصادي والمالي والفني التي دأبت الدولة الصهيونية على انتهاجها بنشاط في كل من افريقيا وآسيا ، هذه السياسة لا يبدو انها تسير حتما نحو سبيل النجاح الكامل الذي كان يؤمل منها في البداية ، ويرجع ذلك الى تطور العلاقات الدولية العربية داخل القارتين وشدة التلازم الذي اخذ يتسع شيئا فشيئا بين العرب والافارقة والاسيويين ضمن نطاق الوحدة والتعاون الذي تتعزز عوامله باستمرار انه ليس للمرء ان يبالغ حقا في تقرير هذه المعطيات القائمة وينقلد منها الى تكوين استنتاجات فجة او مرتجلة فالظروف ليست — بحق — ظروف تدهور حقيقي وشامل او ما يقارب هذا التدهور بالنسبة لاسرائيل الا ان آفاق المستقبل لا تبيح للاسرائيليين من ذوي التفكير الواقعي شعورا بالتفاؤل المبالغ فيه بل لا تبيح — بسبب مجموع الاوضاع العامة في الشرق الاوسط — اي قدر من الاستبشار والثقة بالمستقبل ، ولاشك ان انعدام الثقة هذه ، هو من بين الدواعي التي تمنع البعض من اليهود من الهجرة الى اسرائيل ، كهؤلاء اليهود الجزائريين الذين كانوا موضوع المحاكمة الغريبة التي انعقدت بالقدس .

واذا ما انتقلنا من ميدان الاعتبارات التنظيمية الاجتماعية ، ووجهنا النظر الى قضايا اخرى من نوع آخر ، فاننا نجد ان الدولة الصهيونية تعاني مشاكل اخرى ذات صبغة روحية واتجاهية وما هو نوع ذلك ، فالمهاجرون الذين يتعايشون داخل اسرائيل — اذا كانت توجد بينهم اختلافات في العقلية والتفكير ، تنعكس على اذواقهم ومشاربهم ووجهات نظرهم في السياسة والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ، فان هذه الاختلافات تتجلى ايضا في طبيعة شعورهم الديني ، ومدى ما يحمله هذا الشعور من عناصر لاهوتية وعقائدية وسلوكية لها جانب من الصلة بهذا الاعتبار او ذاك ، وترتبط بهذه الفكرة او تلك ، وهذه ناحية اخرى من نواحي التعقيد الملحوظ في طبيعة تركيب الكيان الاسرائيلي ، وما ينطوي عليه هذا التعقيد من صور واشكال متباينة ، ان الذي يسلم به الكثيرون ان اسرائيل تقوم في اساسها على قاعدة الرابطة اليهودية وبمقتضى هذه الرابطة يظن البعض ان العنصر الروحي متوافر

على الاقل في بناء المجتمع الاسرائيلي ، وان هذا العنصر منسجم الى درجة ان الاسرائيليين يرتبطون فيما بينهم بلحمة عقائدية دينية مشتركة توفر لهم قدرا من الوحدة لا باس به في مجال الشعور والتفكير ، وليس هذا من الواقع في شيء ، بل ان هذه القضية بالذات توجد من بين القضايا الاكثر حدة والادعى الى اثارة الكثير من عواصف الجدل بين الصهيونيين ومن المعروف ان عددا من الزعماء الصهيونيين الذين قادوا فكرة الوطن اليهودي منذ بدايتها — لم يكونوا متطرفين من الناحية الدينية ، بل ان بعضهم ربما كان من بين الذين لا تحذوهم اية روح دينية ، ولهذا فالمعتقد عند كثير من الباحثين ان الروح الدينية لم تتخذ عند الصهيونيين الاول ، الا كذريعة استغلوها لتجميع مشاعر اليهود في العالم ، والاستناد الى ذلك في الوصول الى الهدف السياسي الجوهري وهي اقامة دولة « سياسية » تتخذ نقطة انطلاق للتوسع والفتح واستعادة المجد اليهودي القديم ، وفي امكان المرء ان يدعي ان العامل الديني هذا كان اساسا لاغراء الكثير من اليهود المتشبعين بالروح الدينية ، والذين لا يرون حقا ان اسرائيل تمثل نموذج الدولة التي ينبغي العيش في ظلها ، ولكنهم — مع ذلك — يرون في الهجرة الى « ارض الميعاد » واجبا عظيما تحتمه الاعتبارات الدينية والخلقية قبل اي اعتبار آخر ، ويعيش الآن في نطاق الدولة الصهيونية كل من الجانبين المتناقضين عقلية واتجاها ، جانب القوميين من جهة وجانب الدينيين من جهة اخرى ، فالاولون يتساءلون : على اي اساس تقوم اسرائيل من حيث المبدأ ؟ ما هي طبيعة الرابط الاساسي الذي يربط بين المهاجرين في اسرائيل ؟ هل هو رابط الديانة اليهودية ؟ او القومية اليهودية ؟ بل ما هي اليهودية في الاصل ؟ هل هي دين قبل ان تكون قومية او قومية قبل ان تكون دينا ؟ او هي مزيج غريب بين الجانبين ؟ اسئلة محرجة تثار داخل الاوساط الصهيونية في اسرائيل وفي الخارج ، وما برحت هذه الاسئلة تثير بعض الجدل والنقاش بين الصهيونيين من ذوي النظريات المختلفة بما في ذلك الاحزاب القائمة في اسرائيل ، والبارزون في مضمار القيادة السياسية الاسرائيلية كرئيس الوزارة السابقة ، ويقول (ريمون آرون) احد رجال الفكر اللامعين في اوربا — يقول بهذا الصدد : « .. ان الاسرائيليين يعلنون ضمنيا على الاقل ان الجماعة اليهودية هي ذات اساس ديني وثقافي ، وليس لها اي اتجاه قومي طالما ان الفكرة القومية — في حد ذاتها — لا يمكن ان تتحقق الا في اطار الاستقلال وهو غير موجود بالنسبة الى اكثرية يهود العالم الذين يحرصون على مواطنتهم الواقعية داخل الدول المختلفة التي يعيشون في حظيرتها ، بل ان اليهود الذين ما فتئوا يصبون الى « الجنسية » الاسرائيلية او حصلوا عليها بالفعل هؤلاء اليهود كثير منهم لم يكن يحذوهم حافز ديني مطلقا .. » وعلى العكس من ذلك فان جماعات اخرى من المهاجرين اليهود لم يكن لها من جهتها حافز الا الحافز الديني التعبدي الذي قادها الى الهجرة لاسرائيل وليس للاحساس القومي من ناحيته السياسية ومظهره القانوني اي دخل في ذلك ولا تأثير ، ولنتخذ مثالا على هذا النوع الاخير من المهاجرين اليهود الذين لا تصلهم باسرائيل اية رابطة فكرية قومية ولا اي شعور بالمواطنة القانونية المالوفة رغم انهم يقيمون في البلاد ومستوطنين اياها منذ عدة سنين ، هذا المثال الذي نسوقه عن هذا النوع من المهاجرين هو مثال طائفة «الحاسيديم» الذين ما برحوا منكمشين في حي خاص ومنعزل بالقدس المحتلة ولا ينزعون الى الاندماج في الكيان الاسرائيلي العام ، الا بصورة محدودة جدا وعلى نحو يضمن لهم جوهر انفراديتهم التي هم بها متمسكون ولا يبدو ان هناك رابطا حقيقيا يربطهم بفلسطين الا رابط المشاعر الروحية والدينية التي تبلغ عندهم درجة على غاية من التطرف والمغالاة ، اما النظام الاسرائيلي المنتصب في البلاد فانهم لا يقرونه ولا يعترفون به بتاتا ، بل انهم اكثر من ذلك يحسون بنوع من الكراهية العميقة للدولة الصهيونية ولا تصلهم بها الا صلة العداوة والبغضاء ، وحتى من ناحية العلاقات العامة فانهم يلتزمون حالة من التوجس والحذر الشديد ازاء جميع شركائهم في الدين الذين يعيشون ضمن حياة مدنية عادية ، داخل اطار النظام الاسرائيلي القائم ، ومن اجل ذلك ، يوجدون متكتلين في حي خاص من احياء القدس المحتلة ، لا يربطهم به رابط مع بقية الناس ، وليس لهذا الموقف الملتزم الذي تتقيد به طائفة «الحاسيديم» صلة بالخلافات السياسية او الاجتماعية ، وانما الامر في ذلك ، هو امر المفهوم الخاص الذي يكونونه عن الدين ، والذي يرون بمقتضاه ان الدولة الصهيونية دولة مارقة دينيا ما دام انها تنتهج اساليب الحياة الحديثة ، سواء في النطاق الداخلي او الخارجي ، ومن الغريب ان هذه الجماعة التي تدين بافكار من هذا القبيل ، تنعم ببعض التاييد المادي من جانب بعض اغنياء الصهيونية بالولايات المتحدة الذين يمنحونها بين الفينة والاخرى بهبات مالية ولاسباب قد لا تبدو واضحة عند البحث والاستقصاء ، هذا الى مفارقة اخرى في هذه الصورة وهي ان طائفة « الحاسيديم » تنتسب الى مذهبية صوفية شعبية لليهود ظهرت عند البداية في شرقي اوربا ، ثم انتقلت الى فلسطين مع هذه الطائفة المتطرفة ، هذه الطائفة التي كم لها من اشباه ونظائر من بين الطوائف اليهودية المتناقضة ، التي تتعايش بصورة غير طبيعية ضمن الاطار الاسرائيلي المتصل .

■ ✶ ■

وعلى العموم ، فان من بين العوامل السلبية الخطيرة التي تتهدد الكيان المصطنع في فلسطين المحتلة ، هذه

المفارقات والتناقضات الصارخة التي يتميز بها هذا الكيان ، وما تخلقه في حظيرته من تصدعات مستمرة ، ليس لانكارها من سبيل ، ولاشك ان هناك صلة كبرى بين وجود هذه التناقضات والمشاكل الاجتماعية المتأصلة عنها ، وبين الظاهرة التي تتمثل في استمرار احجام عدد من اليهود عن الهجرة الى اسرائيل ، بل وامتناع بعضهم حتى عن الولاء لها الا بصورة محدودة ومهلهلة في بعض الاحيان ، وكثيرا ما حاول رئيس الوزارة الاسرائيلية السابق استدراج العناصر اليهودية في العالم الى تجاهل هذه الحقائق ، والتغاضي عن المعضلات المنبثقة عنها ، وبالتالي الاقبال على الهجرة الى الشرق الاوسط، باوسع صورة ممكنة ، لكنه ما فتىء يلاقي في ذلك عنتا كبيرا ، دعاه احيانا الى ابداء انتقادات مريرة ، ضد بعض الطوائف والزعامات اليهودية العالمية ، والخلافات الناشبة منذ عهد طويل بين الرئيس الاسرائيلي السابق وبين « كولدمان » رئيس المنظمات اليهودية العالمية ، لا تزال لها اصداء بعيدة المدى في مضمار السياسة الصهيونية خلال السنوات الاخيرة ، والذي يلم به المراقبون ان هذه الخلافات لها متين الصلة بقضية العلاقات بين اسرائيل ومختلف الطوائف اليهودية في الاقطار « الاجنبية » ، هذه العلاقات التي لا يبدو انه قد توصل الى تحديد لها لحد الان يتصف بالدقة والواقعية والشمول ، لكن الذي يتجلى عند فحص الظواهر العامة بهذا الصدد ، ان المشكلة الاسرائيلية لا تكمن في مجرد قضية العلاقة بين الصهيونيين في الارض الموعودة ، والاخرين في « المهاجر الاجنبية » وانما تستمد مظهر حدتها اكثر من ذلك في تشعب الارتباطات الانسانية داخل اسرائيل نفسها بكل ما تحمله هذه الارتباطات من عناصر فكرية واخلاقية ودينية واتجاهية متناقضة ومن البديهي اننا — في الطرف المقابل — (العالم العربي) لا نعتمد هذه الظواهر كثيرا مستمدين منها كل مقومات امالنا في استرداد الوطن السليب ، ان اسرائيل تستطيع — بحق — ان تعيش طويلا على هامش تناقضاتها الكيانية الخطيرة ، الا ان هذه التناقضات ، لها — مع ذلك — تأثيرها في اضعاف الكيان الاسرائيلي المفتعل ، ويمكن لها ان تساعد على زيادة تدهور هذا الكيان ، وتخلخله اذا عرف العرب كيف يستفيدون من هذه الاحوال بدقة ومهارة ، وبالطبع فان مجموع عناصر هذا الموقف العربي المتربص ، ليست ناشئة عن روح عدوانية اصيلة ، بل هي نابعة فقط عن قوة الشعور العام عند العرب بضرورة مراقبة المصير الانساني الذي يتمثل في حياة اكثر من مليون من المشردين ، تعتبر حياتهم من ابأس ما يعيشه اهل الارض جميعا ، ومن اشدها تعاسة وشقاء .

سلا : المهدي البرجالي



إيران الحديثة

بقلم: جورج لينزوسكي ترجمة: الأستاذ عبد الله السرايري

بانتهاء الحرب العالمية الاولى ، كانت ايران في وضع غير عادي . فروسيا بعد ثورتها عادت الى ضغطها العادي على ايران بدعوى حماية ثورتها من التدخل الخارجي . ومن جهة اخرى نلاحظ ان نفوذ بريطانيا كان قويا ، فهي تحتل مناطق هامة بالشرق الاوسط هذا في الوقت الذي تجاور ايران مناطق نفوذها في كل من الهند والعراق والخليج العربي ، وعلى ذلك فان ايران كانت بمثابة وسيلة للمحافظة على مصالحها لقد اوعزت بريطانيا لحلفائها في مؤتمر باريس للصلح — عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى — برفض الوفد الايراني لدى المؤتمر المذكور ، وسبب ذلك ان ايران كانت تلتزم الحياد اثناء الحرب ، وهذا ما لا يسمح لها بالمشاركة في مداولات المؤتمر . واخيرا قرر وزير الشؤون الخارجية البريطانية اللورد كيرزون ان يطلب من السير بيركوكس في طهران ان يتفاوض مع المسؤولين الايرانيين ، وذلك من اجل توقيع معاهدة تنص على المكانة الكبيرة للسياسة البريطانية بايران ، وتم التوقيع عليها في 9 اغسطس 1919 بلندن . ان بنود المعاهدة تنص على ان تقدم بريطانيا قرضا قيمته مليونان من الجنيهات الاسترلينيةوتنظيم الجيش الايراني. كانت المعاهدة بمثابة حلف للحماية ، فلقد لقيت معارضة من الوطنيين الايرانيين ، ثم ان كيرزون كان يمثل شخصية استعمارية قديمة خلال القرن التاسع عشر ، فهو يميل الى المدرسة الهندية التي تدير المكتب الحربي في آسيا ، وتسعى الى ابعاد نفوذ المسؤولين في بريطانيا بعدم استشارتهم ، فهي تريد ان تستقل بنفوذها في تقرير السياسة البريطانية باسمها من دون اللجوء الى الحكومة المركزية بلندن وقد برهنت الاحداث بانه مخطيء . فقد رفض البرلمان الايراني المصادقة على هذه المعاهدة ، واشعرت اللجنتان المالية والعسكرية بمغادرة البلاد .

الواقع ان ايران لم تكن حسب المفهوم الاستعماري التقليدي مستعمرة بريطانية بكيفية مباشرة ، بل كانت منطقة نفوذ بريطاني بين روسيا والهند . ثم ان بريطانيا ادت ثمنا باهظا بانسحابها من الاراضي الاسيوية المجاورة لروسيا . وكانت تتوقع مع ذلك ان تصادق ايران على المعاهدة المذكورة

وبالنسبة للعلاقات الايرانية السوفياتية ، فقد كانت تبعث على التفاؤل . ففي سنة 1918 الغت الحكومة الثورية كل الامتيازات التي كانت للحكومة القيصرية في ايران . ثم اعلنت الحكومة السوفياتية بانها صديقة وحليفة الى كل الشعوب الاسيوية الثائرة . وفي مؤتمر الشعوب الاسيوية الذي عقد في باكو في سبتمبر 1920 وجهت حملة دعائية ضد الاستعمار . وفي سنة 1920 بدأت المحادثات بين ايران وروسيا بعقد معاهدة الصداقة .

والواقع ان النظام الجديد بروسيا كان يتشوف الى تحقيق التعاون مع جيرانه في الجنوب مع تركيا او ايران او افغانستان . كما ان المعاهدات التي عقدت مع هذه الدول المجاورة ، كانت تهدف الى وضع نهاية لعزلة روسيا من الناحية الدبلوماسية وكانت تريد ان تحقق نصرا على الاستعمار الغربي في آسيا والشرق الاوسط . ولسوء الحظ فان هذه السياسة سرعان ما عكر صفوها احداث عارضة كالتجاء الروس البيض الى ايران مكونين معارضة ضد النظام البلشفي ، فقد تحرك الاسطول الروسي بقيادة الكوميسار راسكولنيكوف . فنزل بالميناء الايراني بانزيلي في بحر قزوين سنة 1920 واجبر حامية انجليزية صغيرة على الانسحاب، واخذت القوات الروسية تتقدم ما بين الشاطيء القزويني ومنطقة جبال البورز ، كما قدمت مساعدتها للثائر المحلي كوكيش خان ، فاعلن النظام الجمهوري بجيلان . وما كان من ايران الا ان قدمت احتجاجا شديد اللهجة الى حكومة موسكو . واخيرا اوضحت الحكومة السوفياتية بان حملة

راسكولنكوف ما هي الا محاولة لتأسيس جمهورية سوفياتية باذربيجان ، وانه لا يمكن سحب القوات الروسية ما دامت الفرق البريطانية مقيمة بايران . كل هذا اقنع الايرانيين بمفاوضة السوفيات . ففي 26 فبراير سنة 1921 تم عقد معاهدة الصداقة الايرانية السوفياتية ، ان نظرة الى هذه المعاهدة فيها ما يدعو الى التناقض ، فالاتحاد السوفياتي تراجع عما تنازل عنه لصالحه القديمة في ايران ، واعطى بذلك تفسيرا للصداقة الروسية ازاء الشعب الايراني ، اذ هناك ملحق للمعاهدة يمنح روسيا الاستغلال الجماعي لصايد بحر قزوين ، وفي الفصل السادس من المعاهدة تحتفظ روسيا السوفياتية بحقها في ارسال الفرق العسكرية الى ايران في حالة ما اذا اصبحت الاخيرة قاعدة للهجوم على الاتحاد السوفياتي ، وبعد ذلك ، انسحبت القوات الروسية من جيلان ، ثم اضمحل نظام كوشيك خان نتيجة لحملة عسكرية سيرتها حكومة طهران الى المنطقة ، والغيت رسميا المعاهدة البريطانية من طرف الحكومة الايرانية وبمرور سبع سنوات من الحرب ضد ثورات القبائل وعصيانها ، حصلت ايران على استقلالها وكانت سيادتها السياسية تقوم على عنصرين :

1) وضعية جاراتها . قوة زعامتها السياسية .

رضى خان واصلاحاته :

بعد التوقيع على المعاهدة الايرانية السوفياتية بخمسة ايام ، عرفت ايران تجربة جديدة بقيادة رضى خان ، والسيد ضياء الدين طباطباي ، فقد كان رضا يقود فرقة القوزاق الايرانية ولم تبلغ سن ضياء الدين آنذاك الثلاثين ، ويمكن ان تعتبره الكاتب والمصلح . اشتهرت فرقة رضا القوزاقية بفعاليتها في الجيش الايراني ، فقد انشئت في 1878 كفرقة تخضع للتنظيم النموذجي الروسي ، وجرت عادة الروس الرسميين ان يولوها اهتمامهم . ففي خلال الفترة التي كان النفوذ السياسي الروسي قويا بايران احتفظ بهذه الفرقة لحماية مصالحه بها . وبعد الثورة الروسية اصبحت هذه الفرقة تخضع رسميا لتوجيه الروس البيض تحت اشراف ستاروسيلكي الذي قدم خدماته الى ايران ، وهو الذي استلم رشت من الجيش الاحمر في 1920 .

اصبح رضا خان على رأس الفرقة بعد ان كان ضابطا تحت اشراف ستاروسيلكي ، وظهر طموحه فقر اخيرا على الاقتداء بثورة روسيا ، فالتجأ الى التخلص اولا من الضباط الروس ، واستعان بالانجليز في تقوية الجيش الايراني ، حيث قدمت له بريطانيا ضباطا بقيادة العقيد سميث الذي ظل يعمل مع الفرقة الى سنة 1921 واستعان بهم في زحفه على طهران واعتبر بهذا العمل صنيعة بريطانية ، ولكن هذه التهمة لم تكن صحيحة فهو اذا استعان بهم لم يكن يخدم الا اهدافه الوطنية .

ثم انتقاله الى السلطة بسرعة نتيجة للانقلاب الذي قام به في فبراير 1921 فأصبح الحاكم الرئيسي لايران ووزيرا للحربية . اما ضياء الدين فكان يامل ان يصبح الرئيس الاول ليتسنى له تطبيق اصلاحاته التي وجدت معارضة قوية من اصحاب الثروة المحافظين ، فبعد ثلاثة اشهر تمكن رضى من مضايقة ضياء الدين فغادر البلاد ليسافر الى اوربا « سفرة طويلة » وفي 31 اكتوبر 1925 قرر المجلس خلع الملك الغائب ثم اعلن في 13 دجنبر تولية رضى شاها على ايران ، والغيت بذلك الاسرة المالكة القديمة « قاجار » واستولت على الحكم اسرة بهلوي .

بلغ طموح رضى ان بدأ بتقليد مصطفى كمال ، فاراد تخليص ايران من النفوذ الاجنبي وان يتبنى الاصلاحات الغربية في الميدان الفني ، وللوصول الى هذه الغاية ، فكر في البداية ان يقوي مركزه فاولى عنايته لتنظيم الجيش تنظيما عصريا ، والجيش المدرب الممتثل بمثابة قوة قادرة على تحقيق النجاح فيما يرومه من اصلاح . ثم اصلح شؤون الامن والشرطة في البلاد . ففي سلسلة الحملات الناجحة استطاع ان يلحق الهزيمة بالثائر الشيوعي كوشيك خان ، ووضع حدا للثورات في خراسان واذربيجان . كما اخضع القبائل الكردية الثائرة في الشمال ، وجعل حدا لشبه الاستقلال الذي كان الشيخ عزال في المحمرة يزاوله خصوصا في منطقة زاخرة بالبترول في الجنوب الشرقي . وخلال تتويجه في ربيع 1926 كانت ديكتاتورية رضا الملكية لا جدال فيها ، وكان المجلس في الحقيقة تابعا ومعينا من قبل الشاه .

ثم التفت بعد ذلك الى الاصلاح الداخلي ، فكانت اصلاحاته بمثابة دور مزدوج قطع بواسطتها خطوات في ميدان التقدم بالداخل والانعتاق من النفوذ الخارجي ، وتنبه الى ان التبعية السياسية لحكام اسرة قاجار هي التي نتج عنها افقار الخزينة ، فاولى الاهمية القصوى لهذه المسألة ، ففي سنة 1922 استدعى الخبير الامريكي الدكتور ارثرشيستر ميلسبو وعهد اليه بتنظيم المالية العامة ، فبقي الخبير يعمل بايران الى سنة 1927 حيث اصلح الخزينة فاصبح لها دخل ثابت ، وخول هذا النجاح للشاه ان يفكر في تحقيق المشروع الفني الذي يقضي ببناء السكك الحديدية الايرانية الذي يربط طهران بكل من بحر قزوين والخليج العربي ، واعتقد الشاه عن حق بان هذا سيساعد على اشراف الحكومة بالمناطق النائية ، ويحقق الامن والازدهار الاقتصادي بها ، ولن يتأتى له ذلك الا بتأسيس شبكة من المواصلات تعمل في احسن الشروط .

ابتداء العمل في السكك الحديدية بايران سنة 1927 وتم العمل بها سنة 1937 والذي تجدر العناية به هو ان المشروع تم تمويله من الخزينة الايرانية وحدها ، وذلك بفرض ضرائب على الشاي والسكر ، وقام المهندسون الاجانب بتحقيق الجانب الفني منه بدون تمييز دولة على اخرى . وبالاضافة الى ذلك فقد امر الشاه ببناء الطرق العالية ، وانعش موءسسة المكالمات اللاسلكية وفيما بين 1927 ــ 1932 تمكنت شركة جانكير الالمانية ان تربط النشاط البريدي ما بين العاصمة ومدن كثيرة . وفي سنة 1928 منح الشاه امتيازا للشركة الامبراطورية للطيران ، وهي شركة بريطانية من الشاطىء الايراني الى كل من العراق والهند . ثم ادخل اصلاحات على التعليم بجعله تعليما عصريا ، وفي 1927 ادخل القوانين الفرنسية لدى المحاكم المدنية . وفي سنة 1931 الغى كثيرا من الامتيازات التي كان يتمتع بها الاجانب بالبلاد ، فحرم عليهم ان يمتلكوا الاراضي الفلاحية . ثم حاول ان يصفي الاوقاف ، الا انه لم يقدم على ذلك اسوة بما حصل في تركيا . كذلك لم تكن له رغبة في ان تشاركه في الحكم اية فرقة مستقلة معينة . كما نص الدستور في عهده على ان يكون الاسلام دين الدولة الرسمي ، والمذهب الرسمي للدولة هو المذهب الجعفري ، والشاه مطالب بان يدعو له ،وان يستشير رجال الدين في القضايا التشريعية . كما ان المجلس لا ينبغي ان يتخطى المبادىء الاسلامية فيما يتعلق بالمسائل التشريعية ، ولم يشعر الشاه قط بانه يمكن ان يتحدى هذه المبادىء ، فعوضا من ان يشهرها حربا عوانا ضد رجال الدين ، فقد التجأ في الاخير الى طرق معوجة متعددة ليتملص متجاهلا اصحاب المذهب الشيعي .

والحقيقة ، ان كل شيء كان قابلا للتطور ، سواء في التربية او في تحرير المرأة . وهذا من شانه ان يقلل من نفوذ رجال الدين . فلقد بذلت في هذه الميادين مجهودات جبارة في فترة ما بين الحربين . فتم اصلاح التعليم الابتدائي بحيث اصبح الزاميا بكيفية رسمية ، ولم يقع تطبيقه بكيفية تامة نظرا لقلة الاموال والاساتذة . ومع ذلك بذلت جهود للتغلب على هذا النقص . وفي سنة1934 اتجهت ايرانللدراسات العليا فبنيت جامعة تحتوي على ست كليات بطهران ، واشتملت على بنايات عصرية . ومنذ سنة 1930 اصبحت الدراسات الدينية الزامية ومحدودة في المدارس الابتدائية والثانوية وكنتيجة لرد الفعل ضد التأثير الخارجي ، فقد نص قانون 1932 على منع المدارس الابتدائية الاجنبية في البلاد ، وانتشر الزي الاوروبي ابتداء من سنة 1928 فقد عوضت الطرابيش بالقبعات الافرنجية واهتم الشاه بتحرير المرأة ، فقد حدد المجلس بتشريعاته من امتيازات الرجل في اصدار الطلاق بالكيفية التي يولغ فيها وان تشتغل المرأة في الادارت ، وان لا تمتهن الوظائف السياسية ، ثم شجع على ان تتزيا بالزي الاوروبي ، ففي سنة 1935 ظهرت زوجته وبناته بالزي الاوربي التقليدي ، ومنع الحجاب . لقد سببت كل هذه الاصلاحات هيجانا قويا في الاوساط المحافظة ، ولكن قوة القانون كانت اقوى . بعد ذلك، امر الشاه بان يعاد النظر في اللغة الايرانية وعهد الى المجمع اللغوي الذي تأسس في 1935 بهذه المهمة ، وهو عكس ما حصل في تركيا باستبدال الحروف العربية بحروف لاتينية بل ابقى على الحروف العربية ، ومنذ سنة 1935 اصبحت البلاد تدعى ايران بدلا من الاسم الهيليني وهو فارس .

كان للصحة نصيب من اهتمامه ، حيث بنيت كثير من المستشفيات العصرية ، واهتم بالمشاكل الناتجة عن الصناعة العصرية التي اخذت في الظهور منذ سنة 1938 كما لعبت الصحف دورا هاما في تمجيد هذه الاصلاحات ، الا انها من جهة اخرى لم تكن قادرة على نقد اعمال الحكومة ، وكان عدد الصحف في طهران لا يتعدى الاربعة . وفي سنة 1940 تأسست اول اذاعة تابعة للحكومة تبث برامجها من العاصمة ، وكانت برامجها في البداية تعليمية .

التجهيز الاقتصادي :

بفضل الاصلاحات الاجتماعية تطور الاقتصاد الوطني باشراف الحكومة ، فايران تتبنى رسميا اشراف الحكومة على المشاريع كما حدث في تركيا ، ولكن الحكومة الايرانية كانت تتدخل في الحياة الاقتصادية بكيفية عملية لاحداثالتوازن فبعد ان استقال الدكتور ك . ميلسبو عهد الشاه الى الاقتصادي الالماني الدكتور لندن بلات بتنظيم المصرف « البنك » الوطني الايراني ، ففي سنة 1928 منح للبنك امتياز اصدار اوراق « البنكنوت » بعد ان تم سحب هذا الامتياز من البنك البريطاني الامبراطوري بايران ، كذلك تابعت الحكومة جهودها لتأسيس صناعات جديدة ، وغالبا ما يتم ذلك بمساعدة المانيا ، وهذا يقال ايضا عن التجارة الخارجية . وفي سنة 1931 اتخذت اجراءات وقائية ضد التجارة السوفياتية ، فأسست الحكومة ما يسمى باحتكار التجارة الخارجية . كما تركت الحرية للعمليات المالية وللمشروعات بشرط ان يتم ذلك بمراقبة الحكومة ، وكان للشاه نصيب في المشاريع الصناعية فساهم باموالة في استثمار عدة مشاريع عصرية حيث كان يلح عليها ، فبنى عدة فنادق في اجمل الساحات .

ان معظم ثروة ايران تقوم علىالبترول ، والى وقتنا هذا ، فان انتاجه يتم على يد الاجانب ، وبكل تأكيد ، فان اصلاحات الشاه حركت ايران من الخمول . ولو استطاع الشاه ان يستمر في هذه الاصلاحات لمدة عشر سنوات اخرى لاستفادت ايران كثيرا . لكن عمله توقف بقيام الحرب العالمية الثانية . فتيما يتعلق بهدفيه : التحرر من النفوذ الخارجي ، وعملية

الاستغراب « تقليد الغرب » فقد نجح في الهدف الاول ، ولكنه لم ينجح في الهدف الثاني لان عمله كان اكثر صعوبة من عمل اتاتورك ، فهو يعمل في بلد اكثر تأخرا ، ولان ثقافته وشخصيته تختلف عن شخصية كمال، فهو لم يكن قط في اوروبا.

سياسة ايران الخارجية :

ان بلدا صغيرا كايران استطاع ان يتخلص سيادته المهددة منذ 1919 فهي ليست بقادرة على ان تزاول نشاطا توسعيا في الميدان السياسي . ولو انها حاولت في مؤتمر باريس ان تتقدم بمطالب تهدف الى الحاق مناطق كردية في شمال العراق وضمها الى ترابها ، وكذلك الحاق بعض الاراضي في القوقاز، وفي آسيا الصغرى ، ثم انها حاولت من جهة اخرى ان تطالب بضم محمية البحرين البريطانية - والتي يسكنها عرب - الى ترابها ومثل هذه المطالب لم تكن تخلو من ديماغوجية .

ويمكن اجمال السياسة الخارجية لايران في نقطتين هامتين :

1) سياستها التي ترتبط بدول الشرق الاوسط .
2) سياستها التي ترتبط بالدول الكبرى .

ففيما يتعلق بدول منطقة الشرق الاوسط ، فانها كانت تنشد السلم والصداقة وحسن الجوار مع جيرانها ، وخاصة مع تركيا التي كانت بينهما عداوة قديمة وكذا بين ايران وافغانستان من جهة اخرى .

ففي 22 ابريل 1926 عقدت بتشجيع من الاتحاد السوفياتي معاهدة صداقة مع كل من تركيا وافغانستان ، وبالرغم من ذلك فقد ظل المشكل الكردي العائق الرئيسي لتسوية تامة بين انقرة وطهران ، فقد استحكم الخلاف بينهما خصوصا ما بين يونيو ويوليوز 1930 ولم تتوطد علاقات حسن الجوار الا بعد ان سويت مشاكل الحدود سنة 1932 . ففي نفس السنة قام الملك فيصل ملك العراق بزيارة ايران وفي سنة 1934 توثقت العلاقات بين ايران وتركيا بزيارة الشاه رضى الى انقرة . وفي سنة 1937 تم التوقيع على ميثاق سعد اباد بين كل من تركيا والعراق وافغانستان ، وتنص على عدم الاعتداء ، وتبادل الاستشارات والتعاون المشترك ، ومنع القيام بنشاط قد يسيء الى الدول الموقعة . كانت نظرة الاتحاد السوفياتي الى الميثاق انه بمثابة ستار مقنع دقيق تشف منه عداوته لها ، واعتقدت بانه عمل وقائي ضدها .

لقائل ان يقول بان علاقات ايران بالعراق اقل منها بالنسبة للدول العربية الاخرى مثل سوريا ولبنان وفلسطين وذلك لانها كانت تحت الانتداب ، ولم تكن لها سياستها الخاصة بها . ويمكن ان نقول بصفة عامة بان ايران بقيت بمعزل عن المشاكل في البلاد العربية ، فلم تساهم في قضية فلسطين . وكبقية دول الشرق الاوسط ، فان غالبية مشاكل ايران كانت كلها منحصرة مع الدول العظمى ، وليست مع جيرانها .

العلاقات الايرانية السوفياتية :

بعد المصادقة على معاهدة 1921 يمكن ان نصف العلاقات الايرانية السوفياتية بانها كانت سليمة ، وليست وطيدة وذلك لاسباب متعددة منها الحادث العرضي الذي حصل في جيلان ، فنزع الثقة من قلوب الايرانيين ، ثم الثورات التي قامت في اذربيجان وخراسان ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان روسيا كانت تمد الحزب الشيوعي الايراني بجميع المساعدات حتى يقوى مفعوله في ايران . ذلك ان المسؤولين في روسيا كانوا ينظرون الى نظام رضا بانه اقطاعي ، فهو يمثل ثورة شبيهة بالثورات البورجوازية ، ومع ذلك فهي خطوة ايجابية ، وهذا يتفق مع جدلية ماركس . اما ما كان من العلاقات الاقتصادية بينهما فقد كانت تبعث على الارتياح .

كانت مسألة امتياز البترول في الشمال من احدى المشاكل التي اثير حولها خلاف كبير ، فبعد ان تحررت ايران من التبعية الروسية القيصرية بفضل معاهدة سنة 1921 كانت ايران باستمرار تمنح الامتيازات الى الشركات البريطانية والامريكية ، وكانت تلاقي اعتراضات من الاتحاد السوفياتي ، بل اعترض كذلك على هذه الامتيازات التي منحت للغربيين في العراق . فمنذ 1924 الغت ايران كل الاتفاقات التي وقعتها مع الشركات البريطانية والامريكية ، واعيد النظر فيها سنة 1939 عندما منحت ايران للشركة الامريكية للبترول - وهي فرع من شركة الساحل للبترول في ديلاوار - امتياز التنقيب في المناطق الشمالية ، فلم يسجل اي احتجاج روسي في هذا الوقت ، لكن الامتياز لم يصبح عمليا نظرا لتنازل الشركة عنه لاسباب تتعلق بالحالة الدولية .

كانت التجارة السوفياتية الايرانية تشكل العمود الفقري في اقتصاد البلدين . فقد صرح السفير السوفياتي بتيروفسكي بطهران عندما تناول العلاقات الروسية الايرانية قائلا : ان كل انتاج الشمال الايراني يعتمد على اسواق الاتحاد السوفياتي. فاذا ما اوقف الروس شراءهم للبضائع الايرانية فان ايران ستعلن افلاسها بعد شهر ، وهذه هي قوة روسيا التي لا تماثلها بريطانيا . ان بيان السفير لم تكن فيه مبالغة او مغالطة ففي سنة 1926 قام نزاع حول حقوق الصيد في بحر قزوين ، الامر الذي دفع روسيا الى منع صادرات ايران اليها باستثناء القطن . فتضررت نواحي الشمال .

كان الممثلون التجاريون السوفيات هم الذين يمنحون رخصا لجلب البضائع الى التجار الايرانيين من روسيا . وفي سنة 1927 توقفت المقاطعة عندما سويت اثمان الاسماك في اتفاقية الصايد ببحر قزوين ، بحيث خدمت مصالح روسيا . والاعتبارات سياسية، فانها لم تتردد في تصدير السكر والبترول الى ايران، الامر الذي سبب لتجارة ايران الخارجية خسارة كبيرة مع الدول الاخرى . ففي خلال سنة1920 كانت ايران تعاني مشاكل مرهقة في تجارتها مع الاتحاد السوفياتي ، وذلك بسبب النظام الحرفي الايراني الذي لا يمكن ان يثبت امام ضغط التجارة الصناعية التي تشرف عليها الحكومة الروسية . وللتغلب على ذلك عزم الشاه رضى سنة 1931 على احتكار التجارة الخارجية ، ثم بصعود هتلر الى الحكم ، بدأت التجارة الايرانية تتحول الى المانيا .

بالرغم من ضعف الحزب الشيوعي الايراني ، فان روسيا لم يتوقف قط تتبعها بكل حذر عما يجري في ايران ، فبالاضافة الى الممثلين التجاريين السوفيات والجواسيس وممثلي الكومنترن الذين كانوا يجوسون خلال البلاد الايرانية بوسائل متعددة ، فان الشاه رضى لم يكن مسالما مع اي نشاط ثوري في الداخل ، ولم يقدر لايران ان تصبح شيوعية لان ذلك كان متعذرا ، الا في حالة التجاء روسيا بواسطة اعتداء خارجي لحماية اي نظام ثوري داخلي فهذا ما لم تقدم عليه .

العلاقات الايرانية البريطانية :

مرت العلاقات بين الدولتين في هذا الوقت بمراحل متعددة فهي تتغير من المسالمة الى الهجوم، فعندما تكون مسالمة تكون ايران اكثر ارتباطا ببريطانيا من اية دولة اخرى . ويرجع ذلك الى وجود النفوذ البريطاني اما بالهند او العراق او الخليج العربي ، وخصوصا اذا اشرنا الى الدور الهام الذي تقوم به شركة البترول الانجليزية الايرانية في منطقة خوزستان ، فكان حضور هذه الشركة الضخمة لمصافي البترول بعبدان يعود الى حد بعيد الضرورة الملحة التي تدعو الى مضاعفة العمل والخدمات بكيفية مباشرة او غير مباشرة ، حتى تكون مرتبطة بمصالح البترول البريطانية في العالم . وكانت الاقامة البريطانية في الخليج العربي بمدينة بوشير . اما القنصليات البريطانية الاخرى فكانت تعمل بايعاز من الادارة الرسمية بالهند ، ثم هناك فروع للبنك الامبراطوري منبثة بايران ، ووكلاء رسميون وغير رسميين يعملون بين القبائل، كل هؤلاء تعاونوا على خدمة المصالح البريطانية في الحقل المدني والعسكري . كان لبريطانيا ميدانان للعمل الدبلوماسي اولهما ممثل في السفارة البريطانية بطهران . والثاني منحصر في دور القناصل والوكلاء ، وهؤلاء كان لهم اتصال بقبائل القشقاي ، وبختياري ولورس ، والاكراد ، ومنذ ان استلم الشاه رضى زمام الحكم ، لم يستطع ان يؤثر على هذه العلاقات التقليدية .

وفي سنة 1927 وقع النزاع بين الدولتين حول البترول الموجود بالبحرين ، فايران تدعي ان البحرين جزء من اراضيها التاريخية، لكن بريطانيا رفضت ذلك ، وعندما توترت العلاقات بين الدولتين سنة 1928 ابدت بريطانيا امتعاضها لالغاء ايران – من جانبها – الامتيازات التي كانت تملكها ، بحيث طالبت الاخيرة بحماية رعاياها ، ثم رفضت ايران السماح للطيران البريطاني بمزاولة نشاطه على الساحل الايراني المؤدي الى الهند ، هذا في الوقت الذي انهت ايران العمل بالاتفاقيات المعقودة بين المانيا وكذا الاتحاد السوفياتي . واخيرا قر عزم الشاه على تخضيد شوكة الشيخ غزال حاكم المحمرة التي تدعى بخوزستان حيث ظلت منذ زمن طويل هدفا للمصالح البريطانية البترولية، كما طالبت بريطانيا ايران بالديون المستحقة عليها مقابل تكوين فرقة من الجيش الايراني على يد البريطانيين في جنوب ايران ، ثم رفضت ايران ان تعترف بالاشراف البريطاني على العراق واستحكم الخلاف بينهما في مسألة التعرفة الجمركية .

كل هذه المشاكل حلت بنجاح في نهاية مايو 1928 بعقد معاهدة انجليزية ايرانية اعادت العلاقات الطيبة بينهما ، حيث منحت المحافظة او الحماية للرعايا البريطانيين المقيمين بايران عوضا عن الامتيازات القديمة ، ومهد هذا الطريق لاتفاقية ايرانية بريطانية في موضوع الخطوط الجوية الملكية البريطانية حيث تم التوقيع عليها في ديسمبر 1928 . وفي سنة 1932 قامت ازمة بينهما حول النسب في حصيلة البترول ، ذلك ان ايران اتهمت الشركة الانجليزية الايرانية بالاستغلال لصالح بريطانيا وحدها ، مما جعل الشاه رضى يلغي من جانبه امتياز الشركة ، فاحتجت بريطانيا ، وارسلت بعض قطع اسطولها الحربي الى الخليج العربي ، ثم عرضت القضية على مجلس عصبة الامم فاصدرت الاخيرة حكمها القاضي بمراعاة حقوق ايران من عائدات البترول مع استرجاع الشركة شخصيتها الايرانية تدريجيا . وقد عد ذلك انتصارا دبلوماسيا لايران . ومنذ ذلك الحين اخذت العلاقات الايرانية البريطانية تعود الى مجراها العادي وان كان النفوذ البريطاني في الظاهر هو الرابح .

العلاقات الايرانية الالمانية :

تطورت العلاقات الايرانية الالمانية خصوصا بعد ظهور نظرية « القوة الثالثة » التي يمثلها الرايخ الالماني ، فمالت اليه ايران خصوصا بعد ان اصبح الرايخ يستعيد قوته بعد الهزيمة التي عرفتها المانيا في الحرب العظمى . فمنذ سنة

1928 اخذت ايران تستفيد لنفسها أكثر فأكثر اقتصاديا وفنيا خصوصا بعد صعود هتلر الى الحكم . وكانت رغبة ايران ازاء صديقتها ألمانيا ان يكون للرايخ مصالح عامة في الشرق الاوسط وخاصة بايران بكيفية متبادلة ، فاخذت بالفعل تبعث اعدادا من الخبراء ، وقوي التبادل التجاري بينهما . ثم اخذت المواصلات والصناعة والعمران والمستشفيات والزراعة تقوم كلها بايران بمساعدة الالمانيين . وفي سنة 1935 بدأت المفاوضات من اجل اتفاقية باشراف هجالمرشاخت اثناء زيارته لطهران ، وهي الاتفاقية التي كانت الاساس القوي للتجارة بين البلدين ، ثم اخذت الشخصيات الايرانية المرموقة تزور برلين. ولم يتأخر الرايخ عن ارسال رجال مثل بالدورفون شيراخ الزعيم النازي الشاب ليقوم بزيارة ايران. وفي سنة 1939 كانت نسبة 41 في المائة من التجارة الخارجية الايرانية كلها مع المانيا . كما ان عدد المقيمين بايران من الالمان سواء منهم الفنيون او التجار او السواح يقدر بـ 2000 . كانت الدعاية النازية ناجحة نظرا للروابط الآرية التي تربط بين الدولتين . كما لم يتردد الشاه رضى في ابداء المدح للنظام في المانيا باعتباره وقاية ضد الشيوعية ، ونتيجة لهذه السياسة اخذ النفوذ الالماني بايران يتقوى على حساب النفوذين الروسي والبريطاني ان لم يكن قد سبب لهما خسارة كبرى . هذا من جهة ، ومن ناحية اخرى اخذت القومية الايرانية تعظم كاعتزاز أكثر منه تفكير سياسي رزين .

ايران والحرب العالمية الثانية :

اثناء اعلان قيام الحرب في سنة 1939 التزمت ايران موقفا حياديا ، وتحولت العلاقات التجارية الايرانية مع المانيا الى الاتحاد السوفياتي . ففي يونيو 1941 فكر الحلفاء الغربيون في مساعدة روسيا ، وكانت هناك اربع طرق ممكنة التحقيق ضد هذا الغرض وهي : مورمانسك ، وفيلاديفستوك ، والمضايق التركية ، والاراضي العليا الايرانية ، ورؤي ان فيلاديفستوك ومورمانسك لا يمكنها ان تفي بالغرض المنشود ، اما تركيا فقد اغلقت مضايقها ويجب لفتحها ان تشن حرب ضدها ، ولكن الحلفاء رفضوا هذا الرأي لانها لم تكن في حالة حرب . اذن اصبحت ايران هي المنفذ الوحيد الى روسيا بتنظيم المساعدة الضخمة اليها بواسطة النقل البحري . وكانت في ايران مجموعة من الفنيين والخبراء الالمان الذين يقدرون بوحي من برلين ان يقوموا بعملية تخريب لعرقلة نقل المعدات الى روسيا. ومعنى ذلك ، ان تظل اراضي ايران مهيأة لذلك . ولهذا تقدم في الاخير كل من الاتحاد السوفياتي وبريطانيا في يونيو واغسطس 1941 الى الحكومة الايرانية بطلب طرد الالمانيين من بلادها ورفضت بالفعل هذا الطلب . وفي 25 اغسطس زحفت القوات الروسية والبريطانية فاحتلت ايران حيث لم تبأ بمقاومة القوات الايرانية الوطنية . وقسمت البلاد الى منطقتين بين الدولتين فاصبحت روسيا تشرف على خمس نواحي في الشمال وهي اذربيجان وجيلان ومازندران ، وجورجان وخراسان .

اما بريطانيا فقد استولت على باقي البلاد مع احتفاظ طهران بالحياد . وامام الضغط الروسي والبريطاني تنازل الشاه عن العرش لابنه محمد رضا الذي كان له من العمر 20 سنة ، فغادر البلاد الى جنوب افريقيا على ظهر سفينة بريطانية، وهناك توفي سنة 1944 وظهرت حكومة جديدة موالية للغرب . ففي 29 يناير 1942 تم عقد معاهدة التحالف بين ايران والاتحاد السوفياتي وبريطانيا ، واعترفت المعاهدة بان وجود القوات الروسية والبريطانية في ايران لا يشكل احتلالا لها . كما منحت المعاهدة الحلفاء تسهيلات النقل في ايران ، ثم اكدت على استقلال ايران ، وان قوات الحلفاء ستنسحب بعد مرور ستة اشهر من انتهاء الحرب . وفي سنة 1942 نزلت بايران فرق من الامريكيين الغير المحاربين تقدر بـ 30 000 رجل، مهمتهم تنظيم تزويد روسيا بجميع انواع المعدات ، ونتج عن هذه الاحداث وقوع رد فعل قوي في ايران نظرا لضعف ايران من جهة ، وان الايرانيين كانوا يعولون — وهذه غلطتهم — على ان تدافع عنهم المانيا من جهة اخرى . لقد تمت اعادة النظر من جديد في الدبلوماسية الايرانية حيث وجهت وجهة اخرى تهدف الى الحفاظ على الاستقلال الوطني .

ولم يكن هذا العمل هينا لتحقيقه ، فقد تحولت ايران بين ليلة واخرى من دولة محايدة الى دولة حليفة اي انها اصبحت تحول احتلال البلاد من طرف الاعداء الى تعاون ودي معهم ، وكانت تؤمل ان تحصل من ذلك على تقدير الحلفاء، وتضمن مقعدا في مؤتمر السلم بعد ان تحقق لها انسحاب جيوش الحلفاء من اراضيها . كانت تعتري هذا الهدف صعوبات جمة خصوصا من قبل الاتحاد السوفياتي لانها كانت تخشى ان يستمر احتلاله لها .

ونظرا لهذه الاوضاع الداخلية فان الاحتلال الاجنبي وتنازل رضى عن العرش كل ذلك نتج عنه توقف في اصلاحاته فحدثت نكسة في الحياة الاقتصادية العادية ، وجرح الكبرياء الوطني في الصميم .

اصبح وجود القوات الاجنبية يكون مجموعة من المشاكل الداخلية ذات صلة بعلاقات ايران الخارجية . واشتد نشاط الحركات المتطرفة بكيفية ملحوظة . فالحركة الشيعية اخذت تبدي نشاطها بعد ان ظل مكبوحا . يضاف اليها نشاط الحركات اليسارية التي يتزعمها حزب تسودة « الجماهيري » الشيوعي . كل هذه العوامل ساعدت على التعقيدات السياسية للبلاد .

كانت سياسة الاحتلال عند الاقوياء تمثل اهمية قصوى ، ذلك ان مصالح روسيا في ايران كانت تقليدية ، فالوثائق النازية السوفياتية التي نشرت مؤخرا في واشنطن والتي عثر عليها في رفوف وزارة الخارجية الالمانية تشير الى ان الاتحاد السوفياتي كان يفكر جديا في جعل ايران والعراق داخلة تحت نفوذه . ومنذ سنة تقريبا كانت القوات السوفياتية تحتل اغنى المناطق الايرانية . ذلك ان ايران المعارضة للحكم السوفياتي اصبحت اليوم متخلية عن هذه الفكرة ، بل فتح الباب على مصراعيه لتكون ضحية التآمر والتسلل . ومن الطبيعي ان لا تهمل روسيا هذه الفرصة العظيمة . ذلك ان سياستها خلال الحرب بايران كانت ثورية بمعنى ان العناصر السوفياتية كانت تعمل اي شيء ممكن لقلب استقرار ايران رأسا على عقب ، وان تخلق شروطا لتغيير عنيف . وقد منحت روسيا بكل وضوح فرصة التوسع بقواتها في ايران واستمرت في خطتها الثورية باساليب متعددة . لقد امدت حزب تودة الشيوعي بمساعدتها . فتم اطلاق سراح زعمائه من سجون الشاه رضى وسلموا الى الجيش الاحمر كما شجعت حركات العمال ، وامدت الصحف الموالية لها ، ثم قدمت رشوات الى بعض الزعماء السياسيين والمثقفين . وقامت بدعاية واسعة النطاق وخصوصا بين الاقليات القومية مثل الارمن والكرد لفرض انفصال اذربيجان الايرانية حيث توجد بها اقلية كردية ، ثم وضعت الرقابة على الصحف وعلى الانباء الخارجية كما اصبح الجيش والشرطة تحت رحمة الاحتلال . وباتهاء سنة 1944 قام مساعد كوميسير الشؤون الخارجية كامندارادز بزيارة طهران وطالب بامتياز البترول في المناطق الشمالية ، ولكن رئيس الوزراء محمد سعيد رفض ذلك ، واثره قامت ازمة حقيقية بين البلدين كما قامت الصحف الموالية للاتحاد بضجة تطالب بمنح الاتحاد السوفياتي هذا الامتياز . واتهمت الحكومة بميولها النازية، وبعد ذلك تحرك حزب تودة بمؤازرة الدبابات الروسية ليقوم بثورة في طهران وبقيت مدن ايران تؤيد المطالب الروسية . وفي الندوة الصحفية التي عقدها الكوميسير بطهران اتهم رئيس الوزراء بالعناد . وهكذا اصبحت الحوادث ترغم سعيد بالاستقالة ، وان يعوض بخلف سالم . وفي موجة من الانفعال تقدم العضو البارز بالمجلس الدكتور محمد مصدق بمشروع قانون الى الاعضاء يمنع الحكومة – مع اقسى العقوبات – ان تتفاوض في منح اي امتياز للبترول بدون موافقة اعضاء المجلس . وكأنما فشل « كامدارادز » في مهمته فغادر طهران الى موسكو . وكان هذا تراجع من السوفيات .

اما في المنطقة البريطانية من ايران فقد سمحت الحكومة بقيام نشاط سياسي باستثناء الحزب الشيوعي الذي كان مراقبا .

تمثلت المقاومة ضد السوفيات بايران خصوصا من طرف القوتين الكبيرتين الولايات المتحدة وبريطانيا ، وكان عبء المقاومة يقع على كاهل بريطانيا حيث بذلت جهودا في مقاومة الدعاية السوفياتية التي تتمثل في نشاط الحزب الشيوعي الايراني . فقدم البريطانيون مساعدتهم الى حزب « ايديراي ملي » او حزب « الارادة الوطنية » الذي اسسه السيد ضياء الدين بعد رجوعه من منفاه الطويل بفلسطين . كما قام مكتب العلاقات العامة بالسفارة البريطانية بمقاومة الدعاية الروسية الرسمية عن طريق مجموعة من الصحف المعارضة للسفيات بما فيها اليومية والدورية .

كانت الدعاية اثناء الحرب قد اتخذت اسلوبا معتدلا بين الحليفتين في ايران نظرا لحاجة كل منهما الى الاخر ، فبريطانيا وروسيا تواجهان عدوا مشتركا وهو المانيا ، ثم ان بريطانيا كانت تستعمل نفس الاسلوب الهجومي الذي التجأ اليه الاتحاد السوفياتي ضد بريطانيا ، وكانت ترمي من ذلك الى ايجاد التوازن في الحرب النفسية ، وتتظاهر بمغادرة البلاد حتى تترك اثرا طيبا في نفوس الايرانيين .

ترى ما نتائج ذلك على وضعية الولايات المتحدة ؟ ان اهم حقيقة حول السياسة الامريكية انها لم تكن متسقة مع سياسة بريطانيا . فلم يوجد التنسيق بينهما سوى في الميدان الاقتصادي والفني لتقديم ما تحتاج اليه روسيا . ولم تكن وسائلهما المشتركة تدل على اي تناقض بينهما في المبادىء . وظهرت الولايات المتحدة وكأنها تريد ان تبقى بمعزل عن المشاكل السياسية بالبلاد .

ظلت الولايات المتحدة تبعث بمساعدتها الفنية والاقتصادية الى ايران ، الا انه في بحر 1943 بناء على طلب الحكومة الايرانية رجع الدكتور ا. س ميلسبو للمرة الثانية ليدير شؤون مالية ايران العامة . فقد اعطيت له صلاحيات من طرف المجلس « البرلمان » وخول له ان يطلب ستين اعانة امريكية ، كما استدعيت بعثة عسكرية لتقديم استشارتها الى الجيش الايراني . وهناك بعثة اخرى برئاسة نورمان شوارزكوف الذي كلف بتنظيم فرقة الجيش والشرطة . واخيرا قام خلاف بين الدكتور ميلسبو وبين اعضاء الحكومة قدم اثناءه استقالته سنة 1945 ، واستفادت ايران من المساعدة الاقتصادية الامريكية .

وفي فاتح دجنبر 1943 عقد مؤتمر طهران الذي ضم كلا من الرئيس روزفيلت ورئيس الوزراء المستر تشرشل والرئيس ستالين . وقد صدر بيان عقب هذا الاجتماع اعترف فيه المؤتمرون – بطلب من روزفيلت – بالخدمات التي قدمتها ايران من اجل تزويد روسيا بالمعدات بواسطة البحر عن

طريق ايران ، ويمدونها بالمساعدة الاقتصادية اثناء الحرب وبعدها . كما يطلب البيان من ممثلي الميثاق الاطلسي وخاصة الاقطاب الثلاثة بان يؤيدوا استقلال وسيادة ووحدة التراب الايراني الكاملة . واستقبل البيان بارتياح كبير من طرف الايرانيين الذين كانوا يتوقون الى استقلال بلادهم . وفي خلال هذه الفترة التي كانت الصداقة الروسية الامريكية لا تشوبها شائبة لم تبد الولايات المتحدة استعدادها للسماح باعطاء روسيا تاكيدات في نفوذها السياسي بجارتها ايران . ومن ناحية اخرى ، يلاحظ انه في الوقت الذي كان كافتاردوز يزور ايران اصبح معلوما بان بعض الشركات البريطانية والامريكية كانت تطالب بامتياز البترول في حقول ايران ، ورفض بالفعل طلب هذه الشركات وعقب ذلك اصدر السفير الامريكي ليلاندب موريس بطهران بيانا اعلن فيه بان الولايات المتحدة تحترم سيادة ايران ، ولها الحق في رفض طلب هذه الامتيازات . وعندما وقع الخلاف بين الحكومة الايرانية والخبير الامريكي ميلسبو في الشؤون المالية نفضت السفارة الامريكية يدها رسميا من كل خلاف ينشب ما بين الحكومة الايرانية والرعايا الامريكان . كان الايرانيون يأملون ان تصبح امريكا صديقهم الثالث بعد المانيا ولهذا السبب كانت تستدعي خبراءها باستمرار .

مشكلة اذربيجان :

عندما وقعت اليابان وثيقة استسلامها في سبتمبر 1945 وقعت فجأة قلاقل ضد الحكومة الايرانية في المناطق الخاضعة للنفوذ الروسي باذربيجان . وقامت الحكومة المركزية تقاوم خطر هذه الثورات . ثم ان وزراء خارجية الدول الاقطاب الذين حضروا مؤتمر لندن لم يظهروا اي عزم على معارضة روسيا ، وامام هذا الموقف اخذ الاتحاد السوفياتي يبدي استعداده لتقرير مصير الاحداث بالبلاد . ففي 12 سبتمبر 1943 قام رئيس حزب تودة باسم حزب جديد وهو « الديموقراطيون » وموعز اليه من طرف الوكلاء السوفيات الذين اخترقوا الحدود ، فخلعوا الحاكم الايراني بتبريز ، ثم اعلنوا الجمهورية باذربيجان ، وذلك بمساعدة الجيش الاحمر حيث قدم لهم الحماية الكاملة ، زد على ذلك انه حال دون وصول القوات الحكومية المركزية التي ارسلتها طهران للحاق بالمنطقة ، وقامت الحكومة في اذربيجان تحت رئاسة المناضل القديم والوكيل للكومنترن جعفر بيشياري . واخيرا قدم شكره للاتحاد السوفياتي الذي ساعده من اجل النهوض بالبناء الاقتصادي الاشتراكي للمنطقة . واثر ذلك قامت جمهورية كردية تحت حماية روسيا في منطقة « ماهاباد » وزود زعماؤها بالاسلحة والتشكيلات الروسية ، وكانت لهم صلات بثوار تبريز .

ابدت الحكومة الايرانية عجزها من اجل القيام باي عمل في الداخل ، فالتجأت الى هيئة الامم المتحدة متهمة الاتحاد السوفياتي بالتدخل الهجومي ضد ترابها . وقد انكر ممثل السوفيات في مجلس الامن هذه التهمة . ولكنه اكد بان الجيش الاحمر اوقف الجيش الايراني من متابعة سيره الى اذربيجان حتى « يتفادى سفح الدماء » ثم عادت القضية الايرانية تظهر بشكل قوي في 2 مارس 1946 وذلك بفشل الاتحاد السوفياتي في ابقاء فرقة بايران بالرغم من معاهده 1942 التي نصت على الانسحاب بعد مرور ستة اشهر بانتهاء الحرب ، وكانت هذه هي الشكوى الثانية الايرانية .

ومع ذلك لم تسو المشكلة بهذا المجلس ، وفي فبراير ومارس 1946 حاول رئيس الوزراء السيد قوام السلطنة ان يقوم بمسعى من اجل التفاوض ، والوصول الى حل مع السوفيات ، ومع ذلك قامت اضطرابات اخرى بايعاز من الشيوعيين في طهران ، وتدخلوا لدى المجلس حتى يمنعوا انعقاده . فكان عاجزا على تمديد جلساته ، واخيرا كان على رئيس الوزراء ان يذعن للضغط الروسي . فمنح روسيا ثلاث امتيازات : اولها في 4 ابريل ، وهو يقضي بعقد اتفاقية مع الشركة الايرانية الروسية لغرض استغلال البترول في الشمال . ويمتد العمل بمشروعية هذه الاتفاقية لمدة خمس وعشرين سنة مع قابليتها للتجديد ، واعترفت الاتفاقية للروس بمصالحهم في منطقة اذربيجان . ثانيها ان قوام السلطنة اعطى تعليماته الى ممثل ايران في هيئة الامم المتحدة السيد حسين علاء بان يسحب الشكوى الايرانية من جدول الاعمال . ثالثها انه في 2 اغسطس سمح رئيس الوزراء بثلاثة من المناصب الوزارية الى الشيوعيين . وكان هذا هو الثمن الذي قدمته ايران لضمان سحب الفرق الروسية من اراضيها .

تم انسحاب الجيش الاحمر من ايران في 9 مايو 1946 وكان الروس يرغبون في ان يصادق المجلس على اتفاقية البترول ، ولم يكن اعضاؤه قد تم انتخابهم نظرا لان القوات الروسية مقيمة بالبلاد ، ثم ان الروس من جهة اخرى ، بدأوا يتخوفون من التقارب بين « التحريريين » والمعسكر الغربي . ومن هنا تحولت سياستهم من اسلوبها المباشر الى الاسلوب الغير المباشر ، وذلك للابقاء على نفوذهم بآسيا . ومن جهة اخرى يلاحظ انه في سنة 1946 بدأ تجمع القبائل التي كانت تعمل بايعاز من الانجليز ، فطالبت باقصاء وزراء حزب تودة من الحكومة ، ولكن الحزب الشيوعي اجاب على ذلك باحداث القلاقل في مناطق البترول بعبادان ، فاستدعت بريطانيا قواتها المرابطة بميناء البصرة حتى تحمي مصالحها . ثم بدا التهديد بانشاء امارات متعددة بالجنوب الايراني ، وذلك بطلب من بعض رؤساء القبائل الذين طالبوا بضم خوزستان

الى العراق . وازاء هذه الضغوط ، اعاد رئيس الوزراء توجيه سياسته وجهة اخرى باقالة الوزراء الشيوعيين من حكومته . وبعد شهور قليلة ، اخذ يفاوض المنفصلين في اذربيجان ، واستعان بقوات الجيش بحيث لم تجد مقاومة تذكر بهذه المنطقة ، وبعد سنة واحدة من الانفصال ، تقوض هذا النظام واحتل الجيش الايراني مدينة تبريز في 15 ديسمبر 1946 .

وفي 22 اكتوبر 1947 رفض المجلس الجديد باتفاق الاصوات ان يصادق على الاتفاقية السوفياتية المتعلقة بالبترول، فاحتجت روسيا على قرار المجلس . وفي سلسلة من المذكرات كانت روسيا تتهم ايران بانواع السلوك الغير اللائق ، ثم اخذت الاذاعة السوفياتية توالي حملاتها ضد ايران بانها ممالئة للغرب الاستعماري ، وانها جعلت من اراضيها قاعدة للهجوم على الاتحاد السوفياتي .

كان رفض الامتياز من طرف المجلس خاتمة الفصل في تاريخ ايران ، واصبح عليها ان تبحث عن طريق يقيها من النجاة من الهزات ، فالنظام الديكتاتوري لا يمكن ان يحل غالبية المشاكل وكذلك الديمقراطية الجديدة كان يصعب ان تجد مكانتها او سموها على نظام نموذجي عرفته ايران من قبل . وفي الحقيقة فان النظام الجديد الذي يشبه النظام الاولبجار كي وهو يمثل عائلة غنية كان اكثر مفهوما من نظام ديمقراطي تعارف عليه الغرب . فالمجلس كان تمثيليا مع بعض المستثنيات ففيه طبقة اصحاب الاراضي من الاغنياء وطبقة التجار . وهذا يعكس في الاساس اتجاها محافظا ووضعا قائما . فما هي حاجة البلاد لتقفز عن طريق الاصلاح ؟ ذلك انه كان يصعب على المجلس ان يقوم بتغييرات جذرية . وامام هذه الظروف كان هناك تياران متطرفان سواء في الاتجاه اليساري او اليميني ، فالحزب الشيوعي تودة اخذ يظهر كاقوى ما يكون خصوصا بعد الصدمة التي لحقت مناصريه في اذربيجان عقب الهزيمة ، وهناك تيار ديني متطرف ترك آثاره لدى جماعات الاميين متمثل في شخص زعيمه وقائده الملا القاشاني الذي كان يستلهم افكاره من الشيخ المصري حسن البنا ، وساند هذا التيار الكتلة الوطنية التي تضم اعضاء من المجلس بزعامة الدكتور محمد مصدق .

امام هذه الصورة التي استعرضناها كانت هناك شخصية الشاه الشاب محمد رضا بهلوي الذي كان يقدر الاخطار التي تحيط بالبلاد ، وكانت له رغبة الاصلاح بمساعدة المجلس ، وتابع هذه السياسة لتحقيق احلامه في الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي لايران في احسن الظروف . واخيرا فضل الطريق الوسط بان اختار الملكية الدستورية وفي نفس الوقت اخذ يقوي مركزه . ففي سنة 1948 تأسس المجلس الدستوري ، وعمل على انشاء مجلس للشيوخ ، وان كان قد صودق على ذلك من قبل في سنة 1906 ، لكنه لم يخرج للوجود حيث كان المجلس الاخير مكونا من ستين عضوا مع تخويل الشاه حق تعيين ثلاثين عضوا فيه .

كان النظام الاقتصادي يحتاج الى اصلاح جذري . ذلك ان انسحاب القوات الاجنبية ، نتج عنه نقص في العمل ، ولوحظ ضعف في التجارة ، ففي 1949 عرفت بنوك ايران عجزا كبيرا . وفي شتاء 1948 ـ 1949 سجلت خسائر فادحة في المحصول الزراعي وخاصة في المناطق الغنية مثل اذربيجان ومازندان ، ونتج عن ذلك نقص في التصدير الى الخارج وبالتالي نقص في المواشي ثم مجاعة مهولة . وهكذا انخفض دخل الحكومة من الضرائب . وفي سنة 1951 تحملت الخزينة عجزا فاحشا لدرجة ان الموظفين حرموا من مرتباتهم .

ومثل هذه الظروف من شأنها ان تخلق القلق في النفوس ، فاستغلتها العناصر المتطرفة وفي سنة 1948 قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة النطاق في صفوف حزب توده بشمال البلاد نتج عنها حملة اغتيالات وقع اثناءها في 4 نوفمبر 1949 اغتيال رئيس الوزراء حيدر من طرف عضو باحدى الفرق الدينية ، وكانت الحكومة مجبرة اكثر من اي وقت مضى على ان تعلن عن تطبيق القانون العسكري في مناطق عديدة من البلاد . وفي سبتمبر 1950 قامت ثورة الاكراد ، وهذا ما زاد من انعدام الامن . كل هذه العوامل حدت بالاتحاد السوفياتي ان يبذل نشاطه خصوصا بعد رفض اتفاقية البترول ، فتوترت العلاقات الايرانية السوفياتية لدرجة خطيرة مما جعل حكومة الاتحاد السوفياتي تتهم الحكومة الايرانية بانها تسببت في معاداته . تلا ذلك سلسلة من المذكرات الشديدة اللهجة الى ايران ، وذلك بالسماح للنشاط العسكري الامريكي ، ومحاولة الحاق ايران بالمعسكر الغربي . وبالفعل فقد اخذ التقارب بين ايران والولايات المتحدة يتزايد نتيجة للضغط الروسي ، ثم لوحظ من جهة اخرى ان الاذاعة السرية الروسية التي تذيع باسم « اذربيجان الحرة » تبث دعايتها ضد ايران ، وتعد بالحرية والعدل الى كل الاذربيجانيين والاكراد اذا ما قاموا بالثورة ضد الحكومة ، واخذت الصحف السوفياتية تنشر المقالات تلو الاخرى مهددة باستعمال البند السادس من المعاهدة الروسية الايرانية لسنة 1921 الذي يسمح لقواتها بالتدخل في ايران ، ثم الغاء معاهدة الصيد ومقاطعة البضائع الايرانية .

وفي ربيع 1949 دخلت العلاقات الروسية الايرانية ازمة حادة عندما حاول احد اعضاء حزب تودة ان يجعل حدا لحياة الشاه وذلك باتفاق مع احد عناصر الفرقة الدينية ، فالحقته جروح طفيفة ، واثرها حل حزب تودة وقدم اربعة عشر من

قادة الحزب الى المحاكمة منهم الدكتور مرتضى يازدي وزير الصحة السابق ، وحسين جودة ، ونور الدين كيانوري زعيم اتحاد العمال ، وفي 27 فبراير اكتشفت مؤامرة لقلب نظام الحكم . وفي مارس وابريل اعلنت المصادر الايرانية عن ثلاث اصطدامات بالحدود الايرانية السوفياتية نتج عنها اختطاف عدد من الايرانيين . وفي ابريل غادر السفير السوفياتي سادشيكوف ايران الى موسكو ، وتم اثر ذلك اقفال القنصليات السوفياتية في تبريز ورزيا ، وماكو واردبيل . مقابل ذلك طلبت روسيا من ايران اقفال قنصلياتها بباكو ، ثم امرت باخراج 150 ايرانيا من ترابها . وقد قامت ايران للرد على ذلك بعمليتين : اولاهما ارجاع ما تبقى لدى روسيا من رصيد الذهب الذي سبق لايران ان اقرضته الى حكومتها في 1942 وطالبتها بارجاع 10 000 000 دولار من حصيلة الجمارك، و1 000 000 دولار مقابل نقل البضائع الروسية بالسكك الحديدية الايرانية ، ثم التجأ الى طرد الموالين لروسيا كبعض المهندسين التشكيين ، وهددت بالطرد اثنين من الرعايا الارمن كانا يعملان لحساب روسيا . وثانيهما انها اعادت النظر في معاهدة 1921 فرفضت العمل بمقتضى بنودها ، وذلك في مذكرة الى الاتحاد السوفياتي ، وقالت الدوائر الرسمية بان ميثاق هيئة الامم المتحدة لا يقر شرعيا البند السادس من المعاهدة ، واشاعت بانها سترفع القضية الى مجلس الامن ، ثم تقدم السفير الايراني بواشنطن حسين علاء الى كاتب الدولة في الشؤون الامريكية السيد دين اتشيسون بمذكرة يطلب من الولايات المتحدة ان تؤيد بلاده . وفي 23 مارس 1949 اعلن دين اتشيسون في بيان له بان ما جاء في بيانات السوفيات بجعل ايران قاعدة امريكية ما هو الا محض افتراء ، وان وجود القوات بايران ما هو الا للحفاظ على مصالح امريكا بالشرق الاوسط وخصوصا تركيا واليونان ، ثم ايران .

تطور الصداقة الامريكية الايرانية :

ظهرت هذه التصريحات عقب تطور الصداقة بين البلدين، ونتيجة للضغط الذي تعرض له الايرانيون من طرف روسيا . فقد اعلن الرئيس ترومان في 12 مارس 1947 على مقاومته للشيوعية بمساعدة كل من اليونان وتركيا . وفي 6 اكتوبر 1947 امتد العمل بالاتفاقية المعقودة بين البلدين فيما يتعلق بالمساعدة الامريكية للجيش الايراني ، ثم تلا ذلك في 29 يوليو 1948 تقديم قرض امريكي الى ايران بما قيمته 10 000 000 دولار برسم المساعدة العسكرية الامريكية ومقدار 16 000 000 دولار . هذا الى جانب المساعدات الفنية والاقتصادية والثقافية . وتلا ذلك زيارة الشاه للولايات المتحدة في 16 نوفمبر 1949 وفي اثنائها تأسس في جامعة كولومبيا مركز للدراسات الايرانية ثم اعقبتها تصريحات ترومان التي تؤكد بان الولايات المتحدة لا زالت وفية ومناصرة للمبادئ التي وافق عليها مؤتمر طهران في شأن الحفاظ على استقلال ايران . وعندما رجع الشاه من هذه الرحلة الى بلاده يمكن ان نعتبر سنة 1950 بداية التطهير الاداري من الفساد في ايران ، وذلك لكي يبرهن للغرب بان ايران جديرة بالمساعدة ، واهتمت الحكومة بمنطقة اذربيجان فمنحت خمسة من الحكام ، وستة من رؤساء الشرطة . وهدف الشاه من ذلك الى تقوية سلطته الدستورية ثم عاد من جديد ليؤلف حكومة جديدة برئاسة الجنرال علي رازمارا في يونيو 1950 ، وذلك حتى يتسنى له ان يطبق اصلاحات الشاه ، وهذا في الوقت الذي اخذ الضغط الروسي يظهر من جديد حيث ابدى الاتحاد السوفياتي تذمره من نشاط خبراء شركات البترول الامريكيين الذين يقومون باخذ صور من الجو للاراضي السوفياتية الواقعة على الحدود . كان رازمارا يمتاز بشخصية قوية ، وله ميول نحو الغرب ، ومطلوب منه ان يحقق مشروع السبع سنوات في الاصلاحات . صادف وجوده على الحكم نشاط السفير الامريكي هنري جرادي الذي كلف بدوره ان يساعد على اصلاح الاقتصاد الايراني ، فقد جلب معه ثلاثة من المساعدين الحكوميين لهذا الغرض، حيث كان وجودهم مظهرا آخر لتقوية المصالح الامريكية واخيرا تقدم رازمارا باصلاح المجالس الاقليمية ، وذلك لتحقيق النظام اللامركزي . ثم اجريت عملية تطهير اخرى بالادارة شملت اربعمائة موظف رسمي ، تلتها لائحة من طرف المجلس تقدر بخمسمائة موظف، ولقيت هذه العملية صدى لدى الجماهير ، ولكنها وجدت مقاومة من طرف الدوائر السياسية ، وهددت بانها ستخلق مشكلة للحكومة ، ولكن الشاه ورازمارا تابعا هذه العملية . الا انه في اكتوبر من نفس السنة رفضت احدى بنوك امريكا تزويد ايران بما قدره 25 000 000 دولار ، فكان هذا بمثابة صدمة عنيفة لدى الايرانيين ، والذي استطاعت الحكومة الامريكية ان تقدمه هو مقدار نصف مليون دولار عن طريق مشروع النقطة الرابعة . وظهر هذا الاستياء لدى اعضاء المجلس خصوصا عند ما سأل الاعضاء الحكومة لماذا استخدمت امريكا ايران طريقا لمساعدة حلفائها اثناء الحرب؟ فاخذالشعور بالعداء يظهر نحو امريكا بل اشتد مع الايام . وفي وسط نوفمبر اضطر رازمارا الى قطع كل التسهيلات التي تقدم الى اذاعة امريكا « صوت امريكا » وكذا اذاعة لندن اللتين توجهان الى الاتحاد السوفياتي ، هذا في الوقت الذي قدمت فيه المساعدة الى وكالة طاس الروسية بطهران ، فاخذت تنشر اعلاناتها بالصحف الايرانية ، واصبحت وضعية السفير الامريكي الجديد دقيقة للغاية ، خصوصا وقد اصبح يطلق عليه « الكلب الحارس» وفي نوفمبر ذهب الى واشنطن بقصد الاستشارة ، وتحمل تصميم

السبع سنوات عقبات كأداء خصوصا بعد ان اخذ الخبراء الامريكيون يستعدون لمغادرة البلاد ، فلم تقف روسيا امام ممنوح هذه الفرصة، بل تقدمت الى ايران في 4 نوفمبر بعقد اتفاقية تجارية قدرها 000 000 20 دولار ، وبطلب آخر الغرض منه التفاوض في قضية تسوية الحدود . وفي وسط ديسمبر اطلق سراح بعض الزعماء الشيوعيين في حزب تودة ، وقيل انهم اختطفوا بواسطة عملية لهذا الغرض .

ازمة البترول :

كان لفشل الحصول على المساعدة المالية من الولايات المتحدة ان حث اعضاء المجلس على الضغط في اعادة النظر للامتيازات المقدمة للشركة الانجليزية الايرانية وذلك بزيادة مداخيلها الى الحكومة الايرانية، وقامت مفاوضات اتسمت بالبطء ثم ان وجهة نظر الحكومة الايرانية تقول بان ايران كانت ضحية للضرائب الفادحة التي تقدمها الشركة المعنية الى الحكومة البريطانية عن مداخيلها من البترول ، واخيرا تقدمت الشركة الى الحكومة الايرانية ببعض الامتيازات بل ذهبت الى ان العربية السعودية وبعض الدول الامريكية تتقاسم مداخيلها مع الشركات الامريكية ، وفي شتاء 1950 ــ 1951 نادى رئيس الجبهة الوطنية في المجلس وهو الدكتور مصدق بتأميم البترول ، فعارضه رازمارا قائلا بان هذا محفوف بالخطر . ولم تلق آراء رازمارا تأييدا شعبيا . الا انه في الوقت نفسه يلاحظ بانه كان متشبثا بالحكم . واصبح منذ ذلك الحين مثار نقمة الطائفة الدينية « فدائيان اسلام » حيث كانت تطالب بتخليص الشعب من النفوذ الاجنبي ، وطالبت باستعجال التأميم ، وفي 7 مارس 1951 تقدم احد اعضاء هذه الفرقة فاغتال رازمارا بمسجد طهران ، فنتج عن ذلك وضع خطير بالبلاد . ففي 15 مارس تقدم اعضاء المجلس مطالبين بتطبيق قانون التأميم ، فصادق عليه المجلس ، وكذا بمجلس الشيوخ في 20 مارس . ويعتبر هذا اليوم ذكرى التاميم الرسمي . وازاء احتجاجات بريطانيا قامت عدة قلاقل واضطرابات ، فالى جانب اضطرابات العمال تم اغتيال اثنين من الرعايا الانجليز ، ثم قامت قلاقل بايعاز من حزب تودة في حقول النفط بخوزستان . ونظرا للسرعة التي تم بها سير الاحداث ، تقدم وزير الخارجية العمالي هيربرت موريسون امام مجلس العموم قائلا بان حكومته ستتخذ كل التدابير لحماية مصالحها ، ثم طالبت الصحف البريطانية بتحرك الاسطول البريطاني الى الخليج العربي .

اما في ايران فقد تأسست حكومة جديدة عقب اغتيال رازمارا حيث استدعى الشاه حسين علاء سفير ايران بواشنطن ، والذي عرف بميوله نحو الغرب ، فاسند اليه رئاسة الحكومة واراد ان يكون معتدلا فصرح بان ايران لا تنوي من قرار التاميم ان تستفيد وحدها من البترول وقال بان الشركة يمكن ان تصبح ايرانية باستخدام الفنيين الاجانب ، ولكن هذا الحل لم يرض الوطنيين . وفي 27 ابريل قدم استقالته ثم طلب الشاه من الدكتور مصدق ان يؤلف الحكومة الجديدة . وفي 30 ابريل جدد المجلس تصويته على قرار التاميم ، ولم يكن الشاه يملك حق النقض ، فاضطر الى التوقيع على هذا القرار في 2 مايو . كان رئيس الوزراء الجديد معروفا بمعارضته للمساعدة العسكرية الامريكية التي تقدم الى ايران ، وكانت وضعيته صعبة للغاية ، نظرا للنشاط الذي ابداه الحزب الشيوعي تودة خصوصا في منطقة خوزستان فتوقف انتاج الشركة، ثم اعلن القانون العرفي بالمنطقة المذكورة ، كما ارسلت بعض فرق الجيش الى هذه المنطقة . وفي يوم تولية الرئيس مصدق ، قام حزب تودة بتجمع امام البرلمان بحيث ضم ثلاثين الف من المناهضين للغرب . الواقع ان الايرانيين كانوا عاجزين عن تسيير انتاج الشركة خلال هذه الفترة. كما لوحظ نقص هائل في الانتاج ان لم يكن التوقف التام ، فلقد اظهر الدكتور مصدق بدافع من العداء الشديد الجماهيري ضد الامبريالية رفضه في مفاوضة الحكومة الانجليزية وكذا طلب الشركة في الالتجاء الى التحكيم . وكان موقف الولايات المتحدة دقيقا للغاية خصوصا بعد ان اظهر النشاط الشيوعي عداءه لها واتهمتها الصحف الروسية بتدبير اغتيال رازمارا ، وفي ذلك الحين ، اعلنت الحكومة الامريكية بانها محايدة في النزاع بين ايران وبريطانيا . وفي ابريل عقد كل من نائب كاتب الدولة في الشؤون الخارجية الامريكية المستر جورج ماك جي والسفير البريطاني في واشنطن السيد اوليفرفرانكس عدة اجتماعات لدراسة الازمة البترولية. وقالت الدوائر الرسمية الامريكية بانه لا يمكن نقض قرار التأميم الا انها تؤمل ان يتوصل الطرفان الى حل ودي بين الطرفين مرت الازمة الايرانية بالمراحل الهامة وهي تنحصر فيما يلي :

1) قبلت الحكومة الايرانية ان تستقبل مجموعة من مديري شركة البترول ، وذلك بعد محاولات بذلتها السفارة البريطانية ، ثم طلبت الحكومة الايرانية من الشركة ان تسلمها مداخيل البترول بكاملها ابتداء من 20 مارس ، وذلك بعد خصم 25 في المائة من النفقات التي يمكن ان تدفعه الشركة فيما تحتاجه مطالبها ، فلم تقبل الشركة هذا الحل ففشلت المحادثات .

2) في 26 مايو عرضت الحكومة البريطانية القضية على محكمة العدل الدولية بلاهاي حتى تجد مخرجا نهائيا لها .

3) بعث الرئيس ترومان رسالة شخصية يدعو فيها الدكتور مصدق الى استئناف مفاوضاته مع البريطانيين ، فارسل مبعوثه الخاص افريل هاريمان الى طهران ليحضر استئناف المفاوضات .

4) بعد زيارته لطهران قام برحلة الى لندن ، نجح هاريمان في اقناع كلا الطرفين ، باستئناف المفاوضات ، وكانت هذه المرة مفاوضة الحكومة البريطانية مع الحكومة الايرانية وليست الشركة . فوصلت بعثة بريطانية حكومية لهذا الغرض ، وكانت تحت رئاسة ريتشارد.د. ستوكير .

5) قبل البريطانيون مبدأ التأميم اثناء المحادثات كما دعوا الحكومة الايرانية الى ان تتحمل نصيبها من المشاركة في النواحي الفنية لضمان الانتاج . واصر الايرانيون على قبول البريطانيين بحرية كافراد وليسوا كهيئة منظمة ، فوافق البريطانيون على هذا العرض بشرط ان تكون الادارة البريطانية المعنية ذات خبرة ممتازة وتنفيذية ، فرفض الايرانيون هذا الاقتراح ونتيجة لذلك ، توقفت المفاوضات وسحب البريطانيون عرضهم .

6) في 27 سبتمبر اغلق الجنود الايرانيون مصافي البترول في عبدان ، والغوا رخص الاقامة للفنيين البريطانيين . وفي 3 اكتوبر سحبت الحكومة البريطانية ثلاثمائة شخص تابعين للشركة .

7) وفي 29 سبتمبر عرضت القضية على مجلس الامن متهمة ايران بخرق الالتزامات الدولية ، وبعد نشاط دبلوماسي وتبادل الاراء دعا مجلس الامن الطرفين الى استئناف المفاوضات ، واثناء ذلك قدم الدكتور مصدق الى نيويورك ليدافع في مجلس الامن عن القضية الايرانية ، ومما قاله بانه ليس من اختصاص مجلس الامن النظر في هذه القضية ، في حين كان الممثل الامريكي يقول باختصاص مجلس الامن. وللوصول الى قرار رفع المجلس المذكور المشكلة الى المحكمة الدولية يطلب استشارتها في اختصاصاته او عدمها .

8) قام الدكتور مصدق بزيارة للرئيس ترومان ، وطلب منه هذا الاخير ان يعاود استئناف المفاوضات مع بريطانيا وفي 19 نوفمبر غادر مصدق الولايات المتحدة الى ايران ، وقد عرج على القاهرة ، فكان له استقبال الابطال ، حيث سبقته شهرته الى مصر ، ثم ظهر ان البنك الدولي يريد ان يقوم بمحاولة لحل هذا الخلاف ، ولوحظ اثناء الازمة ان روسيا ارادت ان تلعب لعبتها ، فاخذت صحفها تؤيد موقف ايران ضد الامبرياليين ، كما ان موقفها بمجلس الامن كان لصالح ايران . وفي 8 مايو 1951 اصبحت اسهم حزب تودة قوية حتى انه تقدم الى رئيس الوزراء بالمطالب الآتية :

ا ــ طرد البعثة العسكرية الامريكية

ب ــ اثبات قانونية حزب تودة

ج ــ الاعتراف بالصين الشعبية

د ــ رفض المساعدة العسكرية الاجنبية

هـ ــ اطلاق سراح المعتقلين

و ــ انهاء حالة الطوارىء في حقول النفط بالجنوب

ز ــ تاميم حقول النفط بالبحرين حيث تنتج الشركة الامريكية وحدها هناك 000 000 10 برميل سنويا

وبعد شهور خلت ، قامت مظاهرات واصطدامات سيرها حزب تودة واصطدم مع رجال الشرطة . وفي نهاية 1951 كانت ايران تعيش في هيجان عظيم بتهديد روسيا علنا لبريطانيا ، ففي الشهور التي تلت انسحاب الفنيين الاجانب بذلت شتى المحاولات للتقارب بين ايران وبريطانيا ، فقد تقدم البنك الدولي باقتراحات لتقريب اوجه النظر ، ولكنه لم ينتج عنها اي اتفاق ، وحاولت كل من الحكومتين الامريكية والبريطانية في بداية 1952 ونهاية 1953 التأثير على مصدق بالتوصل الى اتفاق ، ولكنه رفض ذلك ، وقال بانه لا يقبل المفاوضة الا على اساس العمل بمقتضى مبدأ التأميم . وفي 22 يونيو 1953 اعلنت المحكمة الدولية عن عدم اختصاص مجلس الامن في هذا الخلاف .

كان لا يمكن للشركة الايرانية ان تبقى معطلة عن الانتاج ، وحتى لو حاولت الحكومة الايرانية تصديره للخارج فانه كان يصعب عليها ذلك ، نظرا لان الشركة الانجليزية الايرانية اعلنت عن عدم مشروعية شراء هذا الزيت لاي كان من المشترين ، واعلنت الشركات تضامنها مع الشركة الانجليزية الايرانية . ثم شرع في وضع رقابة على السفن الحاملة للبترول واراد مصدق ان يحطم هذا الحصار ببيع البترول الى اليابان وايطاليا ، هذا بعد ان مرت سنتان على التاميم . وقد الحق هذا اضرارا بليغة بالاقتصاد الايراني . الا ان حاملات البترول الايطالية واليابانية سرعان ما حوصرت في عدن ، وقد اثبت الايطاليون واليابانيون بانه لا حق للسلطات البريطانية في محاصرة حاملات البترول كما اصدرت المحاكم اليابانية والايطالية احكاما تثبت شرعية هذه الصفقات . وكان معنى هذا الحصار الحاق اكبر ضرر بالاقتصاد الايراني . واخيرا اصبحت السعودية والكويت والعراق تحل محل انتاج ايران في تصدير البترول الى الاسواق العالمية .

لقد اثر الخلاف البترولي على مجموع العلاقات الايرانية البريطانية ، فالغيت كل التسهيلات التي تقدمها بريطانيا الى ايران وخصوصا في تحويل الاسترلينج باسواق لندن واستبداله بتصدير بعض البضائع الى ايران ، وبالمقابل اغلقت الحكومة الايرانية كافة المعاهد الثقافية البريطانية وطردت بعض بعثاتها وخفض من امتيازات بنك بريطانيا بايران وبعد ان باءت المحاولات بالفشل لحل هذه المشكلة ، قطع الدكتور مصدق في اكتوبر 1952 العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا .

كان لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين اثر على الولايات المتحدة ، ذلك لان الايرانيين اصبحوا يعتقدون بان الولايات المتحدة يمكنها ان تمد ايران بالمساعدات الاقتصادية والفنية خصوصا بعد الضائقة الاقتصادية التي بدأوا يعانون آثارها نظرا لعدم تصريف منتجات البترول الى الخارج ، فكانوا يتوقعون من واشنطن ان تبادر الى شراء البترول الايراني او ان تساهم بمساعدة مالية . ومع ذلك فالمسؤولون الامريكيون لم يكونوا مستعدين لاعتبارات تربطهم بحليفتهم بريطانيا ، ولانهم كانوا متخوفين من موجة التأميم ان تمتد الى امتيازاتهم واستثماراتهم البترولية في اجزاء اخرى من العالم ، فبقيت الحكومة الامريكية تساعد ايران في حدود ضيقة في برنامج المساعدة الفنيه . ومثل هذه السياسة كانت لا تخلو من اخطار ، فهي وان كانت لها روابط مع ايران الا انها لم تكن مشجعة للدكتور مصدق في موقفه المتشدد . ومن شأن هذا ان يؤثر على علاقات البلدين . فالحملات توجه الى الولايات المتحدة لدرجة ان اصحاب هذه الحملات بدأوا يطالبون بمغادرة الامريكيين للبلاد . لقد وجد الدكتور مصدق كامل التاييد في الداخل خصوصا من الفرقة الدينية التي يتزعمها آية الله ابو القاسم الكاشاني ثم الاشتراكيين والشيوعيين والطلاب والتجار ، وعندما تبين لمصدق بان انتخابات المجلس لن تكونفي صالح تقوية مركزالحكومة ، الغى هذه الانتخابات، ثم استدعى المجلس بعد ان خفض من عدد اعضائه ، فكان عدد الاعضاء الحاضرين ثمانين عضوا بدلامن الاغلبيةالمطلقة للمجلس وهي 136 عضوا . ثم اشرف على وزارة الدفاع ، وكانت من قبل تحت اشراف التاج ، وقد قلق الشاه بالفعل لهذا الاجراء، فما كان منه الا ان اعفى الدكتور مصدق من منصبه في 16 يونيو 1952 واستدعى قوام السلطنة لتأليف الحكومة ، واعلن هذا الاخير بانه سيحل المشكلة البترولية وذلك لاعادة التوازن الاقتصادي ، وان يجعل حدا للديماغوجية والتعصب الديني الذي اضر كثيرا بمصالح البلاد . لقد قوبل تصريحه بهيجان عظيم من انصار مصدق وانصار الكاشاني حيث كونا بينهما جبهة لتحدي الوزير الجديد . وبالفعل لم ينجح قوام السلطنة في مهمته حيث لم يحظ بالاغلبية في المجلس فعاد مصدق ثانية الى الحكم في 22 يونيو في الوقت الذي اعلنت محكمة العدل الدولية في لاهاي عن عدم اختصاصها في النزاع القائم بين ايران وبريطانيا . كان لهذا القرار اثر كبير في تشجيع الدكتور مصدق فاراد ان يحصل على موافقة المجلس في الاستمرار في الحكم لمدة 6 اشهر ، كما طلب منه الشاه ان يشرف على شؤون الجيش ، والواقع ان مجلس الشيوخ لم يكن متحمسا لسياسة مصدق، وبالرغم من ذلك قام مصدق بعملية تطهير في صفوف الجيش وفي بعض الاجهزة الادارية ، وذلك لضمان الولاء له في سياسته . وفي 13 اغسطس سنة 1952 اصدر مرسوما يطلب فيه من اصحاب الاراضي ان يدفعوا للخزينة 20 في المائة من مداخيل اراضيهم، وكان مصدق يهدف من ذلك الى ادخال اصلاح جذري على النظام الزراعي سيما وا نمجموعة من الفلاحين الكبار كانوا يملكون قرى باكملها، وبالفعل فقد وافق الشاه على تقديم اراضي كانت تملكها الاسرة المالكة الى الحكومة ، وذلك ليتم توزيعها على الفلاحين ، وكان هذا تنازل منه للسياسة التي كان ينهجها مصدق ، وفي بداية صيف 1953 بدأ الدكتور مصدق يشعر وكأنه معزول عن الاغلبية في البرلمان ، وخصوصا من اصدقائه السياسيين ، ذلك ان الجبهة الوطنية التي كانت تتكون من 8 من الممثلين بدأت تفقد هذا العدد المحدود وعوضت بعدد كبير من الاعضاء ولكنهم لم يكونوا منسجمين في المجلس . واخذت المناقشة تجري في المجلس يكسوها طابع الجفاء ازاء الحكومة ، وفي اواسط شهر يونيو تقدم 27 من اعضاء الجبهة باستقالتهم من المجلس محتجين ضد نقد المعارضة المتزايد ، وفي هذه الاثناء غادر الشاه العاصمة في اجازة طويلة بسواحل بحر قزوين ، وهكذا اصبح مصدق الحاكم الفعلي للبلاد . وكانت الخطوة التالية هي حل المجلس من طرف مصدق وذلك عن طريق استفتاء شعبي ، وفيما بين 3 اغسطس و10 منه كانت 99,93 في المائة تستحسن سياسة مصدق ، وكان هذا بمثابة انتصار ساحق لسياسته ، وفي 12 اغسطس اعلن حل البرلمان . وبعد ايام ، تقدم اليه ضابط برسالة من الشاه يطلب فيها اعفاءه من منصبه وتعيين الجنرال فضل الله زاهدي بدلا منه ، وقد تحدى مصدق هذا الامر ، وطالب باعتقال الضابط . وما كاد هذا الخبر ينتشر حتى قام الشاه والملكة بمغادرة البلاد بطائرته الخصوصية ، فقصدت بغداد ، ومنها الى روما ، وكان لسفر الشاه رد فعل قوي بطهران ، فقامت المظاهرات حيث اتفق الشيوعيون والوطنيون المتطرفون فاخذوا ينادون بسقوط الملكية ، وكسروا تمثال الشاه ، وتمثال ابيه ، واظهر الدكتور مصدق والدكتور حسين الفاطمي وزير الخارجية تأييدهما للمظاهرات ، وبعد مرور يومين قامت مظاهرات مضادة قامت بها وحدات من الجيش المعارضة للدكتور مصدق ، وتم تحضير هذه العملية السرية بزعامة الجنرال زاهدي حيث امر باعتقال مصدق . بقي ان نعرف كيف تم تنظيم نشاط هذه الحركه العسكرية ، يمكننا

ان نقول ان عملها ابتدأ في 18 اغسطس و19 منه حيث اخذت القوات العسكرية تزحف على طهران ، وخصوصا الدبابات ، واستمرت المعارك في شوارعها لمدة ساعات كثيرة وانتهت بانتصار القوات الملكية الموالية للشاه ، وفي 19 اغسطس تولى الجنرال زاهدي مقاليد الحكم في البلاد ، وفي اليوم الثاني القي القبض على مصدق وعلى مساعديه ، ثم بعد مرور ايام قلائل رجع الشاه منتصرا الى طهران ، واول عمل قام به زاهدي انه طلب من حكومة الولايات المتحدة المعونة المادية ، وكان رئيس الجمهورية آنذاك ايزنهاور حيث منح ايران 45 مليون دولار كمساعدة مستعجلة ومقدار 000 430 23 دولار تصرف في الشؤون الفنية .

وهكذا بدأ التفكير جديا في حل الازمة البترولية ، فقد وصل الى طهران هربرت هوفير ليمهد الطريق للمفاوضات مع بريطانيا ، وفعلا فقد عادت العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، وذلك حتى تتم المفاوضات على احسن وجه، كان النظام الجديد يفضل الوصول الى حل لهذه المشكلة، ولكنه لا يمكن ان يتعامى عن الرأي العام الذي كان لا يتحمل رؤية رجوع بريطانيا كما كانت من قبل ، وفي شتاء 1953 ــ 1954 بدأت المفاوضات تارة في لندن واخرى في واشنطن وضمت هذه المرة 8 شركات، وفي 5 اغسطس تقدم وفد الشركات بقيادة وساح ممثلا عن شركات الزيت في نيوجرسي وعقد الاتفاقية الآتية مع ايران وذلك باستخراج البترول الايراني وتكريره وتسويقه الى الخارج ، كما ان الارباح ستكون مناصفة 50 ــ 50 وتم هذا باتفاق مع شركات الشرق الاوسط ، وبعض المناطق الاخرى المنتجة له .

1) الشركة الانجليزية الايرانية للزيت 40 في المائة .
2) شركة شل الهولندية 14 في المائة
3) الشركة الفرنسية للبترول 6 في المائة
4) شركة الزيت بنيوجرسي 8 في المائة
5) شركة الزيت في كاليفورنيا 8 في المائة
6) شركة سوكوني فاكوم للزيت 8 في المائة
7) شركة تكساس للزيت 8 في المائة
8) شركة الخليج للزيت 8 في المائة .

وهكذا اصبحت ادارة الشركة ذات صبغة دولية وعادت العلاقات القديمة بين ايران وبريطانيا وامريكا ، كما ان الجنرال زاهدي لم ينس الجانب السوفياتي ، حيث ابدى هذا الاخير رغبته في حل المشاكل المعلقة بين البلدين ، وخصوصا منها المالية ، وقضية الحدود فعقد اتفاقية مع روسيا وبموجبها ارجع الاتحاد السوفياتي الى ايران احد عشر طنا من الذهب التي كانت في حوزة الاتحاد السوفياتي اثناء الحرب . وفي سنة 1955 استقال الجنرال زاهدي من منصبه بعد ان عبد الطريق لخلفه حسين علاء ، وعهد الشاه لهذا الاخير ان يقوم بمحاربة الفساد فادخل الاصلاحات الضرورية على الجهاز الحكومي ، كما شنت حملة ضد الحركات الدينية وخصوصا البهائية في طهران وعدة مدن اخرى وكان على ايران ان تساهم بدورها في قضايا دولية ، فكان امامها حلف بغداد ، والذي تأسس من طرف تركيا والعراق وباكستان وبريطانيا، وموقف كهذا لا يخلو من تخوف ايران ازاء روسيا ، وفعلا فقد انذرتها روسيا مرتين بان لا تدخل هذا الحلف ، وذلك بملازمة الحياد خصوصا وقد اقرت ذلك المعاهدة الموجودة بين البلدين والمعقودة سنة 1927 وتسمى « بمعاهدة الضمان والحياد» وينص الفصل الثالث منها على عدم المشاركة في المحالفات او المعاهدات السياسية والتي يمكن ان توجه الى امن احد الطرفين، ومع ذلك فقد عمد المسؤولون في ايران الى الدخول في حلف بغداد ظنا منهم بانه سيعمل على تقوية جيش ايران ، وبعد ترددها ، اعلنت عن دخولها الحلف بعد زيارة الرئيس التركي جلال بايار الى ايران في سبتمبر 1955 . وفي 11 اكتوبر اعلن السيد علاء عن ذلك رسميا وصودق على هذا القرار بالمجلس بعد اسبوع فقط . وهكذا استقام الاتجاه للحكومة الايرانية بعد ان حلت مشكلة البترول .

دلهي الجديدة : عبد الله السرايري



بلادنا

بين الذاتية والتقليد

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

يتجلى من التجارب التي عرفتها مختلف الامم التي بليت بالاحتلال الاجنبي ان مؤثرات الاستعمار لا تنتهي فى قطر من الاقطار بانتهاء عهد الاحتلال وانما تستمر فى شكل متستر ومظهر خفي تفعل مفعولها وتسري فى جسم الامة المستقلة سريان الداء غير المكشوف فى الجسد الذي يظهر القوة والمنعة وهو مصاب عليل .

ومن الواضح ان الغزو الروحي اشد اثرا من الغزو العادي واعظم مفعولا واكبر بلاء ووباء لانه يؤدي باللطف والليونة ما لم يستطع ان يؤديه الاول بالشدة والاكـراه .

ومما لا ريب فيه ان من مظاهر هذا الغزو المخلفات الوبيلة التي يتركها الاحتلال الرسمي فى نفوس ابناء الامم التي بليت بمحنته وسقطت فى مكيدته حيث يصبح هؤلاء الابناء ضحايا هذه المخلفات المتسترة والمؤثرات الخفية .

ولعل من بين المخلفات الخطيرة التي تركها لنا الاستعمار والمظاهر المؤسفة التي غرسها فينا غزوه الروحي آفة التقليد التي اصبحت تتجلى فى كل ما نقوم به وجميع ما نسعى الى تحقيقه .

فالتقليد يتجلى فى سلوكنا الخاص كما تتميز به فى معاملاتنا العامة والتقليد يستولي علينا فى معيشتنا ولباسنا كما يسيطر علينا فى تفكيرنا واستخدام عقلنا : ...

ولا اعتقد ان فينا من لم يفكر فى هذه الآفة مليا ويتدبرها جديا لانها تبرز للعيان ولا تختفي على من له عينان ! ويكفي ان ننظر الى نفوسنا ونلاحظ سلوكنا عن كثب وتبصر لنتيقن اننا كلنا ضحايا التقليد واننا كلنا مقلدون سواء شعرنا بذلك ام كنا به غير شاعرين .

لقد أرحى التقليد عزاليه علينا وجثم بكلكله الثقيل العبء على صدورنا فاصبحنا به عاملين وبمظاهره متأثرين .. وقد اثر التقليد علينا حتى اصبحنا لا نستطيع ان نفكر مستقلين ولا ان نبتكر شيئا خاصا بنا يدل على ذاتيتنا ويبرهن على شخصية امتنـا ..

ولو اننا اعتبرنا آثار هذا التقليد وتدبرنا عواقبه لما تركناه يسيطر علينا ويستولي على عقولنا ويجثم بمصائبه المضرة على مختلف طبقات شعبنا .

والتقليد كما ذكرنا من مخلفات الاستعمار الروحي الذي يهدف دائما الى القضاء على مقوماتنا الفكرية وقيمنا الروحية ومثلنا الوطنية ... وهو يرمي الى اضمحلال روح الابتكار عندنا وابعادنا عن كل محاولة نقصد بها اظهار كياننا والاشعار بكل ما يمكن ان يشخص وجودنا ويجسد ذاتيتنا ويبرز ذهنيتنا ...

وليس المهم عندنا فى هذا المقال ان نتكلم على الجهود التي بذلها المستعمر لطمس كياننا كعدم اهتمامه بتاريخنا الوطني واجبارنا على دراسة تاريخ دولة اجنبية لم يتبث قدم وجودها ببلادنا ازيد من اربعين سنة واهماله للغتنا العربية واحلال اللغة الاجنبية محلها ونبذه ظهريا لتعاليمنا الاسلامية واخلاقنا العربية فقد يمكن ان نتعرض لذلك بتطويل فى مقال آخر .ولكن المهم عندنا فى هذه الكلمة هو التعرض الى تاثير هذا الغزو الاستعماري على كثير من شبابنا المثقف الذي اصبح بعضه يومن ايمان العجائز بان المغرب لم يتوفر فى حياته على قيم شخصية ومثل ذاتية وعقلية وطنية وان كل ما يكون شخصيتنا هو ما اتى به الاسلام الينا وما حمله العرب ورجال الاندلس لما لجأوا الى ديارنا واختاروها مقرا لاقامتهم .

وقد ذهب الغلو ببعض المثقفين المقلدين للغرب والشرق من شبابنا الى المطالبة بمحو عقليتنا ونبذ الشخصية التي نتحلى بها الآن بدعوى أنها شخصية لا تسمح لنا بمسايرة العصر الحاضر ، بالاضافة الى انها في اعتقادهم شخصية أجنبية عنا وانما اخذناها عن العرب وبعض المهاجرين الاندلسيين الذين حلوا بلادنا ، والحجة التي يتشبث بها هذا الفريق من شبابنا المثقف هي ان الشخصية المغربية والوجود المغربي الذين نريد نحن التمسك بهما والعض عليهما بالنواجذ شخصية لا تنفرد بها الا بعض المدن الساحلية التي وجدها العرب والمهاجرون قريبة ليقيموا بها ، ولا تتميز بها الا بعض المدن الداخلية كفاس ومراكش ، وتطوان ... التي هفت لها قلوب العرب والمهاجرين ومالت اليها نفوسهم ! اما باقي اجزاء ترابنا الوطني فهي بعيدة كل البعد عن هذه الحضارة لا اثر فيها لهذه الشخصية ولا نلاحظ فيها مظهرا لهذا الوجود .

وقد تبدو هذه الحجة اول ما تبدو وجيهة خلابة قريبة من الواقع الحالي ولكنها ولله المنة والحمد لا تستطيع ان تثبت في وجه الحجج القارعة الدالة على وحدة الشخصية المغربية ووجود كيان مغربي « وذاتية وطنية » قل ان توجد في كثير من الاقطار العريقة في المجد والحضارة والعتيقة الوجود الكيان .

فالواقع المغربي يدل على اننا امة لها ذاتيتها الخاصة وكيانها الوطني ووجودها الذاتي ، والتاريخ المغربي يشهد انه كانت لنا مقومات قوية وقيم مثلى واخلاق وطنية وحضارة عريقة ولو لم يكن لنا هذا الوجود لما وقف الاستعمار عاجزا عن طمس هذه المعالم رغم محاولاته المتعددة وضرباته المتكررة .

والتاريخ المغربي سجل حي ناطق يمكن ان يرجع اليه كل من لم يومن بهذه الحقائق الواقعة ؛ فقدتوفر المغرب منذ فجر حياته وقبل دخول الاسلام اليه على وجود ذاتي يستمد مقوماته من مقومات سائر الدول المجاورة للبحر الابيض المتوسط وكان الاولون البرابر الامازيغ يمثلون وجودا ذاتيا صامدا يدل عليه ما تركوه من آثار وما خلفوه من تراث توارثها الآباء عن الاجداد وتشهد به الحفريات والمآثر التاريخية التي ما فتيء البحث قائما في سبيل العثور عليها والتي اخذت تظهر للعيان يوما بعد يوم .

ولو لم يكن للمغرب وجود ذاتي وكيان خاص لما استطاع ان يوجد قبل الاسلام ابطالا مثل هانيبال وجيوشه المغربية التي التفت حوله لما دعاها لانقاذ الوطن والمحافظة على وجوده القومي ...

وسيفاكس ونولا وما سينيسا ابن غولا ويوغورطا ويوبا وكسيلة والكاهنة داهية وقد اخترت هذه الاسماء الغريبة والشخصيات البعيدة لنتيقن من وجود قومي مغربي وشخصية مغربية متميزة قبل دخول الاسلام الى بلادنا ذلك الاسلام الذي لم يرتضه اجدادنا دينا لوطنهم وشريعة لابنائهم واحفادهم الا لما يمتاز به من التسامح وما يدعو اليه من قيم سامية ومثل عالية استطاعت ان تنسجم مع العقلية المغربية المتحررة وتتبلور مع الطابع المغربي المنفرد ولا شك ان من دواعي نفوذ هذا الدين وتمكن دعاته من الاستقرار في بلادنا وجود تقارب متين بين العرب الفاتحين وسكان المغرب الاصليين من البرابرة الامازيغ ذلك التقارب الذي يدل عليه وجود برابر على شاطيء النيل من قديم الزمان حتى دعيت احدى شواطيء النيل بوادي البرابر .

والحقيقة التي لا مراء فيها ان بلادنا احتفظت دائما بمشخصاتها القومية ولا ادل على ذلك من ان المهاجرين اليها والهاجمين عليها لم يستطيعوا ان يقضوا على وجودها وذاتيتها ، بل ادمجتهم بلادنا في شخصيتها وغمرتهم بذهنيتها واخلاقها وتقاليدها وقد حفظت بذلك تبلورها القومي وكيانها المسدود في وجه كل غاصب مهما كانت قوته عظيمة واستعداداته جسيمة ... كما ورد في كتاب « الحركات الاستقلالية في المغرب العربي »

وقد ازدادت هذه الشخصية وجودا وظهورا لما دخل الاسلام الى المغرب حيث انطبعت الشخصية المغربية بكل المقومات الاسلامية كما احتلت اللغة العربية مكانة اللغة الفينيقية نظرا لتقارب اللغتين ووجود ذات رحم بينهما كما اكد ذلك جوسيل في تاريخ افريقيا الشمالية ورواه عنه الجنيرال بريمود « المصدر نفسه »

وقد ذكر مارطروبي في كتابه « جنسريك ص 74» ان من بين العوامل الفعالة التي ساعدت الونداليين على وجود حلفاء في افريقيا ضد الاحتلال الروماني عاملا هاما وهو ان العناصر الاهلية من السكان لم يتم ادماجها لا من طرف القرطاجنيين ولا الرومانيين . وقد

ظل هذا الشعب كما هو اليوم بعيدا عن المحتلين مخالفا لهم ممتازا عنهم لا باصوله فحسب ولكن بلغته وعاداته.

وقد تعرض المؤرخ الشهير كورطوا فى كتابه « الونداليون » الى عدم تفتح سكان افريقيا الشمالية للمحتلين الاجانب الذين هجموا على شمال افريقيا قبل الونداليين وعدم تأثرهم بالدخلاء وبيآتهم ومحافظتهم على كيانهم الذاتي ووجودهم الخاص . وقد افرد كورطوا لبيان هذه الحقيقة التاريخية فصولا ممتعة اوضح فيها تمسك سكان افريقيا الشمالية بذاتيتهم مبينا ان اللغة الرومانية لم تستطع فرض وجودها على هؤلاء السكان رغم ظهور طبقة متقفة اهلية متاثرة بحضارة الرومان ؛ واكد كورطوا فى هذا الكتاب ان هذه الطبقة المثقفة لم تستطع ان تتمركز فى وسط الاهالي

وتفرض تفكيرها وعقليتها الاجنبية عليهم وان افكارها ومؤلفاتها غزت بلاد الروم دون أن تغزو جزءا واحدا من شمال افريقيا .

وقد ظلت الشخصية المغربية موجودة قائمة الذات وظل المغربي محافظا على وجوده رغم ارتضائه الاسلام دينا والعربية لغة وكما نبغ فى ميدان السياسة مغاربة يغارون على شخصية بلادهم وسيادتها ظهر علماء اجلة وادباء كبار كابن خلدون وابن بطوطة وابن جبير والفشتالي ، وابن زاكور وابن رشد وابن حزم والحاتمي وابن حبوس . تعرض اغلبهم الى تمسك المغربي بمقوماته فى الدفاع عن وجوده القومي وتشبثه بذاتيته الخاصة .

فكيف يعقل ان تاتي جماعة من المثقفين وتتنكر على بلادنا طابعها الخاص وميزاتها الشخصية وتدعو الى القضاء على عقليتنا وذهنيتنا بدعوى ان هذه العقلية أجنبية ليست عقلية سائر اجزاء ترابنا الوطني ؟ نعم ، ان هناك خلافات جوهرية بين المدن والبوادي كما ان هناك بونا شاسعا بين حالة سكان المدن وسكان القرى ولكن هذا يرجع الى تسرب بعض مظاهر التطور والتقدم الى المدن وبقاء البادية المغربية منعزلة عن التيارات التي غمرت المدن والموجات التي جرفت الحواضر ، وليس من المعقول ان تتنكر لشخصيتنا ونغير عقليتنا لا لشيء الا لانها لا تشمل سائر اجزاء البلاد مع التاكيد ان سكان البادية انفسهم وجميعهم متشبثون بشخصية المغرب وذاتية البلاد كما تتجلى ذلك من احاديث العناصر المثقفة فيهم

وكتاباتها وآثارها المنقولة وكما تشهد بذلك كتب اليوسي الذي عرف بتفضيل الاقامة فى البادية على الاقامة فى الحواضر والذي ترك لنا رسالة خاصة في تفضيل البوادي على الحواضر لاسباب ترجع لعاداته الشخصية وتقاليده الخاصة اكثر مما ترجع الى تنافر الشخصية البدوية والشخصية القروية فى المغرب تلك الرسالة التي بعثها الى المولى اسماعيل ليعلل بها ضرورة مغادرته العاصمة والتوجه الى القرية .

ولم يكن فى يوم من الايام . وجود الفوارق بين المدن والقرى دليلا على اختلاف الشخصية وتعدد الجنسية وتفرق الذهنية الوطنية . فالاختلافات بين المدن والقرى تحصل فى كل مكان ولا تسلم منها حتى بعض الدول الكبرى والشعوب المتقدمة كفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة وروسيا الشيوعية وما على الذين يجادلون فى هذه الحقيقة الا ان يقوموا بزيارة دراسية لفرنسا مثلا فسيرون الفرق البين والبون الشاسع والفوارق العميقة بين باريس واحدى القرى بمقاطعة بروطانيا مثلا فهل تنفي هذه الفوارق والاختلافات مهما تكاثرت وتعددت وجود الشخصية الفرنسية والوجود القومي والمقومات العامة للوطن الفرنسي ؟

والحقيقة الواقعة ان حب التقليد الذي اعمى ابصار بعض مثقفينا هو الذي دفعهم الى المطالبة بمحو عقلية المغاربة الحالية وغرس عقلية جديدة فيهم ونكران ذاتية بلادهم . واذا كان لابد من الايضاح في هذا الموضوع فهو ان التقليد تتفاوت درجاته عند المصابين به فبينما يقتصر بعض المقلدين على تطوير احوالهم وتكييف وسطهم ليصبح وسطا غربيا او شرقيا ، وبينما يكتفي آخرون بحياة مخالفة لحياة غالبية مواطنيهم وبينما يختصر تقليد آخرين على تبديل معيشتهم وتحويل لباسهم وتغير سلوكهم مع الناس نرى المقلدين الذين يتوفرون على جراة اكبر من اخوانهم الاولين يدعون الى تحوير عقلية مواطنيهم وتغيير شخصية وطنهم ناسين ان تغيير العقلية ومحو الشخصية امر لا يتم بين عشية وضحاها وانه لا ينجح لكون فلان مهما علا كعبه ولمع نجمه اراد له ان ينجح

ان تطور العقلية والشخصية الوطنية متوقف على تطور الزمان وسوف لا يتم تحويل العقلية البشرية بصفة مفاجئة ولكن بعد انقراض اجيال واضمحلال آجال .

وان الخير كل الخير لنا معشر المغاربة ان تطور عقليتنا وتكيفها حسب تطور الزمان حتى لا نتاخر عن ركب الحضارة العالمية ونظل في مؤخر القافلة . وسوف لا يتم ذلك الا بخطوات حثيثة وثبدة مستمرة لا اثر فيها للاكراه والضغط والاجبار والقهر لان الشعب الذي استطاع ان يحافظ على شخصيته طوال عهود عديدة والذي ادمج الدخلاء عليه ومستعمريه في شخصيته لا يمكن ان يفرط في هذه الشخصية ولا في مقوماته الذاتية . وقد يوشك المقلدون والداعون لمحو شخصية بلادنا وعقليتنا وذهنيتنا وتبديلها بعقلية اجنبية وذهنية مستوردة من الخارج بهذه الصفة المستعجلة ان يرموا بالمغرب في هاوية سحيقة لا يستطيع ان ينفذ منها الا بعد جهد جهيد لا نعلم له اجلا ولا نحصي له مددا ومن يدري لعل هذا الاستعجال في التطور المخالف لسنن الكون وناموس الطبيعة قد يجعل المغرب شبيها بذلك الطائر الغر الذي حاول ان يترك مشيته ويقلد مشية البطة التي راى فيها نوعا من التيه والخيلاء والعظمة والكبرياء فلما عجز عن تحقيق امنيته والوصول الى غايته حاول الرجوع الى مشيته الاصلية راضيا من الغنيمة بالاياب ولكنه وجد نفسه عاجزا كذلك عن معرفة مشيته الاولى فاضاع بذلك كل شيء .

فليتدبر المستعجلون من المقلدين وضعية المغرب وليفكروا جديا في شخصية بلادهم قبل ان يغيرهم التقليد الاعمى ويعميهم النفور عن بلادهم فيصبحون هم وبلادهم في الضلال يعمهون وفي البهتان يتسكعون .

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص



المفاجأة «قصة بوليسية»

للأستاذ: أحمد البقالي

جلس (علي السراج) الى فطوره ذلك الصباح في الشرفة الغربية المطلة على البحر، على عادته ايام الصيف ....

الساعة تشير الى الثامنة، والسماء صافية دافئة، ونسيم منعش يهب من البحر دون ان يموج صفحته الفضية المتألقة تحت اضواء الضحى .

كان يقرأ جريدته، ويشرب من فنجان القهوة امامه، وزوجته تتحدث اليه دون ان تسمع منه تعليقا :

— ازيدك القهوة ؟

وحرك راسه موافقا دون ان يرفعه عن الجريدة، فحملت الابريق الفضي وصبت له وهي ما تزال تتكلم:

— نسيت ان اقول لك — بالامس لقيت البحري . انت تعرفه . عبد المجيد البحري هل تتذكره ؟

— ما ذا ؟

— هل تنصت الي ؟

— نعم يا عزيزتي . أنا منصت . ماذا قلت ؟

— بالامس لقيت عبد الحميد البحري الرسام الذي كان زميلا لي في المدرسة الثانوية ...

— اهـ ..

— لقيته بالامس في البحر . لقد عاد منذ اسبوع من اسبانيا حيث كان يتم دراسته . وقد طلب ... تصور ما ذا ؟

— ما ذا ؟

— ان يرسم لوحتي . قال ان الزواج ناسبني كثيرا، وزادني نضوجا واكتمالا ...

— آها ..

— ما ذا تظن انت يا عزيزي ؟

— ما ذا ؟

— انت لا تنصت مرة اخرى .

ورفع «علي» راسه عن الجريدة :

— ما ذا قلت ؟

— قلت لك ان البحري قال لي ان الزواج زادني نضوجا واكتمالا .. ما رأيك ؟

ونظر علي اليها، وفحص وجهها الابيض المورد وعينيها العميقتي السواد، وعنقها الرشيق الطويل، وصدرها الصغير، ثم قال :

— صدق ... انت دائما فاتنة يا عزيزتي ...

وابتسمت فطومة في فرحة صبيانية ثم قالت بصوت ضاحك مغرد :

— ستجد اللوحة تامة حين تعود ... واريدك ان تدفع له مبلغا محترما عليها .. أتسمعني ؟

— ما ذا ؟

— قلت لك كم ستغيب هذه المرة ؟ — —

— كالمرات السابقة .. اسبوع على الاكثر ...

ووضع الجريدة ونهض . فقالت له :

— اشرب قهوتك اولا ...

— الوقت ضاق .. اين حقيبتي ؟

— في المدخل، وكذلك المظلة والمعطف .

— المظلة والمعطف في الصيف ؟

— كنت اشاهد تلفزيون البرتغال هذا الصباح .. وقد سمعت في النشرة الجوية ان هناك امطارا وغيوما ...

— شكرا يا عزيزتي، انك لا تهملين شيئا . وطبع قبلة خفيفة على شفتيها وخرج .

كانت الخادم قد وضعت الحقيبة والمعطف داخل السيارة في الكرسي الامامي الى جانب كرسي السائق ، فدخل هو السيارة وانطلق نازلا في طريق الجبل الملتوي ، وفطومة تلوح له بيدها حتى اختفى خلف غابة الارز الكثيفة .

وفي احدى الانعراجات الكثيرة التقى وجها لوجه بتاكسي صغير فضغط الفرامل ليتفاداه حتى سمع زعيقها وعجلاتها تمسح الارض ..

وخيل اليه انه راى احدا بداخل السيارة يلوح له بيديه ، كان وجها قديما لا يذكره . ولاح امامه قطيع ماشية فحول اهتمامه الى شق طريق بين القطيع .

* * *

وانطلق التاكسي الصغير يصعد الجبل حتى وقف امام باب الفيلا المظلل بعريش صناعي من القماش الازرق البحري ، ودفع اجرة التاكسي ونزل ، فنفض ملابسه ، ومسح حذاءه في بنطلونه ، ووقف ينظر باندهاش الى المبنى الجميل ، تطل واجهته الجميلة على المدينة والغابة ، وجناحه الايمن على المحيط وقبل ان يضغط الجرس ، انفتح الباب واشارت اليه الخادم العجوز أن يدخل :

— سيدي عبد الله ، او ما اسمك ؟
— عبد الحميد ...

— سيدي عبد الحميد .. لا يهمك مني شيء .. تفضل ادخل .. « للا » تنتظرك في الشرفة ..

ودخل عبد الحميد الى بهو الفيلا البارد بنسائم الحر كانها صادرة عن مكيف هواء ضخم فاحس بالراحة تسري الى اعصابه .

وبقي واقفا هناك ينتظر الخادم ويتساءل في سره كيف سيجد فطومة بعد هذه المدة .. من مقابلتهم القصيرة على الشاطيء استطاع ان يعرف فقط انها ما تزال الفتاة الطيبة المتواضعة التي لم يغرها الغنى الفاحش والجاه العريض ، وعرف كذلك انها اصبحت كاملة ناضجة بدل الفتاة النحيفة التي كانت تجلس الى جانبه في الصيف .

كانت علاقتهما معروفة بين جميع التلاميذ ، لا يذكر اسماهما الا مقترنين ، وكان الجميع يعتقد ان علاقتهما الحميمة لا بد ان تنتهي باقتران نهائي ، حتى حصل هو على منحة دراسية لاسبانيا بعد نجاحه في الشهادة الثانوية ، ورحل الى هناك فتباعدت العلاقات .

وفي هذه الفترة جاء « على السراج » خاطبا فصادف قبول عائلته ، ورضاء فطومة .. وتزوجها ..

وبينما عبد الحميد ينظر الى السقوف وزخرفتها ويتفرج على هذا الشريط الطويل يمر سريعا في ذاكرته اذ راى فطومة تقف على باب الشرفة ، وعلى وجهها ابتسامة مضيئة .

وتقدم للسلام عليها ، فقالت :

— انا انتظرك بالشرفة وانت واقف هناك .
— كنت انتظر السيدة التي فتحت لي الباب ان تعود بك او تاخذني اليك .

فضحكت في فرح :

— تعني « دادة خديجة » ؟ انها اكبر نساءة في العالم .. احيانا تنسى انها تغذت ، واحيانا تنسى اسمها .

وضحك عبد الحميد وهو ممسك بيد فطومة الصغيرة بين يديه كعصفورة يخشى ان تطير :

— ما تزالين كما تركتك منذ اربع سنوات .. فقط ازددت حلاوة ورزانة ...

— شكرا يا عبد الحميد .. وانت ايضا تبدو في صحة جيدة ..

ودخلا الشرفة يتحدثان عن حياتهما ويملان الفراغ الذي تركه الفراق الطويل .

* * *

وفي ذلك المساء نزل عبد الحميد الى المدينة في سيارة البيت حيث عاد الى الفيلا بادوات الرسم ليبدا في رسم اللوحة التي وعد بها فطومة .

وفي تلك الليلة حين طلب ان يعود الى المدينة بعد العشاء ، رجته الا يفعل ، وقالت له انها تشعر بوحدة قاتلة في هذه البقعة المعزولة كلما سافر زوجها، وغالبا ما تنزل الى بيت اهلها في المدينة ، ولكنهم

مسافرون هم ايضا الى « فاس » يحضرون عرس احد الاقارب .. قالت له انها ستشعر بالامان اذا كان في البيت رجل ، وعينت له غرفة الضيوف فهيأتها الخادمة له .

* * *

وبعد ثلاثة ايام عاد « علي السراج » فجاة من لشبونة ، نزل من الطائرة الضخمة يحمل حقيبته الجلدية السوداء ، وقد وضع المعطف على كتفه ، وعلق المظلة على ذراعه .

ونظر الى السماء التي كانت صافية زرقاء فاخرج نظارته من جيب سترته ، ووضعها على عينيه، وقد شعر بفرحة العودة الى طنجة وجوها الجميل بعد رداءة الطقس الذي صادفه في البرتغال .. والسرور الغامض الذي كان يحسه دائما حين يرى طنجة بعد سفر مهما كان قصيرا ، كان احساسا لا يموت ..

وفكر في فطومة زوجته ، انها لا تعرف انه وصل، نسي ان يبرق لها كعادته قبل ان يغادر اي مكان كان فيه حتى تتهيا لاستقباله ،وضرب بطرف انامله جبهته على عادته حين يريد الا ينسى شيئا حين خطرت له فكرة مكالمتها بالتلفون من المطار .

ودخل الجمرك وهو يتحسس الحي الصغير في جيبه ويفكر انها ستفرح للهدية التي اشترى لها .. انه دائما يحمل لها هدية على كثرة اسفاره ، وهي دائما تبدو عليها الدهشة والمفاجاة والفرحة فتقفز وتضحك مثل طفلة صغيرة وتعانقه وتقبله ، فيدخل سرورها على قلبه سعادة وبهجة ..

ولم يحتج الى فتح حقيبته لشرطي الجمرك .. سلم عليه هذا ، وحياه باسمه ، وشرط بالطباشير على الحقيبة واشار الى حمال لياخذها الى السيارة بالخارج ، كان علي السراج يترك سيارته في احد اركان المطار كلما سافر ، حتى اذا عاد وجدها هناك في انتظاره .

وذهب الى حيث التلفون فادار القرص وانتظر الجرس .. وبعد لحظة سمع صوت الخادم وهي تلهث ، فصاحت حين سمعت صوت سيدها ، فحياها، وطلب منها ان تنادي سيدتها للتلفون ، فوضعت هذه السماعة وذهبت ..

وانتظر بضع لحظات دون ان يرفع احد السماعة من الطرف الآخر ، وانصت لعله يسمع وقع كعوب زوجته على رخام المدخل فلم يسمع شيئا ... ومن بعيد سمع صوت رجل جاءه واضحا رغم بعده يقول بحنان كبير :

ـ ما ذا ننتظر ؟ هل سنبقى هكذا نعيش كاللصوص نسرق حياتنا ؟

وسمع صوت انثى تجيبه عرف فيه صوت فطومة زوجته :

ـ لا تقلق يا حبيبي .. لقد وضعت خطة الخلاص ولم يبق الا تنفيذها ..

ـ صحيح ؟ قولي لي ، كيف ؟

ـ سنتخلص منه بطريقة قديمة بحيث لن يشك احد بان وفاته كانت طبيعية ..

واحس علي السراج بموجة باردة تنصب عليه لم تلتها قشعريرة اهتز لها كيانه .. كاد يصعق للمفاجاة .. كانه وجد حية نائمة على صدره ..

زوجته فطومة مع ذلك الفنان التافه الذي جاءت به تحت غطاء رسم لوحتها .. لقد عاد من اسبانيا وبريق الحضارة في عينيه ، ورغبة الاثراء السريع تستولي عليه .. وهو يحاول ان يستولي على ثروته بالتآمر معها عليه ، لقد كان مغفلا كبيرا حين سمح لها بكل هذه الحرية التي تتمتع بها معه .. انه كان يثق فيها ثقة عمياء ولم يكن يعتقد انها ستفكر في احد غيره في يوم من الايام ..

وتحولت الصدمة العنيفة الى رغبة ملحة في الانتقام ، انهما لم يحلما بهذه المفاجاة .. ويا لها من مفاجاة ..

وعلق السماعة وخرج بسرعة نحو سيارته فحركها وانطلق نحو المدينة في طريق المطار المتعرج، يسابق الريح ...

لم يكن يرى من الطريق التي يحبها شيئا هذه المرة .. كان يفكر .. اذن عاد ذلك الرسام الفاشل الى حياتها مرة اخرى .. كان هو يعتقد انه امتلكها برفاهيته وقصوره وهداياه التي كان يمطرها عليها .. ولكن « الجنس الرذيل » ، كما كان يسمي النساء حين يكرههن ، فيهن انكار الجميل سليقة لا تزول ..

كان يتألم بداخله .. يتألم لانه اعتقد طول هذه المدة انها كانت تحبه .. وانها نسيت ذلك السلوقي القذر ، او « صيطوط » كما كان يسميه لطوله وتحافته وعدم تناسق حركاته ...

ووجد نفسه يصعد طرقات الجبل وممراته الضيقة بسرعة مخيفة والناس والسيارات تتفاداه وهو لا يرى ما حوله ..

وضغط الفرامل على باب البيت فزعقت عجلات السيارة لاحتكاكها بالارض ، فمد يده الى خزينة السيارة الداخلية ففتحها واخرج منها مسدسا كان يحتفظ به هناك ، ووضعه فى جيبه ثم دخل الدار من غير ان يشعر به احد ..

واتجه الى الشرفة حيث تجلس فطومة لحبيبها الرسام .. فرآه ينظر اليها ويبتسم وهي تنظر الى الافق وقد لبست قميصا أبيض يكشف مفاتن صدرها الناهد فى اغراء كبير ..

واخرج المسدس من جيبه ووقف ينظر اليهما .. وفى نفس اللاحظة التفت الرسام فاختفت ابتسامته .. والتفتت فطومة فرأت زوجها بالمسدس فى يده ، فاطلقت صرخة فزع خفيفة ثم ابتسمت له :

— علي .. لما ذا لم تبرق قبل وصولك ؟ ما ذا فى يدك ؟ مسدسك الجديد ؟

— ليس جديدا .. انه قديم كعلاقتكما .. لذلك قررت انهاءها به ..

وقبل ان ينطق احدهما بشيء ضغط الزناد فانطلق الرصاص على صدر فطومة وراس الرسام فسقطا يتخبطان فى بركتين صغيرتين من الدم ...

ورمى المسدس على الارض ودخل الغرفة لينادي البوليس ...

ورفع السماعة واخذ يدير القرص ، فاذا بصوت رجل فى ركن الغرفة يرتفع بالكلام :

— ما ذا ننتظر ؟ هل سنبقى هكذا نعيش كاللصوص نسرق حياتنا ؟

واجاب صوت انثى :

— لا تقلق يا حبيبي .. لقد وضعت خطة الخلاص ... ولم يبق الا تنفيذها ...

— صحيح ؟ قولي لي ، كيف ؟

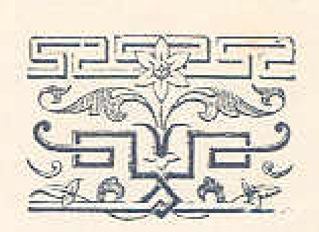
— ....

واحس « علي » وهو يستمع للحديث برعب شديد كأنه راى شبحا ، فالقى بسماعة التلفون واستدار ..

كان جهاز التلفزيون مفتوحا وحده .. وظهر المذيع ليقول :

« كانت هذه ، سيداتي وسادتي ، فقرة من الرواية البوليسية المغربية التي ستشاهدونها على هذه الشاشة هذا المساء .... »

واشنطون : احمد عبد السلام البقالي



أرض الجحيم

للأستاذ ياسين رفاعية

احسست ساعة قفزت من الحفرة الاولى الى الحفرة التي تلتها انني تقدمت من الموت خطوة اخرى. كان ثمة آخرون يقفزون الى بعد اكثر من مائة متر عن يميني وشمالي . كنت ادرك انني منتبه لا محالة . كانت بي رغبة عنيفة بأن ارتد الى الوراء . لكنني كنت اعرف اي مصير ينتظرني فيما لو اقدمت .

سكنت في حفرتي . وشددت على البندقية خشية ان تفلت من يدي : كان فولاذها باردا . ومع انها ثقيلة ، لكنها ظلت ترتجف بين يدي . ضغطت على اسناني محاولا السيطرة على اعصابي فان شعورا بالفزع سيطر على كياني . انها ليست التجربة الاولى .. ومع ذلك فانني احس هذه المرة ان الخطر الذي ينتظرنا افدح من اي خطر آخر واجهناه منذ نزوحنا الى جحيم هذه الارض .

السماء فوق راسي صافية الاديم ، والسكون الرهيب اصبح الآن يلف كل شيء . وكأنني استمع الى لهاث زملائي القريبين مني . كانت التلة البعيدة التي تربض فوقها القرية التي ازمعنا الهجوم عليها تبدو كأنها حصن منيع وكانت انوارها الضئيلة المنبعثة من خلال النوافذ تدل على ان اهلها يغطون في نوم عميق .

والاوامر التي صدرت : يجب ان نقترب ونفر بسرعة ، فالعدو صعب المراس . ويجب ان نكون حذرين جدا . فان اقل خطيئة تنذر بجحيم هائل فوق رؤوسنا . ان رؤساءنا يعرفون قوة العدو وهم بذلك ينبهوننا في كل مرة ان نكون حذرين ، وان نهاجم تحت جنح الظلام ، ويبدو ان الظلام وحده هو الذي يستر الخوف والفزع اللذين يسيطران على اعصابي واعصاب امثالي .

الاشارة ، تقليد عواء ذئب . ومن ثم التسلل حتى القرية . وتساءلت : ما معنى هذه الاعمال .. والام يستمرون في دفعنا الى معارك نكون دائما فيها من الخاسرين .

وتذكرت يوم غرر بي . فرضيت ترك طرابلس الى الارض التي اسموها لنا آنذاك : ارض الميعاد وانا اعد نفسي بحياة اجمل وافضل بين ابناء ديني وعشيرتي . كنا ستة وفتاة هي شقيقة احدنا ، كانت جميلة ومغرية وعند ما اقتربنا من مياه فلسطين بعد رحلة خطرة ذقنا فيها الاهوال . كان الليل قد انتصف وعندئذ ادركت ان الفرحة التي اصابتنا جعلت الفتاة شيئا مباحا لنا . وبررت يومها كل شيء .. ما معنى الحياة اذا لم تستغل كل فرصة تسنح لنا لنسعد بها..

تذكرت كل هذا الان . وكم احس بندم كبير على ما اقدمت عليه ، لقد ادركت زيف الحياة التي حملت نفسي اليها . وادركت اية خدعة كبيرة انطلت علي في حياتي . لقد جئنا نحن الشرقيين لنكون خدما لمن اتوا من الغرب ، وليدفعوا بنا في كل معركة الى خط النار الاول . انهم يقومون بحركة افناء واسعة بعد ان جلبونا بالوعود من كل بلد عربي وشرقي كي يحل محلنا الذين يفدون من الغرب .

تواردت هذه الخواطر كلها على ذهني ، وانا مسند خدي الى كتفي ، وبندقيتي ملقاة امامي وفوهتها متجهة الى القمة .

لم تمض دقائق اخرى حتى سمعت عواء الذئب يشق صفاء السكون . بدات ازحف .. كنت المح رغم الظلام اشباح رفاقي وهم يزحفون الى جانبي ، وما ان اصبحنا بالقرب من التلة حتى نسيت كل شيء حوله واصبح همي محصورا لحماية نفسي . كنت هلعا . وراح قلبي يدق بعنف بالغ . انها اللحظة الحرجة . فقد يحس العدو بنا . أو انه قد شعر بنا فعلا وهو يترقبنا ولا بد انه ينتظر الفرصة المناسبة ليبيدنا .

كانت التلة مزروعة بالاسلاك الشائكة ، ولكن الفرقة التي سبقت تقدمنا شقت لنا طريقا ضيقة لنمر باجسادنا منها .

استمر زحفنا اكثر من ساعة ، حتى اقتربنا كثيرا من القرية الصغيرة التي لم تكن بيوتها فيما يبدو تتجاوز الثمانية . واحست بنا بادىء ذي بدء كلاب القرية فراحت تنبح باستمرار . وكانت اشارة مضيئة انطلقت فيما أعتقد من مسدس عندما هبت مدفعيتنا تصب جام غضبها على البيوت الثمانية كأنها تقصف مدينة كبيرة مثل بيروت .

استمر القصف اكثر من نصف ساعة . وفيما بعد قفزنا من مراكزنا صاعدين التلة بسرعة الى القرية وما ان وصلنا اليها حتى بدت الآن قاعا صفصفا ...

دخلنا الزقاق الوحيد فيها . كان هناك بيتان يشتعلان وبيتان آخران قد تهدمت بعض جوانبهما واصطدمت قدمي بجثة ملقاة . ولما حاولت ان اجثو على ركبتي متحاشيا ان يراني احد من رفاقي استولي على كل ما تحمل الجثة من اموال او اشياء ثمينة كما تعودت ان افعل في كل معركة خضتها .. وكما تعود جميع رفاقي . فوجئت بأن الجثة لم تكن الا جثة بقرة صغيرة ، فاصبت بخيبة امل مريرة ، فقمت مسرعا علني اعثر على جثة ما بعيدة عن اعين رفاقي .. وبعد جهد لم اعثر الا على جثة كلب آخر كان منفوخا كدولاب سيارة . وبالطبع لم تكن مدافعنا هي التي اصابته فهو يبدو ميتا منذ أيام .

وبعد ان قمنا بتفتيش القرية تماما لم نجد اثرا لمخلوق وكان اهلها على علم بما نضمره لهم . فاخلوها بعد ان تركوا انوارها مشتعلة حتى يزيدوا في خديعتنا.

وكانت خيبة الامل واضحة الملامح على وجه قائدنا الذي بدا مع اشراقة الفجر اصفر باهتا فراح يسب ويلعن الساعة التي جاء فيها هذا البلد ويلعن اللحظة التي اعتقد فيها ان هذا الجحيم هو ارض الميعاد ..

والتفت الينا يوجه اوامره بنزق وعصبية غريبة. حتى احسست ان اعماقه تتفجر غيظا وكراهية . تمركزنا حول القرية . بينما انهمك قائدنا في الحديث بواسطة هاتف لاسلكي . كانت لهجته تدل على الخيبة المريرة والاسف العميق .

وبعد ساعة ونصف الساعة تقريبا . لمحت مفرزة من المصفحات تتقدمها دبابتان تتجهان الى القمة . بينما راحت طائراتنا تحلق فوق رؤوسنا على علو شاهق . وفيما انا اتأمل التلة التي امتلأت بجندنا بدأت طمأنينة نفسي تعود الي . وزال بعض خوفي ولكن اشارة استفهام كبيرة ارتسمت في مخيلتي : لماذا لم نلق اية مقاومة من العدو ؟ هل تخلى عن القرية كي لا يصطدم بنا ؟ انه يضمر لنا شيئا ما . خطة معينة سينفذها ؟

وفجأة . تفتقت السماء عن جحيم لا يطاق .. قنابل .. قنابل في كل مكان . بالقرب منا . في اسفل التلة . في منتصفها .. ثم قنابل كانت تمر فوق رؤوسنا وهي تولول لتستقر في مستعمراتنا التي انطلقنا منها .

وفقدنا السيطرة على انفسنا . وقمت انا وقد استبد بي الفزع وانحدرت عبر التلة . خلف القرية العربية . كانت قدماي تصطدمان بجثث رفاقي التي تكومت ببشاعة . وبدت السماء في وهج الشمس وهي تتفجر من الجثث كأنها تنبع من الارض . القيت بندقيتي جانبا كي استطيع السرعة اكثر ، كنت المح وانا انحدر الى الوادي عشرات من رفاقي وهم هلعون يتراكضون من كل مكان باتجاه مراكزنا ، الا ان النار قد حصرتنا واحكمت النطاق حولنا .

ولم اعد اعي شيئا . كنت اركض . اركض بكل ما اوتيت من قوة ، وقد صمت اذناي . كانت الانفجارات تتوالى في كل مكان راسمة دائرة كبيرة تبدأ من خلف مستعمراتنا حتى القرية العربية التي احتللناها . كانت الانفجارات تتوالى بعنف .. و .. كبوت اصرخ : يا الهي .. لقد اصبت لقد اصبت .. وتمددت على الارض الترابية الحارة وانا مستسلم بيأس الى مصيري المحتوم . وحاولت ان اوقف نزيف الدماء من فخذي الذي تمزق بشظية قنبلة وانا اتأوه واصرخ فلا اجد احدا من حولي كان كل ما هناك جثثا مبعثرة دون حراك .

« سأموت اذن »

واخترقت الكلمة احساسي . وتلفت نحو مستعمراتنا التي بدت الآن شعلة من النار الملتهبة . واستسلمت ..

ان خدرا شديدا بدا يدب في احساسي بما يجري حولي ، واغمضت عيني وانا ابكي ، وقد اخترقني الخوف والفزع .

صحوت فيما بعد ضمن غرفة في معسكر من معسكراتنا ، وكنت اتمنى الموت . ولكن سوء حظي رسم لي ان اكون بقدم واحدة . وانني سأمضي في طريق الموت البطيء اشقه ونظرات ناقية تخترق جسدي من العيون الزرق ومن الدماء الملونة . نظرات احتقار لم تتبدل منذ وطئت قدماي ارض الميعاد .. جحيمنا الذي سنحرق به ذات يوم ...

دمشق : ياسين رفاعية



مأساة المغرب

للشاعر: المدني الحمراوي

بسيط الغرب روعت الديارا ... وأقعمت القلوب أسى ونارا

وقرحت المآقي من بكاء ... عليك فلا ترى الا احمرارا

نبيت الليل في سهد وغم ... ونقضي في مآسيك النهارا

دهاك المحق من ماء وكنا ... نرى في الماء يمنا وازدهارا

فيا أصل الحياة أصرت حقا ... تخربها وتبتكر الدمارا

الم تشفق على جنات أرض ... جنيت على مرابعها بوارا ؟

وكان لها بفيضك كل ري ... سرى فيها فأغزرت الثمارا

ورفت فوقك الأغصان منها ... ملاطفة وأحسنت الجوارا

فماذا اجرمت اذ ثرت فيها ... تخرب ما بنيت له قرارا ؟

وتمحق ما صنعت بكل حقد ... وتجرف ماتلاقيه اقتسارا

لعمري انها نقم شداد ... ضربت بها مثالا لن يجارى

كأنك في هياجك ذو جنون ... تفلت من سلاسله فثارا

يعيث كما يشاء بلا حساب ... يسير الهول حوله حيث سارا

احلت الغرب في يوم وليل ... بلاقع لا ترى فيهن جارا

فلا شجر ولا مدر تبقى ... ولا حي تطلع أو توارى

ولكن لا ترى الا سيولا ... كأن الأرض قد صارت بحارا

وملتجئين في قنن الروابي ... وقد طلبوا من الغرق الفرارا

وصاحوا: يا لغوث من هلاك ... يداهمهم وينتشر انتشارا

ولا امل يلوح ولا محيص ... فظلوا في مخاوفهم حيارى

بكى صبيانهم وبكت نساء ... وقال الكل : فلنمت اصطبارا

وماج الماء حولهم وهاجت ... غوائله واغزر واستدارا

وجاء اليأس في ليل كريه ... يسوق الشؤم نحوهم جهارا

فساءل بعضهم بعضا الى ما ... نموت مفزعين هنا مرارا ؟

فان الارض في طوفان نوح ... ولا فلك يخوض له غمارا

فماذا نرتجي والامر حتم ؟ ... ولو بقى الورى لأتوا بدارا

كفى رعبا ومخمصة وعريا ... كفى جزعا وذعرا وانتظارا

سنغرق لا محالة بعد حين ... فماذا لو بداناه انحدارا ؟

اذا كان الهلاك لنا مصيرا ... فخير أن نعاجله انتحارا

هلمو نحسم الآلام حالا ... فنطلب في قرار السيل دارا

فهبوا مسرعين الى وداع ... وهم بالجوع قد صاروا سكارى

فعانق بعضهم بعضا وقالوا ... شهادتهم كمن وجد احتضارا

وخاضوا لجة الطوفان عمدا ... وقد ضمت سواعدهم صغارا

وكاد الموت ينهبهم فثاروا ... اليه وأوغلوا فيه اختيارا

وقالوا ما لنا نبقى ؟ وجمع ... من الاخوان قد غرق اضطرارا

وكيف بقاءنا ؟ والربع خال ... وطوفان الفناء طغى وفارا

فبعدا يا حياة بلا وداع ... كفى ما نالنا منك اغترارا

سنرحل ناقمين عليك انا ... عزمنا أن نقاطعك ازورارا

فتاهوا في مجال السيل حتى ... اطالوا في مجاهله المدارا

فما رجعوا ولا بعثوا رسولا ... فقلت : لعلهم حمدوا المزارا

وخيم بعد رحلتهم سكون ... وصار السيل ينحدر انحدارا

وراح الافق يبكيهم بدمع ... غزير القطر ينهمر انهمارا

فصاروا في ضمير الغيب سرا ... كأن عليه من لغز ستارا

يؤلف منه قصاص المآسي ... روائع تشبع الناس اعتبارا

فيا اسفي على غرقى تاهوا ... الى ما اذهل الارض احتيارا

ويا لهفي على جنات أرض ... غدت من بعد خضرتها قفارا

وكانت متعة الدنيا نعيما ... وكانت بهجة الدنيا اخضرارا

فصارت عبرة تبكى وصارت ... تسعر في جوانحنا جمارا

بكينا في سهول الغرب اهلا ... واخوانا قد اندثروا اندثارا

وجنات نواضر يانعات ... نتيط بهن آمالا كبارا

تلاشت بغتة فاشتد فيها ... مصاب هال ؛ بل كسر الفقارا

فيالغرب من دهياء حاقت ... به فاستاصلت منه ازدهارا

ترى يا غرب هل تسري حياة ... على مغناك ام تلقى خسارا ؟

وهل ترخى مزارع فيك فيح ... سنابلها المثقلة الغزارا ؟

ويزكو برتقالك بعد حين ... فيلمع في زبرجده نضارا

وهل تكسو رباك برود وشي ... وهل تختال في السهل المهارى ؟

* * *

لك الاجلال يا ربي رضينا ... بحكمك في بريتك اختبارا

قضيت وما تشاء يكون حتما ... وفي الضراء لطفك لا يمارى

فعفوا انا في الذنب غرقى ... نتوب اليك ، نعتذر اعتذارا

فما عودتنا الا سماحا ... وعونا منك كان لنا منارا

الا يا كاشف البلوى الا يا ... مقيل العاثرين اقل عثارا

فهذه امة القرآن تبكي ... وتخشع في تضرعها انكسارا

وتسالك الاغاثة من زمان ... تسربل من مناكره شعارا

فشاع الفسق وانتهكت حدود ... وصار القوم للدنيا اسارى

والحد كل مفتون ووالى ... مخازيه وابداها جهارا

وصار بكل منعرج مقيل ... يعربد في زواياه السكارى

وودعت الفتاة حياة خدر ... لتخلع في رذائلها عذارا

تمارس ما تشاء بلا رقيب ... وقد طلبت على الرجل انتصارا

وما طلبت سوى غم طويل ... يعد لها الأسنة والشفارا

فلا والله ما في العيش خير ... اذا امسى الفجور له دثارا

واين الأنس من عيش كريه ... كان عليه ادخنة وقارا ؟

تفر الى المهيمن من حياة ... اشاعت في معيشتنا مرارا

وتندب حظنا والدين انا ... راينا ديننا ولى وطارا

الرباط : المدني الحمراوي



ان بكى مرء شجاني . . اوشكا . . استدعى حناني
او رأت عيني مهينا ، خلته . . يحكي هواني . . .
مهما يهم الدمع من جفني ، او يشك لساني
فهموم الناس ، لا همي وحيدا ، يشكوان . .

* * *

. . كم اعانيه من حزن . . وليد امر اعاني
ليس في قلبي حب للحميا . . . والقيان . . .
فاقول : الهم من حرماني من تلك القيان . .
ما عشقت الحسن في صب تأبى ، وجفاني . . .
فاقول : السر ، في حزني ، من صب جفاني
ما طغى بي ، بحر المال والجاه ، اقتناني
كل شيء ، من حطام الارض ، في عيني ، فان

* * *

. . ما ، اذا ، علة حزني ، وانا في . . مهرجان ؟

* * *

انا حيران ، مدى عمري ، مدحور الاماني
لست اشتاق الى الفرحة او اعلاء شاني
انما . . مشهد حال الناس اخلى باتزاني . .
حرت . . ما الصادق ؟ ما الكاذب ؟ من حال الزمان . .
حالة القدر . . تريد النار بسد الغليان ؟
حالة الجنة . . والانام في حب مصان

* * *

كنت في الاطلس . . حيث الناس ، من كل مكان ،
جذبتهم بهجة الصيف الى احلى المغاني

. . بشـر . . مـن كـل لـون ، نطقـوا كـل لسـان
بينهـم مصـري يحكـي نكتـة . . للبـريطانـي
بينهـم زنجـي مـع شقـراء . . كـانـا يـرقصـان
و . . فرنسيـة . . تشـدو غنـوة حمـرا . . لغانـي
و . . يهـوديـة تهـدي مقلتيهـا . . لعمانـي
وكثوليكـي ، وشيعـي استضافـا « برتستانـي »
و . . وبـوذيـة تستفسـر عـن . . معنـى الاذان
كلهـم بـات مـلاكـا مخلـص القلـب . . لثـان

❊ ❊ ❊

انهـا الجنـة . . فـي اطلسنـا ، فـي مهـرجـان

❊ ❊ ❊

ثـم عـادت حيرتـي تنمـو . . وتطغـى فـي كيانـي
ومضـى فكـري . . فـي حلـم شقـي الهديـان . .
: مـن ، اذا ، يفـرغ سـم الحـرب فـي قلب الامـان ؟
مـن ، بجسـم السلـم ، ادمـي الف جـرح شريـانـي ؟

❊ ❊ ❊

أرى ، فـي الاطلـس ، ناسـا جـاؤوا مـن كـل مكـان . .
انسجموا فيه ، انسجـام اللحـن . . فـي احلـى الاغانـي

❊ ❊ ❊

وقريبـا منـي . . من اطلسـي ، « حلف » يتفـان . . (❊)
يسعـى كـي يعـدم شعبـا لـم يـرد عيـش هـوان

❊ ❊ ❊

اتـرى . . يعـدم مـن لـم يـرض بالعيـش الهـوان . .
وهـو . . كـالقـدر التـي تحـرق نـار الفليـان ؟ ؟

❊ ❊ ❊

افلـي ان اتمنـى ، بعـد ، يـومـا ان ارانـي . . .
. . أحيـا ، والنـاس ، كمـا يحيـا مـلاك . . في جنـان

❊ ❊ ❊

ليـس لـي ان اتمنـى ، وانـا . . مـن مهـرجـانـي ،
أرى . . . في الاوراس . . فـي الاطلـس . . امـواج دخـان

القنيطرة : ابن دفعة محمد

❊ نظم الشاعر هذه القصيدة ايام حرب التحرير التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي والحلف الاطلسي



انا ، والنـاي ، وتجريـح الربابـي — والصبابات ... وأحلامي العـذاب
عدت والذكـرى معـي تؤنسنـي — والخيـالات ، واحـلام الشبـاب
والـروابـي ، ورؤى فتنتهـا — وصياح « الديك » من تلك الروابي
كسيت من بهجة الصبـح ، ومـن — لؤلؤ الفجر ، واضـواء الشهـاب
وبـي الشـوق اليهـا مثلمـا — كان شوقي صاخبا عند اغترابـي
وتطلعـت بعينـي لأ ر ى — بعض آثاري على هـذا التـراب !
حدثينـي يـارؤى الفتنـة عـن — همسـات الأمس ... عن عهد التصابي
عـن جمـال ازلـي خـالـد — شع كالأنوار في تلـك الهضـاب !
حدثينـي عـن صبـاح ملهـم — عـن لحـون ، واهازيـج طـراب
عن عبير الترب بعد الغيث ، والـ — ـسترجس الفواح في تلك الشعاب
حدثيني عن مجـالات المنـى — عن دنى الروعة في هذي الرحـاب
كم لعبنـا في الثـرى مـن مـرة — كم بنينا من عـروش ، وقبـاب :
والغديـر العـذب يحكـي حبنـا — فتتيه النفس فـي دنيـا التغابي
ايعـود الأمـس حقـا لحظـة — ام سيبقى مثل اطياف السـراب ؟
أسـال « الربـوة » عـن اسـراره — فتحار اليـوم فـي رد الجـواب
فكانـي صـرت أحيـا بعـده — في الربوع الجرد ... في القفر اليباب
ايها الأمـس الضحوك الطلق .. عـد — للربى الخضـر لكي يحلـو ايابـي !

القصر الكبير : محمد حسن الطريبق

معرض الكتب

هاتان نفحتان من بلاد الشام .. احداهما من دمشق ، والثانية من بيروت ...

وقد آثرنا عرضهما امام أنظار قرائنا عرضا سريعا فيه التفاتة الى المكانة التي يحتلانها من تراثنا الحضاري كامة لها من ماضيها القريب والبعيد ما يملأ سمع الدنيا وبصرهـــا .

وليس من شك ان العرض لا يعني الدراسة .. وان الالتفاتـة لا تعنـي النقـد والتمحيـــص ...

فهناك عمق الدراسة .. الذي نستعمله فى باب التمحيص والنقد .. وهنـاك التفاتة العرض ، التي نستعملها فى باب التوجيه والتقريظ .. ولكـل من الاسلوبين غرض خاص نهدف اليه .. من وراء الحديـث عمـا جـد فى المكتبـة العربيـة مـن أبحـــاث ودراســـات ..

الحلة السيراء

لأبي عبدالله بن الآبار

الحلة السيراء هذا هو العنوان الانيـق الـذي اختاره المؤرخ الاندلسي العظيم أبو عبد الله ابن الابار القضاعي البلنسي المقتول بتونس سنة 658 هـ لكتابه الذي جمع فيه تراجم الامراء الشعـراء الذين لـم تصرفهم مهامهم فى السياسة والحكم والحرب عن الفن الشعري وما فيه من عواطف وجمال ...

وكلمة « السيراء » تعني نوعا خاصا من الحلـل كان معروفا ايام الحضارة الاسلامية بنسيجه الممتاز بخيوط من ذهب وحرير فاخر ...

فالحلة السيراء تعني الحلة الفاخرة المنسوجـة بخيوط من ذهب وحرير .. ولا شك ان هذا العنوان يناسب الموضوع الذي هو شعر الملوك والامراء .. فى الشمال الافريقي والاندلسي ...

وقد اشتهر المؤلف بمؤلفات عظيمة الاهمية من الناحيتين التاريخية والادبية كانت وما تزال مصـدرا اساسيا للبحث فى تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشمال الافريقي والاندلس منذ الفتح الاسلامـي الى اواسط القرن السابع الهجري .

وقد ظلت هذه المؤلفات قابعة فى دير الاسكوريال قرونا طويلة .. كما هو الحال فى المكاتـب والخزائن الاخرى شرقا وغربا .. وظلت الاستفادة منها مقصورة على المحظوظين الذين يملكون منها نسخا خطية قليلـة العدد غالية الثمن .. الى ان تنبه لاهميتها المستشرق ـ دوزي ـ فى هولاندا .. والمستشرق ـ فرنسيسكو كوديرا ـ فى اسبانيا .. منذ اواسط القرن التاسـع واذ ذاك عرف بعضها الطريق الى نور المطبعة ككتابـي ـ التكملة ـ و ـ المعجم ـ اللذين طبعا بمدريد سنـة 1886 م .

اما كتاب الحلة السيراء الذي نتحدث عنه فقـد نشر منه ـ دوزي ـ قسمـا خاصـا برجـال الاندلس ضمن كتابه الذي الفه عن بني عباد فى اشبيلية .. كما نشر منه قسم آخر على يد مستشرق الماني ...

ومع ذلك فقد ظلت الحلة مخطوطة الى الآن لا تجد من يحررها ويقدمها للطبع مع اهميتها البالغة بالنسبة للتاريخ الاسلامي في المغرب والاندلس .

واليوم نجد انفسنا امام دراسة جامعية واسعة النطاق حول هذا الكتاب يقوم بها الدكتور عبد الله الطباع ويقدمها في شكل رسالة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة مدريد في اسبانيا .

وقد كنا نود كما يود سائر الباحثين المهتمين بالدراسات الاندلسية والمغربية ان لو اهتم الدكتور الطباع بنشر النص الكامل لمخطوط الحلة السيراء لنجد امامنا مجالا لتكميل معلوماتنا الناقصة حول كثير من الشخصيات الاندلسية والمغربية .. وستظل ناقصة ما لم نطلع على نص كامل لكتاب ابن الابار ...

ومن طريف ما وقع لي حينما تناولت هذا الكتاب بعد شوق عظيم واهتمام بالغ .. انني لم اشك مطلقا انني امام النص الكامل لكتاب الحلة السيراء لابن عبد الله ابن الابار .. ولم اشك مطلقا انني سأجد ضالتي المنشودة التي طالما بحثت عنها دون جدوى لاسيما والصفحة الاولى من الكتاب تحمل العنوان الكامل مع هذه العبارة المشوقة .

— حققه وعلق عليه وقابله على مخطوط —
— مكتبتي مدريد والاسكوريال —
— وترجم لمؤلفه وقدم له .. عبد الله انيس الطباع .

ولكن احلامي تبخرت بمجرد ما خلوت بالكتاب اذ وجدت نفسي امام دراسة عن الكتاب لا امام الكتاب نفسه ... والشيء الطريف في الموضوع هو انني تناولت الكتاب الضخم بالمطالعة وانا اظن انني سأجد في فصل من فصوله اشارة الى ان المؤلف سينشر النص الكامل لكتاب الحلة السيراء بعد ما نشر دراسته عنها ؛ وما زال كذلك الظن يراودني الى نهاية الكتاب .. واخيرا استسلمت للواقع بعد ما تأكدت من مفعول خداع العناوين ...

ثم اقبلت على الدكتور الشاب فوجدت دراسة جامعية حقا تتوفر على عدة مصادر مخطوطة ومطبوعة مع اسلوب دراسي دقيق الترتيب والتبويب .

وقد نال ابن الابار حظا وافرا من عناية المؤلف فترجم له ترجمة واسعة وتناول حياته وشعره ونثره ومؤلفاته ومذهبه في الحياة وآراءه في التاريخ والسياسة واسباب قتله ومأساة احراق كتبه مع احراق شلوه ..

ثم عرض بعد هذه الترجمة التحليلية للمؤلف وآثاره الى فصول الكتاب واحدا واحدا متتبعا ترتيب المؤلف في الحديث عن الملوك والامراء حسب عصورهم ومواطنهم وكان عرضه لا يخلو من فائدة ونقد وتعليق احيانا .

ولا شك ان هذا العرض رغم اننا لا نقرأ فيه نصوص ابن الابار نفسها نجد فيه من المتعة والفائدة اكثر مما نجد في ترجمة المؤلف نفسه .

فهناك بالنسبة الينا نحن المغاربة نجد شعرا واخبارا لامراء من العصر الادريسي في المغرب كما نجد اخبارا مهمة عن المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين وابناء المعتمد بن عباد وغيرهم من الشخصيات المغربية والاندلسية .

كما انه توجد هناك شخصيات من العصر الفاطمي والصنهاجي والحفصي بالنسبة لتونس واخبارها على العموم لا نكاد نجدها بهذا التفصيل عند غير ابن الابار ...

واذا امكننا ان ننتقد عمل الدكتور الطباع في هذه الدراسة فلا شك اننا سنجد مآخذ لا بأس من الاشارة اليها في هذا الحديث .

واهم هذه الانتقادات في نظرنا هي :

1 الاعتناء بالناحية الشكلية في البحث اكثر من الناحية الجوهرية ، او بمعنى آخر ان الدكتور الطباع كان يقدم لنا معلومات معروفة ومشهورة ولكنه ينسقها ويخرجها في شكل جميل مع اهماله وسكوته احيانا عن المعلومات التي تتطلب منه التحقيق وكشف الغموض الذي يكتنفها .. والامثلة على ذلك كثيرة في الكتاب ولا سيما في الترجمة التي كتبها لابن الابار .. واعتمد فيها اعتمادا واضحا على سلفه المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد الحميد الذي الف كتابا خاصا عن ابن الابار سنة 1951 وطبع بتطوان .

2) بساطة التعليقات التي علق بها على المعلومات التي اخذها من الكتاب فهي احيانا سطحية وهي احيانا بسيطة لا تليق ببحث جامعي يقدم لنيل شهادة الدكتوراة ، والامثلة على ذلك كثيرة يمكن للباحث ان يعرفها من خلال مراجعة فصول الكتاب .

ولكن هذا ليس الا انتقادا بسيطا للمؤلف له ان يجيب عنه بعدة اعتبارات .. ولم لم يكن من حسنات المؤلف الا انه اتاح لنا الفرصة من جديد للتفكير في ابن الابار وتراثه التاريخي والادبي ولا سيما كتاب الحلة السيراء لكان ذلك وحده كافيا في تقدير جهوده في ميدان البحث والاطلاع والتاليف .

وهناك كلمة اخيرة يجب ان تقولها ونحن مطمئنون الى انفسنا وهي أن دراسة الدكتور الطباع قيمة ومفيدة ولكنها مع الاسف لا تغنينا عن مراجعة مخطوط الكتاب .

وعليه فان نشر كتاب الحلة السيراء ما زال دينا في عنق الباحثين يجب الوفاء به على كل حال .. مع التقدير لمجهود الدكتور الطباع في القيام بهذه الدراسة المفيدة ...

كما انه يجب ان ينوه بالمقدمة التي كتبها لهذه الدراسة الاستاذ العلامة السيد عبد الله كنون ... كما كتب مقدمة كتاب المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد الحميد من قبل ... فان الابار في نظر الاستاذ كنون وفي نظر زملائه في بحث التراث الفكري للمغرب والاندلس جدير بكل تقدير واعتبار ودراسة ... ومؤلفاته ذخيرة من ذخائر الاجداد التي لا يستغنى عنها .

قاموس الصناعات الشامية

قامت الحضارة الاسلامية منذ عهودها الاولى في المدينة ودمشق وبغداد وحلب وتونس والفسطاط والقيروان وفاس وقرطبة على اساس من الحرف والصناعات التي كانت تستمد حياتها من ناحيتين : ناحية قديمة وهي الاستمرار التاريخي للصناعات العتيقة ، وناحية جديدة وهي الابتكار الاسلامي للفنون الجديدة .

فقد شاهدنا صناعات اسلامية في مرافق الحياة من تشييد وبناء وزخرفة الى جانب النسيج والتطريز وصناعة الخزف والزجاج والخشب والحديد وسائر المعادن الاخرى بما فيها الذهب والفضة والنحاس والرصاص ...

زد على ذلك صناعة الجلد بما فيها احذية واوعية، وتسفير الكتب وغيرها .. ولكل من هذه الصناعات مواد اولية وآلات تحتاج هي الاخرى الى كثير من العناية والدقة لتؤدي المرغوب منها .

وقد سايرت اللغة العربية بمفرداتها واشتقاقها الصناعات الاسلامية .. فلكل حرفة اسم خاص ولكل اداة اسم معين .. ولكل عملية صناعية فعل تحتفظ به القواميس اللغوية .

والى جانب اللغة هناك التشريع الاسلامي يحمي الصانع ويحدد مسؤوليته في عمله من حيث الجودة والرداءة والامانة والغش .. وهناك وظيفة المحتسب الذي يتبع غش الصناع ويراقب كل شاذة وفاذة للمحترفين .

وهناك الى جانب الالفاظ اللغوية الفاظ اصطلاحية حية عند كل طائفة من الصناع تجمعهم حرفة واحدة ، فهناك مصطلحات للبناء ، واخرى للحدادة والنجارة والدباغة والنسيج والتجارة ، كما ان هناك العرف الخاص الذي يحدد في كثير من الاحيان المسؤوليات والواجبات والعقوبات بدقة غريبة تبين مدى تغلغل الحياة الصناعية في طبقات المجتمع الاسلامي منذ العصور الاولى في سائر الامصار الاسلامية شرقا وغربا .

والكتاب الذي نتحدث عنه اليوم هو كتاب قاموس الصناعات الشامية الذي الفه علامة دمشق المرحوم سعيد القاسمي ، واتمه ابنه جمال الدين القاسمي وكلاهما من اركان النهضة العلمية في بلاد الشام في اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن .

والكتاب في مجلدين كبيرين يتناول الحرف الموجودة في بلاد الشام فيصفها وصفا مدققا ويعطينا اصلها من الناحية اللغوية والحضارية متتبعا ذلك على ترتيب حروف المعجم العربي .

والمتتبع لفصول الكتاب يجد متعة فائقة في تصوير المجتمع الشامي كما هو في جده وهزله وافراحه واحزانه ومسراته ومتاعبه ، كما يجد صورة حية لنظام الحياة اليومية والموسمية وحياة الاغنياء والفقراء والعامة والخاصة والمحظوظين والبؤساء .

وقد احسن المؤلف للتاريخ من جهة كما احسن للصناعات من جهة اخرى ...

احسن للتاريخ بتصوير المجتمع كما هو في حياته المادية والادبية .. واحسن للصناعات في حفظ مدلولها الخاص ونطاق عملها في الميدان الصناعي .

واذا علمنا ان القاموس يحتوي على 435 حرفة من حرف الشام عرفنا اهمية الكتاب في تصوير الحضارة هناك ومبلغ تاثير الصناعات في حياة الشام .

وغني عن البيان ان جل هذه الصناعات هو من الصناعات والحرف التي عاشت منذ اجيال طويلة هناك وتوارثها الخلف عن السلف .

وعملت على تنشيطها عدة عوامل اقليمية واخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية .

ومن الملاحظات الاساسية التي تلفت نظر قارىء هذا الكتاب الممتع ان هناك فرقا كبيرا في الاصطلاحات بين لغة الصناعة عندنا في المغرب وبين لغة الصناعة في الشـــام .

فعند ما بحثت عن حرفة تسفير الكتب وهي صناعة شهيرة .. لم اجدها في مادة سفار كما هو المعهود عندنا في المغرب وانما وجدتها في مادة مجلد .

فالسفارة عندنا هو المجلد عندهم .
والرحوى عندنا هو الطحان عندهم .
وسقاط الزيتون عندنا هو الفراط عندهم .

لكن الشرح الذي ياتي به المؤلف هو الذي يوضح الحقيقة ويعطي للكلمة معناها اللغوي او الفني او الاصطلاحـــي .

كما انه هناك يوجد تاثير للغة التركية في اسماء بعض الحرف والصناعات ولا سيما في الحاق الجيم باخر الاسم للدلالة على النسبة كما وقع في : قهواجي وقمرجي وغيرهما .

وقد تنبه المستشرق الفرنسي الكبير .. لوي ماسنيون الى اهمية هذا القاموس منذ زيارته الاولى الى دمشق في اوائل هذا القرن فاتصل بمؤلفه وقراه واستفاد منه كثيرا وهو في مخطوطته الاصلية .. وكتب عنه كتابة ممتعة .

ثم لما عزم ورثة المؤلف على طبعه ، كتب له مقدمة مفيدة بالعربية والفرنسية اعطتنا صورة حقيقة عن اهمية الموضوع واهمية المعلومات التي قدمها المؤلف من الناحيتين اللغوية والحضارية .

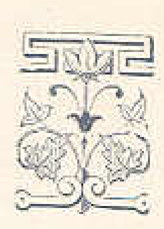
واذا تخطينا الموضوع الاساسي للقاموس نجد هناك موضوعات اخرى جر اليها بحث المؤلف ، وهي: الامثال الجارية على السنة اهل الصناعات الشامية .. وهي عظيمة الاهمية في دراسة عقلية المجتمع .

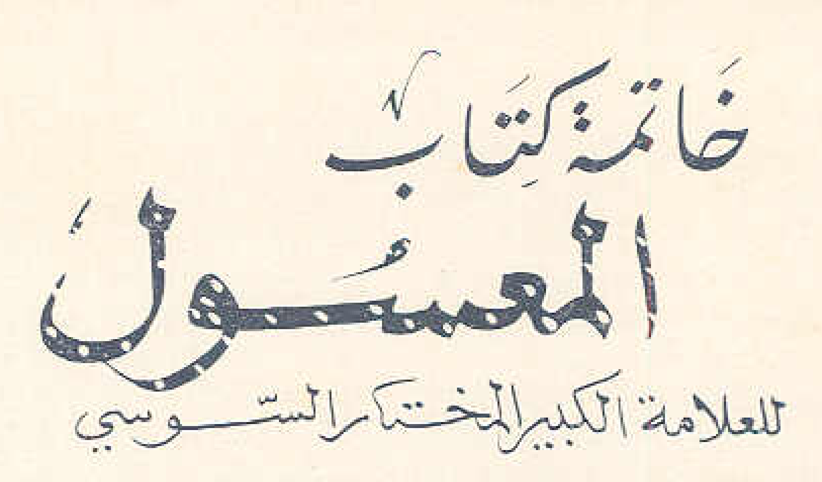
كما ان الادوات والآلات اخذت حظها الوافر من اهتمام المؤلف فوصفها وصفا دقيقا غريبا .

ولا ادع الحديث عن هذا الكتاب الممتع دون ان اشير الى الفهارس التي الحقت به فكانت دليلا هاديا للباحث فهناك فهرس الصناعات ، وفهرس الامثال ، وفهرس الادوات ، كما ان هناك فهرسا مفصلا للاحاديث والكتب والمفردات .

وبذلك استكمل الكتاب الشروط الاساسية للتقدير والمتعة والفائدة واصبح مرجعا اساسيا للحياة الاقتصادية والاجتماعية في الشام .

تعليق للاستاذ : عبد القادر زمامة





نقدم للقراء فى هذا العدد خاتمة كتاب المعسول التي أثبتها المؤلف فى آخر جزء من هذه السلسلة العلمية القيمة التي بلغت العشرين كتابا ، ولعل المؤلف الاستاذ العلامة المختار السوسي غني عن كل تعريف ، فتاريخه فى الوطنية حافل وباعه فى ميدان العلم والمعرفة طويل متواصل ، وقد سبق لجمهور قرائنا ان تعرفوا عليه وهو يوالي نشر مقالاته المتسلسلة على صفحات هذه المجلة فى موضوع (الجمود والجحود) ، بيد ان تاليفه الضخم الذي نسوق للقراء اليوم خاتمته كما سبق أن أثبتنا مقدمته فى احد اعدادنا السابقة يشهد للاستاذ الكريم بكفاءة واقتدار كبيرين ، ولا نشك فى ان الخزانات العربية والمغربية بالخصوص ستغتني بهذا التاليف ، وسيجد فيه الدارسون والباحثون والمهتمون بحضارة المغرب وتاريخه وتراثه الفكري ضالتهم المنشودة ، لاسيما فى هذا الاقليم العزيز من تراب المغرب (سوس) الذي ظل الاهمال الطويل يلقي على معالمه ظلالا من عدم الاكتراث واللامبالاة والغموض ، والاستاذ المختار السوسي هو الوحيد الذي اقبل باقدام وشجاعة لرفع الستار عن هذه المنطقة السوسية لتظهر فى رونقها وجمالها وحضارتها المشرقة الزاهية ، حيث القى اضواء ساطعة على علمائها وادبائها وفقهائها وتقاليد سكانها وعاداتهم ومشاغلهم واسهامهم المتنوع فى تاريخ المغرب وحضارته ، فهنيئا للاستاذ المختار السوسي وهنيئا للمؤرخين والمثقفين والباحثين فى المغرب وغيره بهذا السفر العظيم .

※ اليوم نجز بحمد الله كتاب (المعسول) باقسامه الخمسة . فقد رسمت معالمه . وبينت مناهجه . وحرر فى كل قسم ما عندنا الان من تراجم الذين يليقون لكل قسم من الاقسام الخمسة . ولم يبق الا تحرير ذلك وتصفيته . وتتميم ما لا يزال منه ناقصا واصلاح ما عسى ان نقع عليه من خطا . ومتى انحلت العقدة . وازيل عنا هذا الحصار الذي نحن فيه . نبذل جهودنا ان شاء الله فى تحرير كل ما سودناه الان . وتخريجه من مبيضته وادخال ما لا نزال نرجو الحاقه بالاصل . وعلى الله وحده التكلان . وحسبنا الله ونعم الوكيل :

اكتب هذا فى دار أهلي بـ (الغ) حيث جمعت من مواد الكتاب ما جمعت وانا فى عزلة تامة عن العالم الذي يتلظى بهذه الحرب الثانية . وفى غربة ارخت على عزاليها . وانا منفرد فى غرفتي هذه البدوية الساذجة . وولدي عبد (※) الله يقفز امامي . واخوه سعيد المولود لنا منذ شهور ، يرقد فى مهده . وامه تحركه بيدها لينام وهو لا يزال فى بكاء مستمر . لكن لبكائه الحان ونغمات وانا أجد منها ما لا اجده من الحان أم كلثوم . ومن نغمات عبد الوهاب . وعادتي ان اشتغل وافراد اسرتي الصغيرة يذهبون وياتون حولي . وظهري الى جدار ،

※ كتبت هذه المقدمة سنة 1360 هـ حيث كان المؤلف فى المنفى

※ استاثر الله به بعد رجوعنا الى مراكش

ففي النهار استند ازاء قويس صغير مفتوح الى دائرة وسط الدار . فاستمد من نور النهار . وفي الليل استند في حجرة الى جدار ءاخر . وعن يساري ازاء راسي مشكاة (*) فيها سراج من السرج المعتادة (*) ذوات الشعب الاربع وينور فتيلته الغريقة في الزيت كتب بعض هذا الكتاب الذي سيقراه غدا ان شاء الله من يتصلون به من أهل الحواضر الذين لا يالفون الا الكهرباء الوهاجة في قصورهم الشماء البهجة . هذا وانا احمد الله حين وجدت الان هذا المنعزل في هذه الحرب الضروس التي تتموج في العالم . وتضيق على الناس بغلاء الحاجات الضرورية . فلا شمع ولا ملبوس ولا سكر . والى الله المشتكى . وعسى ما نحن فيه ان يكون له فرج قريب بحول الله .

محتويــات الكتــاب

كان الغرض الاساسي في الكتاب من اول يوم هو تخليد اهل هذا البسيط (الغ) في التاريخ . اداء لحق هذه الاسرة الصالحة العالمة ، اسرة ءال عبد الله ابن سعيد . ثم لما جمعت منهم وممن يساكنونهم اخبار صلحائهم وعلمائهم وادبائهم ورؤسائهم ما امكن ، تعالت همتي ان امد السماط لغيرهم من جميع السوسيين الذين يمكن لي ان ادخلهم في الكتاب . على شرط اشترطته على نفسي . ففتحت بذلك الباب على مصراعيه. فاتتبع اشياخ الالغيين من الصوفية والعلماء. ثم الذين اخذوا عن الالغيين من العلماء والصوفية . وقد اقتصرت في الاخذين عن الالغيين على الذين اخذوا من المدرسة (الالغية) ومن الزاوية الدرقاوية (الالغية) خاصة . فسرت اتتبع من الفريقين كل من يقعون تحت شرطي هذا فاجدني أؤدي اكبر واجب لغالب السوسيين المخالطين للالغيين من اهل هذين الجيلين الماضيين ، بل ومن اهل هذا الجيل ايضا . فقد امكن لي ان اتصل بوساطة من هم على شرط الكتاب من اشياخ الالغيين ، وممن اخذوا عن الالغيين . بكثير من رجال الاسر العلمية الجزولية ، وحين اشترطت ان اذكر اسرة كل من هم على شرطي ، ذكرت اليعقوبيين اولاد سيدي عبد الله ابن يعقوب السملالي . والماقامانيين السملاليين والوكاكيين والاكشيضيين والكوساليين . وءال يعزي السملاليين ، والعباسيين والبوشيكريين . والواسخنيين والازاريفيين والشرفاء التازروالتيين ، والاساكيين الافرانيين . وءال سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتيين وآل محمد بن عمرو الاسريريين . وآل الطيفور الساموكنيين ، واليزيديين الايسيين ، والساليين الايسيين ، والتمكيدشتيين الايسيين ، والايديكليين التمليين والجشتميين التمليين ، والتاسكدلتيين ، والتينكيين العبلاويين ، والكرسيفيين، والدويملانيين ، والتمليين الرادنيين ، والخياطيين التمليين الردانيين ، والتاكوشتيين . والركراكيين التاوريرتيين، والاقاريضيين الصوابيين، والبوشواريين والواغزانيين ، والاسغاركسيين، واليعقوبيين الايلالنيين والاكناويين الايلالنيين ، والريشيين ، وآل عبد الله بن داود الايسافنيين والاسكاريين ، والكثيريين ، والمزواريين الرسموكيين . وآل تامرة ، وآل أنزاض والمحجوبيين الرسموكيين ، وآل سيدي علي بن أحمد الرسموكيين ، والمضائيين الرسموكيين ، والتاغاتينيين الرسموكيين وآل ابن عمرو البعقيليين . والافرابوئيين البعقيليين . وآل سيدي عمر البونعانيين، والسكراديين الجراريين ، والفرميين الجراريين ، والمسكداديين والتوماناريين، والاكراريين، وآل السملاليين الساحليين وآل تادارت البعمرانيين ، وآل اغبالوا الماسيين ، والالياسيين ، والناصريين، السوسيين، والبنسعيديين وآل حسين الطاطائيين ، والركنيين . والتاتليين ، والشرحبيليين ، وآ تاغارغرت ، وآل سيدي ابراهيم ابن علي التيفانيمينيين ، وآل الشيخ ماء العينين الذين صاروا يعدون من السوسيين ومن اشياخهم . وغير هؤلاء مما سنقف عليهم فيما بعد ان شاء الله ، يوم تملك انفسنا فنذهب ونأتي كما نريد ، ممن لهم تعلق بالالغيين استاذية او تلميذية او صداقة وربما جرى ذكر بعض اسر اخرى ان ذكر بعض رجالاتها أثناء تراجم اسرة من هذه الاسر . كئال حمزة ، وآل تخفيست ، وآل اكرامو السملاليين ، وكئال البرج الرسموكيين ، فهذا عملنا في كل من لهم اتصال بالالغيين من العلماء . ثم لم ننس الرؤساء اصدقاء الالغيين . ازاء هؤلاء العلماء . فاتينا (في القسم الخامس) بفذلكة من القواد والشيوخ السياسيين الذين لهم مواصلة تامة مع الالغيين . والمقصود افادة المؤرخين غدا . هذا عملنا في هذا الكتاب ولا ريب انه لا يدخل تحت شرطنا فيه الا قليل من العلماء والرؤساء من مطلق السوسيين . ما لم يكونوا من رجالات هذه الاسر العلمية او الرياسية . ولذلك خصصنا كتابا عاما جمعنا فيه من يذكرهم مؤرخونا

---

* المشكاة : كوة غير نافذة من الجدار . وهي يوضع فيها السراج الصغير عادة عند الالغيين .
* هذا النوع رايته بعينه في متحف قرطاجنة . وهو وهو مما اعتيد من عهد الفينيقيين .

السوسيون في كتبهم . كالبعقيلي في (كراسته) والتامانارتي في (الفوائد الجمة) والرسموكي في (وفياته) والكرامي في (بشارة الزائرين) والحضيكي في (طبقاته) والجشتمي في (الحضيكيين) والايكراري في (روضة الافنان) وابن الحبيب في (تعطير الطروس) وضممنا الى ما في هذه الكتب ما تيسر لنا من غيرها . وسنبني على هذا ان شاء الله فنجمع كل سوسي من أي كتاب آخر الى ذلك . ليكون سجلا خاصا بكل علماء سوس . وقد سميناه (رجالات العلم العربي في سوس) (*) كما ان هناك مجموعا آخر خصصناه للرؤساء . ولما نتمش فيه الا خطوات . قلنا هذا لئلا يغتر القارىء ب (المعسول) فيظن أنه تاريخ عام لكل علماء سوس ولكل ادبائه . بل هو صوان لطائفة خاصة يجمعها شرط خاص . نعم انفرد (المعسول) بسوق كثير من الاثار الادبية المختلطة مع الاسباب في التراجم . فتلك مزيته الخاصة وازاء ادبائه . كتابان آخران . احدهما (مترعات الكؤوس) خصصناه لاثار ادبية حسنة لمن ليسوا على شرط (المعسول) والثاني (جوف الفرا) جعلناه كسلة المهملات نلقي اليه ما غث وما سمن بحسب رزقه مما يبقى عن تراجم (المعسول) وهذا كله عمل من يجلس وحده في هذا المنفى ، يزجي الايام بتسويد الطروس ، ومداعبة القلم ، حتى يفرج الله ولعل كل ما سودناه يكون له شان فيكون افضل هدية لمن سنفد عليهم غدا ان شاء الله يوم تنفرج الازمة بحول الله .

كيف احرر التراجم

يألف المؤرخون كالبعقيلي ، والتامانارتي ، والرسموكي والحضيكي ، والكرامي ، والجشتيمي ، والايكراري . وابن الحبيب . منذ صاروا يكتبون عن رجالاتهم الايجاز المطلق في تراجم كل من يترجمونهم في كتبهم . ويكون ذلك غالبا ايجاز مخلا لا يستفيد منه المطالع الباحث عن النواحي التي ترتكز عليها معرفة حياة الرجال . فكنت اتألم كثيرا متى احتجت الى معرفة رجل من الرجال المذكورين في تلك المؤلفات التاريخية . حين لا اجد ما اتطلبه من الاحاطة بترجمة من أبحث عنه . ومن هنا حرصت كل الحرص ان اسهب في التراجم غاية جهدي حتى لا يقع غيري بعدي فيما وقعت فيه فالتزم ان اذكر كل ما استطعت اليه سبيلا مما يتعلق بنسب المترجم مع ذكر ما أعرفه من وقت الولادة ووقت الوفاة اولا تحت اسم المترجم ، ثم اذكر نسبه ومن له من الاساتذة في القرءان والمعارف . مع ذكر الامكنة التي احد فيها القرءان والمعارف (والمعهود ان يغفل اساتذة القرءان في التراجم) ثم اذكر اعمال المترجم من كل ناحية في التدريس وفي غيره مع التزام ذكر المدارس التي درس فيها . وذكر التلاميذ الذين اخذوا عنه — ان عرفتهم — ثم اذكر مختلف الانباء التي تتعلق بالمترجم ، والاطوار التي تطور فيها . والاثار الادبية ان كانت له . وبالاجمال اذكر كل ما أعرفه عن المترجم . الا انني من كتاب اليمين لا من كتاب الشمال — الا لبيان ما لابد منه — وان باشارة من بعيد ، ثم اختم بذكر أولاد المترجم وبمراثيه ان وجدتها . هكذا سرت في التراجم التي وجدت لها مستمدات تمدني بكل ما اريد . ثم ان كان المترجم من اسرة علمية اذكر جميع رجال أسرته . من اولهم الى ءاخرهم . بكل ما اعرفه عنهم نسبا ومولدا وأساتيذ وتلاميذ واعمالا وءاثارا ادبية . وان لم تكن الا تافهة كرسالة ساذجة او قوافي موزونة معربة ، فلذلك أمكن في الكتاب جمع رجالات الاسرة الواحدة في صعيد واحد. فيخرج القارىء من كل اسرة ، وقد الم بغالب احوالها حتى ليمكن للقارىء أن يعد مجموع كل أسرة مؤلفا خاصا ، فيكون كتاب (المعسول) مجموعة مولفات شتى ، بعدد ما يحتوي عليه من الاسر التي جمع شملها . وهي عشرات فعشرات .

انني أحرص في الكتاب ان اذكر الاحياء (*) بين الاسر ، متى وجدت لهم الماما بالعلوم ، بحيث يقرأون العربية ويكتبونها بلا لحن ، أو بلحن قليل مع مرورهم على المتون ، وان اسوق الاثار الادبية ، وان لم تكن ذات قيمة في نظر اصحاب الاذواق السليمة ، لا يفاتني ان ما لا يصلح للاديب الماهر ، يصلح للمؤرخ الماهر. التي يستنتج من اثر سقيم ما يدل عليه سقمه . فاذا بذلك يعود عليه مع غيره بفائدة عامة . عن آثار ادبية في عصر من العصور او في اقليم من الاقاليم .او لا يرى المؤرخ الماهر الحريص على الاستنتاج ان هذا من الفوائد العظمى ؟ والكتاب ليس كتابا مدرسيا ينتقى له . بل كتاب تاريخ يحشر فيه كل ما امكن كيفما كان جيدا او غير جيد . ما دام عربيا وان لم يكن من الروائع . فقد يستفيد المؤرخ من عبارات الرسائل الساذجة ما لا يستفيده من الرسائل

(*) كان هذا هو الجزء الثاني لكتاب (سوس العالمة) ولكن آثرنا ان نفرق بينهما ليؤدي كل واحد منهما مهمته الخاصة .

(*) صار غالب الاحياء اذ ذاك 1360 . في عالم الموتى الان 1380 هـ .

الرائعة ، كما انني اذكر الصوفية كما هم في بيئتهم وعند معتقديهم فان ذلك ان لم ينقل كما هو في بيئته لايفيد المؤرخ ، سواء كان ذلك على مبداي السلفي أم لا . وليت شعري كيف يعرف رجال عرفوا بخرق العوائد ، ان لم يذكر معيم ما عرفوا به .

الشلحيــون والعلــوم العربيــة

ينشا الفاسي في بيئة تتكلم اللغة العربية الدارجة، يسمعها من ابويه ومن الخدم ، ومن اقرانه في ملاعــب الازقة . ثم اذا دخل مكتب القرآن يجد في كتاب الله الفاظا لا يغيب منها عن فهمه الا بعض كلمات لا تستعمل في بيئته . ثم لا يكاد يدرك التمييز حتى ترى والــده يصاحبه الى مجالس العلم خصوصا بين العشائين(*) والى المساجد حيث يحضر خطب الجمعة . فيمكن له ان يفهم ولو تفهما بسيطا ما يقوله الاستاذ في مجلس علمه . والخطيب في خطبته . هذا اذا كان والده عاميا . واما ان كان الوالد احد العلماء . فان الولد يسمع ايضا في وسط الدار العربية الفصحى من بعض العلمــاء الزائرين لابيه . في اثناء المذاكرات مما لابد ان يفهم منه القليل ان لم يفهم الكثير . ثم اذا جمع القرآن او كـاد يدفع به الى تعلم اسس العربية الفصحى . فسرعان ما يتذوقها ، فلا تمضي عليه الا شهور ، حتى يعرف مواقع الكلام العربي المرتب بمرفوعاته ومنصوباته ومحفوظاته ثم لا يقطع الا شوطا او شوطين حتى ترى كمه يتفتح عن الزهرة . التي تتبعها الثمرة وشيكا .

هكذا يكون ابن فاس الذي ينشا في بيئة عربيــة علمية . فلا يمضي عليه في تلقي العلوم الا قليل حتــى يظهر بفطنة وذلاقة وفهم مكين . قبل ان يمضي عليه احيانا حتى سنة .

واما الشلحي البربري القح الذي يحيا في مثل جبال (*) جزولة الذي ينشا في بيئة لغته الشلحيــة البعيدة عن العربية ، فانه قد يحفظ القرءان ــ وكثير منهم لا يستتمون حفظه الا عند البلوغ او اكثر ــ وهو لا يدري حتى معنى الخبز والسمن والبصل والحصير والفاس ، لانه ينشا في اقليم منزو منكمش على نفسه ، قاما يزوره عربي اجنبي عنه ــ كما هو الحال في جبال جزولة قبل الاحتلال ــ وقلما يخرج منه اهله الا تجارا قايلين اذ ذاك . وهم الذين يلمون وحدهم بالعربيــة الدارجة ويبقى سواهم مرتطمين في لغتهم الخاصة فمن حفظ منهم القرءان لا يفقه من معناه اي شيء . ما لـم يلم بدراسة العربية في المدارس . وهكذا يكون حافظ القرءان الذي تبلغ سنه غالبا نحو ثمانية عشر عاما . فتراه اذا افتتح الجرومية يتحير في معنى (الكلام هـو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم يزداد تحيره يوم يغرق في (باب معرفة علامات الاعراب) فلا يأخذ كل ذلك الا تلقينا وتقليدا . وحفظا لما يكتب له (وقد يتم الجرومية لم يعيدها مع (الجمل) و (الزواوي) وهو لا يفقه ما يزاوله الا توهما . وترديد كلمات يحفظها كالتصريف في (اللامية) على قواعدها . يلقنه اياها الاستاذ تلقينــا ليجيب بها . وهكذا يسير كما يسير الاعمى المقود بيده وقد تمضي سنتان او ثلاث ، وهو بعد بعيد عن تفهم ما يتعاطاه حق التفهم (*) . حتى ان الاستاذ سيدي محمد ابن عبد الله الالغي يقول :

نديمك قبل ثـلاث سنيـــن
فــلا تهجرنــه اخيــر انيـــس

فــان الثلاثـــي مصـــدره
اجــل مــواضيــه غير مقيس

---

* هذا وصف لاهل فاس في الجيل الماضي حين تحتفل بمجالس العلم بين العشاءين كما كانت عليه كل الحواضر اذ ذاك .

* هذه الجبال لا عربي فيها ، وانما تسكن القبائــل العربية ، هوارة واولاد يحيا والمنابهة فيما حوالــي (تارودانت) في السهول . واولاد جرار حوالي (تيزنيت) ولم تزدهر العلوم العربية بالدراسة منــذ قرون الا في جبال جزولة ، حتى ان ابا الجشتيمي قال : لا يكون قضاة او عدولا في (تارودانت) الا من قبيلة املن من جزولة ، يعني أن ذلك كثير لا انه لا يقع الا ذلك .

* اكبر مؤخر للشلحيين عن الفهم الباكر هو التدريس بغير العربية . وقد كنا في مراكش ونحن لا نــدرس بالشلحة بل بالعربية الفصحى نرى فهما مسرعا منهم . وفي العهد الرداني اليوم وفروعه دليل قوي . فلا يكاد الشلحي يمضي عليه الا قليل حتى يتفتح فهمه بسرعة ، بل يظهر من ذكائهم نوادر عجيبة . نعم ان لعموم العربية الدارجة المنتشرة اليوم لسببا كبيرا في ذلك .

يقصد ان الاستاذ لا يتطلب من تلميذه تمام الفهم فيما يقراه من العربية الا بعد مزاولة ثلاث سنوات(*) فاذ ذاك فقط يؤاخذه اذا لم يفهم ما يزاوله . وضرب لذلك مثلا بالمصادر التي تبنى من الافعال الثلاثية) فان غالبها غير مقيسة بخلاف الافعال الرباعية فما فوق فانها مقيسة .

ذلك هو التلميذ الشلحي الذي تدرس له العلوم العربية باللغة الشلحية على ما هو العادة فيقرا الجرومية والالفية حتى مختصر خليل بلغته المعتادة (*) ، فمتى يا ترى يتمكن فى اللغة العربية ؟ حتى اذا تمكن من قواعدها بكثرة الاكباب سنوات فانه لا يتذوق لبابها وآدابها الا بعد جهود اخرى بين تلاوات كتب ادبية كثيرة خارج الدروس المعتادة ـ كما هي عادة بعض المدارس التي تكب على امثال هذه الكتب فى عطل الاسبوع يوم الخميس والجمعة والعواشر وبعد مدارسة امثال المقامات ، ولامية العجم ، ولامية العرب ، والشقراطيسية . وبانت سعاد ، والهمزية ، والبردة ، وقلائد العقيان وديوان المتنبي . والمعلقات السبع وامثالها مما يدرس فى كل المدارس او فى بعضها . ثم لا بيئة علمية الا فى المدارس او فى مجالس العلماء . اثناء الدراسة فقط . واما لغة التخاطب فهي اللغة الشلحية دائما .

فلتسمع الان ايها الفاسي ما يقاسيه صنوك السوسي فى تطلعه الى التمكن فى اللغة العربية . والتضلع منها . حتى يمكن له ان سافر من بلده الى (القرويين) ان يجاورك فى الاخذ عن اساتذة (القرويين) فربما لم يمض لك انت فى الدراسة الا سنتان أو ثلاث مع انه مضى له هو فيها زهاء عشر سنوات . ثم لا يفوق مستواك غالبا . والعلة فى ذلك ظاهرة بيناها غاية البيان . ومتى ظهر السبب ، بطل العجب .

(وبعد افلا تشكر هذا الجزولي المكب على العربية وآدابها حتى استطاع ان يتذوق منها بعد سنين كثيرة فى فقر واقلال فى باديته القاحلة . ما تتذوقه أنت ، وانت فى اعظم حاضرة تجبى اليها ثمرات كل شيء . افلا ينبغي ان تعتبر ما كان يلاقيه حتى استطاع ان يتطلع الى التعبير بالعربية وان يقول فيها ما يقول ، ميدانا عظيما تجلت فيه التضحية فى اعلى مجاليها .

ثم لا يحسبن القراء اننا نشيد بكل ما فى هذا (الكتاب) من منظوم ومنثور . فلسنا والحمد لله من اهل الغباوة حتى تحسب الجمرة تمرة . والقضة (*) فضة . وانما كل مقصودنا ان يدرك القارىء بتمهل أن ما فى هذا الكتاب صدر عن اناس شلحيين . تربوا فى غير العربية . ثم لا يتصل سلك احدهم بالعربية الا بعد جهد جاهد ، فان احدهم لا يزال يتخطى من الاجرومية فالتي تتلوها من الكتب المدرسية شيئا فشيئا .. فهو ياخذ من القواعد العربية بلسان ابويه . ثم لا يزال يتعالى الى العربية فتتسرب اليه قليلا قليلا بمقدار ضئيل . حتى يتأتى له بكثرة المزاولة وشدة الامعان ، وبطول الحرص ان يسلس له قياد تلك اللغة ، وأن لا تحجب الفاظها المعاني التي تقمصتها ، ثم ان كان قدر له ان يكون كاحد هؤلاء الادباء المذكورين فى هذا الكتاب . فانه يسير قدما . يواصل الاسئاد بالتأويب . ولا يفتأ عن سير الميقاب (*) حتى يتبجبج اللجج . ويسبح فى العباب ، ثم لا يقنعه الا ان يتسربل شملة عربية ، ويستلئم فكرة مضرية . وان يتصور انه من جبلي (نعمان) فيستخلص اليه نسيمه . او انه احد بني عذرة فيتهالك على نفسه هياما ان توهم انه سنحت له احدى الحسان . او انه عنترة العبسي فيلحظ جلده كانه خافية الغراب . ويرفع عقيرته وقد اغلظ من صوته فينشد كما يحسب ان عنترة ينشد كذلك :

ولقد شفى نفسي وابرا سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر اقدم

---

* قد تنخرم هذه القاعدة فى بعض الشلحيين الذين ينشأون فى الاسر العلمية ، ولكن العبرة بالكثرة الساحقة وهذا امر نشاهده هناك الى الآن .

* والعجب أن نحو العربية يقرا ويفسر بالشلحة . كما يقع مثل ذلك بالفرنسية . فقد حدثني الوزير المعمري انه ما قرا نحو العربية اولا الا بالفرنسية .

* القضة : الحصاة .

* الاسئاد : سير الليل كله . والتاويب : سير النهار كله . وسير الميقاب : السير فى الليل والنهار معا بلا نزول .

او أنه أبو نواس فيغازل الكاس والطاس . ويتأتي بالسين ان جرى على لسانه ذكر محبوبه عباس (*) او انه ابن زيدون فى أكناف (الزهراء) وهو يراسل ولادة بقواف رقيقة . ومعان تفعل بالالباب ما تفعل الخمر)

هكذا يعود ذلك الشلحي عربيا مبينا . وقد سلخ عنه مسلاخ ابويه ، وعادات قومه ، ونسى كل مايسامته او يكون على ايمانه وعن شمائله من الشلحيين والشلحيات . يطير كل ذلك عنه. كما طار عن جده الاول كفره يوم حلق دين الاسلام عليه باجنحته البيضاء ، وقد اعار امس للعرب قلبه وشعوره على عهود أجداده . ثم اتبعه اليوم لسانه وذوقه فيستطيب السبح فى بحور اشعارهم وآدابهم . كما يستطيب الصب السبح في مغازلة من تيمت فؤاده وملكت عليه مشاعره . كاين من شلحي جزولي تراه فى شملته السوسية وفى سحنته الجزولية . تكشف لك عما فى طواياه . لرأيت أديبا عربيا يمد اليك راحته ليصافحك ، كأنما انتساخ الارواح صحيح . فجالت ارواح بعض ادباء العربية فى العالم . فلم يطب لها ان تتقمص الا أشباح بعض افراد من السوسيين الكرام ومن تختارهم الارواح من عليها . فتعود بهم ثانيا الى هذا العالم . أفلا تختارهم انت ايها القارىء الذي تحدر جسمه من اصلاب عربية حقيقية ، فتقدم اليهم يدك . فتشكرهم على ما قاموا به من الجهود الجبارة ، حتى حرصوا على لغة آبائك العربية ، فحنوا عليها حنو المرضعات على الفطيم ؟

لا يهمنا من هؤلاء الادباء انهم مجيدون فيما يقولون او غير مجيدين ، بل هل كل ادباء الحواضر يجيدون دائما . فالاجادة رهن الحظ ، ومن بنات البخت وكم من اديب كبير عالم بالفنون التي اتقنها حتى فى الحواضر لا يحسن أن يضم كلمة الى كلمة عند مناجاة ربة القريض. كما هو المعتاد عن المفلقين فى القريض ، ولهذا ينبغي أن تكبر من هؤلاء الادباء الجزوليين هذه الهمم المتحفزة الطيارة التي تقطع أجواء فيحاء واسعة ، قبل أن تطل على ما هو الادب العربي الذي كان منها بمنزلة السماء السابعة ممن هم فى الارض السفلى .

لاشك فى ان غالب هؤلاء أدباء ، ما دمنا نحد الادب بانه الاطلاع الواسع على اللغة العربية . والنفوذ الى روحها المكنونة . والاتصاف باوصافها تخلقا ، حتى يكون خلقا راسخا ، ذوقا واريحة وشعورا . فاننا ما دام هذا هو الادب العربي ، وان المتصف به هو الاديب العربي . نحكم بان غالبهم مع تفاوت أقدارهم ادباء . بلا شك يعترينا فى مجموعهم ان كان بعض شك يعترينا فى بعضهم ان سحب عليه وصف كاتب بارع ، او شاعر مفلق، او علامة كبير .

قد يتراءى من بين بعض عباراتهم اختلال فى التراكيب . وضعف فى التعابير ، وهلهلة فى النسج ، ولكن لا ينسين القارىء ان هؤلاء المذكورين فى هذا الكتاب متوزعون على عدة قرون ، كما لاينسين ان الادب العربي بـ (سوس) جزء متصل دائما بوساطة (القرويين) و (الجامع اليوسفي) و (تامكروت) بالادب العربي المغربي العام مدا وجزرا ، افلاقا واسفاقا فليدرس الادب المغربي العام فى هذه القرون كلها فى جميع اجزاء المغرب وليدرس هذا الجزء فى ضمن ذلك. ثم لا علينا ان صدر حكمه لهم أو عليهم ، فان الجهود المبذولة ــ وهي وحدها مفخرتهم الوحيدة ــ لا يمكن ان ينساها هذا الحكم . وان أمكن ان يكون عليها . فمهما بلغ ان يلسعها من الشدة والعنف ما يلسع ، فان جهودهم لا تنسى فى اتقان العربية وعلومها وآرائها . وعلى المرء ان يسعى وليس عليه ان يساعده الدهر . ومن بذل جهده فقد أعذر .

على أننا لو قدرنا ان أمة من امم الهند او امريكا او اوروبا اعتنى افرادها من عند انفسهم باللغة العربية كما اعتنى بها هؤلاء الشلحيون الاقحاح حتى برز فى علومها من بينهم فى اعصار متتابعة كثيرون تحصيلا وتاليفا وآدابا وشعرا . ثم احصى باحث علماءها فى ذلك ، فوجدوا نحو اربعة (*) آلاف ، والمؤلفون فى علومها عشرات فعشرات فعشرات ، ثم ألقيت نظرة عجلى على ادبائها فحشر ممن تيسر منهم أن توضع اليد على الآثار التي بها يكتبه القدر ويسير الفوز فيلفون عشرات فعشرات، وبينهم نخبة منتقاة منتخلة ممن مروا في قرون قليلة . ولعل اضعافهم موجودون . ولكن انما هي جولة قليلة فى زمن قصير تحت شرط خاص ملتزم . من رجل ليست يده بطولى علما ومتناولا . لو قدرنا

(*) قال ابو نواس فيما اسمه عباس :
وشادن سألت عن اسمه ، فقال لي باللثغ عباث
فصرت من لثغته الثغا فقلت اين الكاث والطاث ؟

(*) فى يوم من أيام المنفى الطويلة ، جلست أعد علماء سوس فى كل القرون ، فجزرتهم بهذا القدر .

امة ما هكذا . ثم خفي ازمانا عن الاعين كثير مما تنطوي عليه هذه الامة من آثار العروبة . وءايات لسانها الذلق. ثم قام اليوم احد الباحثين فاكتشف لنا ما اكتشفه هذا الكتاب المتواضع . فليت شعري كيف يقابل عند القراء في هذا العصر الذي تقدر فيه جهود الامم . ويشار فيه بنبوغ النوابغ ؟ فما هؤلاء الشلحيون وأعمالهم تحت لواء العربية الفصحى . وما قاموا به خير قيام قرونا متوالية بلا ملل ولا فتور . الا مثل امة من تلك الامم فاذا لم ترسل صيحة عالية تعجبا واستغرابا تمثل امام الاعين جهود ادبائها المستعربين كما لاشك انها ترسل مثل تلك الصيحة لو ظهر مثل ذلك فجأة من احدى تلك الامم . فما ذلك الا اغماض في الحق. ونكران مجهود بعض الامم دون بعض واشادة بقوم . واحتقار امثالهم من اقوام آخرين .

وختاما اقول ان كل طلبتنا وراء هذا العمل ان يعرف ان هناك في ناحية الجنوب المغربي لعلوما عربية، وآدابا مسترسلة ، منذ اوائل القرن الخامس . يعتريها تباعا للحركة العلمية المغربية العامة جزر ومد ، وقوة وضعف ، ولم يزل ذلك مسترسلا الى الان . وما هذا المجموع في هذا الكتاب الا كعنوان لكل ما يروج في عصور مختلفة . خصوصا في الاجيال الاخيرة ، فاذا قراه قارىء او قرأ بعضه ان لم يتركه ذوقه العصري ان يقراه كله. او تصفحه ورقة ورقة ، كما يفعل اناس غير قليلين من انصاف المتعلمين ، او القى نظرة على عنوانه . ثم القاه كما يفعله بعض من أولعوا بمس كل كتاب في دكان (الكتبي) ثم لا يشترون اي كتاب اذا قراه احد هؤلاء كله او بعضه ، ثم القاه استثقالا لادبه القديم . أو تصفحه متمعلم أو لمسه من اولع بصدع راس (الكتبي) ثم ادرك أن هناك منذ اوائل القرن الخامس في (سوس) علماء وادبا عربيين كانوا يعيشون بالهواء المغربي في قرون مختلفة كما عاش امثالهم من العلماء والادباء في الحواضر والبوادي التي في ضواحيها ، وتحت احضانها . اذا ادرك القراء هذا ، وادكروا من ورائه أن من في تلك الزاوية الجنوبية المغربية شاركوا ايضا في النبوغ المغربي في العلوم العربية وآدابها . فان ذلك هو مقصودي الوحيد الذي انقطعت له منذ سنتين .

ثم لم يبق لي الا كلمة ان لم تكن في ذهن بعض من يطالع هذا الكتاب . فانه يتألف ان وصل بعض من كانوا عاشوا في هذا الجيل ، ثم درجوا اخيرا . لانه يصب عليهم جام غضبه حين لا يزالون عاضين بالنواجد على ما يزعم انه أدب امشاج كموميا . لا روح فيه الا المحاكاة والقاء الالفاظ في بحور العروض بترصيف او بلا ترصيف ويقول قد كنا نقرا ذلك لمن عاشوا قبل هذا الجيل فنقبله منهم . لانهم عاشوا في عصور لا تعرف الا ذلك . ومن يكلف احد ابنائها ما ليس في مستطاعهم من نبوغ في عصورهم . وعلو عما كان معهودا بين أيديهم من غير ان يبعثهم الى ذلك فكر عال ، وشعور وثاب وقريحة جياشة ، فقد حكم عليهم بالمحال ، وحاول منهم ان يطيروا بلا جناح ، واما من عاشوا في هذا العصر الذي انبعثت فيه الاداب العربية كما هي في عصرها الذهبي العباسي . وصرخت بصرخاتها الصاخبة ، حتى ارتجت بها المسامع ، وتهاوت بها من الادب المهلهل الفقاقع . وحتى ابصر الاعمى الصراط المستقيم ، وسمع حتى الاصم كيف يكون الادب العربي ابن الشعور الحي . لا ابن افكار ميتة معانيها كالودع الملقى في سيف كل بحر ، وفي متناول كل يد لا قيمة لها . ولا يهتبل بالتقاطها عاقل ذو عينين . من عاش في عصر هذا ادبه المتواطأ عليه ، ثم لا يزال يغمض عينيه ، وينكر الشمس، وينسج بخيوط العنكبوت ، فانه لا يستحق الا ان يرفس من قراء هذا العصر الحاضر بركلة يتدحرج بها الى الدرك الاسفل . اليه يقود مثل ذلك الادب المنحط اليوم .

ذلك بلا ارتياب ما سيقوله بعض القراء الحاذقين او المتحذلقين او جلهم ، ولكنني تنازلا لهم عن فكرتهم وان لم يكن بعضها الا خطلا . اقترب من اذن احدهم فالقي اليه سرا . لئلا يسمعنا سامع من هؤلاء السادة الذين احترم شعورهم . وكان فضلهم علي عظيما ، فاقول : ان اهل تلك الناحية لا يزالون الان 1360 هـ . بعيدين عن عذاب تانيبك . لان البعثة الى الان لا تزال متوقفة دونهم او لم تحفظ قوله تعالى ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) فليلحقوا باصحاب الفترة كلهم اجمعون اكتعون ابتعون ابصعون الا ما كان من ثلة منهم كانوا هاجروا فراوا كيف ترقى الادب العربي اليوم واما ما عدا هذه الثلة ممن كانوا يعيشون في هذه الجبال، فلا يزالون بعيدين عن تأثير روح شوقي وحافظ والزهاوي والرافعي والرصافي والمنفلوطي في الاداب العربية اليوم والواجب ان يقابل كل من في تلك الجهة الدارجين منهم والاحياء بشكر جزيل على محافظتهم على اللغة العربية الفصحى في ذلك الاقليم . وعلى الادب العربي من حيث هو الادب العربي . فان الزمان كفيل اذا اراد السعد ان يستمر الادب العربي في (سوس) بتلقيح الفكر الادبي هناك،بروح حية وثابة . حتى يترقى التعبير. ويتفوق هناك الشاعر اليوم . كما تفوق سلفه امس ، وتباشير فجر ذلك على الافق . وحسبنا

بالبونعماني والتناني والرداني (※) وامثالهم دليلا ناصعا.

هذا ما يجب نحو اولئك الفضلاء المستعربين الكرام الذين جعلوا مناغاة العربية هجيراهم . وموضوع اسمارهم ، وعاهدوه معاهدة مستمرة الوفاء. لم يخسها الاباء ، يضحي الاستاذ بجميع عمره فى تعليم التلاميذكما يضحي التلميذ بشرخ شبابه فى اتقان الفنون مع المحافظة على المثل العليا الاسلامية .

تذييل

ذلك ما كتب عن (المعسول) يوم كتابته الاولى . وظن ان اتمام ما ينقصه ربما يكون على طرف التمام ، وان تنقيح تراجمه المكتوبة . وزيادة تراجم اخرى امر سهل ، لا يستدعي جهودا اخرى . ولا مواد اوسع . ثم لما افرج عني الافراج الاول . فى (سوس) وحدها مختتم 1360 هـ . فصرت اتنقل فى الاسفار السوسية التي سجلت رحلاتها فى كتاب (خلال جزولة) وقفت على ما أزيده فى التراجم التي كنت كتبتها فى تلك العزلة. كما وجدت بحرا زاخرا من تراجم اخرى يدخل اهلها تحت شرطي فى الكتاب . فملات ما بين 1360 هـ . الى مختتم 1364 هـ واندغمت فى الدراسة مع طلبة جدد ، اجتمعوا حولي فى (باب دكالة) بقي الكتاب فى حقيبة كبرى منسيا يندب شجوه . حتى كانني لم اكتبه ، فلا يجري ذكره على لساني ، ثم لما دهمت الازمة سنة 1370 هـ ، وانتقلت الى البيضاء صرت التفت الى ما فى الحقيبة فازيد الكتاب اشياء ظفرت بها جديدا . وحين غام الافق وكان الاعتقال على الابواب ، وخيف من تفتيش الشرطة الفرنسية . نقلت كل مخطوطاتي فى حقائب ، ومن بينها حقيبة (المعسول) الى انسان امين ، ثم اعتقلنا فكان ما كان . وحين رجعت من الاعتقال ، كان اول ما اشتغلت به وشغلت به من يلتفون حولي . كالاستاذ سيدي احمد الاقاوي ـ لسان الحق ـ والاستاذ الحوزي سيدي محمد بن هماد الكدميوي . والاستاذ سيدي محمد بن مبارك السوسي والمراكشي. ان اكببنا على تخريج كل مسوداتي فى ذلك المنفى . ومن بينها (المعسول) ، وقد عزمت على ان انتهز الفرصة السانحة من خلوي من الدروس ، فقطعنا اشواط تلك السنة فى ذلك العمل . ثم جاء الاستقلال . فدهمت الوظيفة على غرة. فكنت فينة بعد الفينة ، التفت اوقات فراغي الى عملي الخاص هذا ، فاذا به قد اشرف على التمام . فاذ ذاك خطر فى بالي ان الكتاب اذا لم يطبع فى حياة صاحبه ، وتحت اشرافه . فانه يكون عرضة للضياع . وهذه مجلدات بقيت من تاريخي استاذينا الكبيرين : المراكشي والمكناسي . فاين هي الان ؟ وهل يحرص على انجاز اكمال المؤلفات الا من اسسها من اول يوم . وقدرها قدرها . وعرف مواقع الاغلاط فيها. وما الطبع تحت نظر المؤلف حقيقة الا النظرة الاخيرة التي يتم بها العمل . على ان هناك امورا ازيدها كلها الان من جديد . والكتاب تحت الطبع مثل حياة (القائد الناجم) التي زيدت كلها اخيرا . والمنة لله اولا وآخرا.

(وبعد) فليعلم القارىء انني اعرف الناس بكل ما يستهدف له المؤلف ان نشر مثل هذا الكتاب . فى مثل قطرنا هذا . فى مثل وقتنا هذا . فانه سيسمع ما لا يحب كل ذي قلب حي ان يسمعه . ولكن ذلك كله هين فى سبيل المصلحة العامة ، ولكل ورد شوك ، وازاء كل عمل مادح وقادح . على ان فى اخراج المؤلف لكتابه وهو حي لمنافع اخرى. فانه هو بنفسه سيستفيد من التنبيه على اغلاطه من القراء ، وخصوصا ان كانت اغلاطا لا يتسامح فيها . ومنذ ايام بعد نشر (الجزء التاسع) توصلت من الاستاذ الكبير (لسان الحق) سيدي احمد الاقاوي ، برسالة ينبهني فيها على اغلاط واضحة فى ترجمة استاذه سيدي عبد الرحمن الفاسي . فقد ذكر انني غلطت فى ترجمة الفقيه سيدي عبد الرحمن الفاسي الاقاوي فى ثلاث نقط اولاها حين جعلته اصغر من اخيه القاضي ، مع انه اكبر من اخيه . والثانية حين قلت انه اخذ عن اخيه وعن الاستاذ الاخر من (اقا ايكرن) فى المتون مع انه انما اخذ عن الاستاذ سيداتي الجاكاني. والثالثة انني نسبته لقرية (تاوريرت) مع انه من اهل قرية (تاكاديرت) ذلك ما نبهني عليه الاخ المذكور ، جزاه الله خيرا . ولا احب الى من ان ينبهني كل من وقع على خطا مني لاستدركه . ولا فائدة فى نشر الكتاب فى حياة المؤلف الا ذلك . وقد قال عمر : رحم الله من اهدى الي عيوبي)

والكتاب كالمكلف لا يرفع عنه القلم ولو طبع .

الغث والسمين فى الكتاب

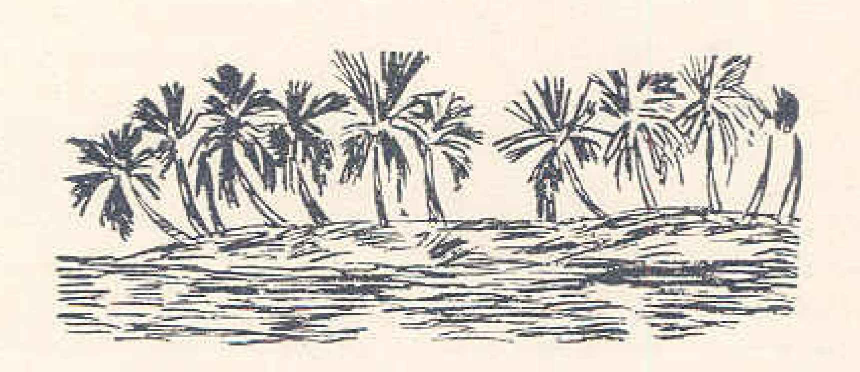
ان فى كل كتاب ـ وفى مقدمتها كتاب (المعسول) ـ غثا وسمينا ، ورخيصا وثمينا ، وصدقا ودرا . وتبنا وحبوبا . ذلك ما لاريب فيه ، زيادة على ما سيحتوي

※ ولم اكن أدري وانا أكتب هنا أن النابغة العثماني شرقت شمسه فى الادب الحي ، فى هذا الوقت نفسه .

عليه من اخطاء ، عن جهل او عن نسيان . واختلاف بعضه عن بعضه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكن بعد اقرارنا لكل هذا ؟ الا تزال هناك اسباب اخرى . وربما كان التمييز بين الغث والسمين من مسبباتها ؟ او ليس أن من ليس فى اقليم اذا كان يقرا بعض تفاصيل اخبار محلية ، يعد ذلك كله من الغث ؟ او ليس من لم يكن باديب يستثقل ما يعده الادباء من الروائع ؟ او ليس ان من هو اديب محض لا يستلذ كل ما لا يمت الى الادب ، واخبار الادباء ؟ خصوصا ما يتعلق برؤساء وصوفية يزخر بهما مثل هذا الكتاب ، او ليس ان من له ذوق عال لا يستطيع ان يسمع ولو منظومة واحدة من غالب ما فى هذا المجموع الذي سقناه للمؤرخ لا للاديب ؟

ان النقطة التي تنطلق منها النظرة التي تفرق ما بين الغث والسمين هي نفسية القارىء نفسه غالبا .

ولذلك لا اقدم هذا المجموع الا للمؤرخ وحده . الذي يستنتج من السقيم ، كما يستنتج من الصحيح . ويتشوق الى ان يعلم عن ذلك الاقليم السوسي الذي هو احد اقاليم المغرب كما يود لو يعلمه عن جميع الاقاليم المغربية . واما غير المؤرخ . فانه يعرف وينكر ، ويقبل ويرد ، ويستحسن ويستهجن ، ويستغث ويستسمن ، ولكنه ان اقر ما ذكرته آنفا من مقصودي فى جمع الكتاب ـ على عواهنه ـ فانه سيجدني موافقه فى كل ما يقر عليه حكمه . ومن باع وبين عيوب مبيعه فانه غير ملوم ولو انصف القراء لنظروا الى الصحيح لا الى السقيم ، والى الصواب لا الى الخطأ . لان الانسان مجبول على الاخطاء الا من عصمه الله ولهذا اعلن انني لا ابيع كتابي على البراءة ، واستغفر الله مما اخطأت فيه فيما بيني وبين الله ، او بيني وبين الناس . وما انا الا بشر اصيب واخطىء . والكمال لله :



حول مقال أبو الحسن الشاذلي

تعقيب: للأستاذ سعيد اعراب

لقد حبب الي ان اقرأ عن اولئك المغمورين الذين طواهم التاريخ، وطوى معهم علومهم وافكارهم، وما اكثرهم في البادية، وفي كل بلد ومكان، ففي العصر الشاذلي مثلا نجد الشاعر الصوفي نجم الدين بن اسرائيل، الذي عاصر ابن الفارض، واستقيا من نبع واحد، اصبح وكأنه نكرة غير معروفة، وشيوخ التصوف، او الاقطاب على حد تعبيرهم، الذين زارهم ابو الحسن المراكشي في بادية الصعيد والشام .. وتحدث باسهاب عن مناقبهم وزواياهم .. في كتابه « مناقب الاولياء » وصفة سلوك الاصفياء – في حاجة الى دراسة كمدارس لها منهجها وطابعها الخاص.

وفي المغرب نجد انفسنا امام اسماء لامعة، وشخصيات لها مكانتها ومقامها المرموق كابن مشيش الذي انبثقت منه الطريقة الشاذلية، واستاذه ابن المديني، دفين ترغة، ومن اليهما، لكن معلوماتنا عنهم جد ضئيلة لا تكاد تذكر، والشاذلي نفسه، كاد يلقى نفس المصير لولا انه خرج من قفص البادية، وزار بعض الحواضر في المشرق والمغرب، على ان حياته الاولى لا تزال مغمورة، ومجهولة بالمرة لا نعرف عنها لا قليلا ولا كثيرا، وستبقى رهنا بذمة الزمن حتى تتجه انظار الباحثين الى البادية، ويكشفوا الستار عن معالمها، ويدرسوا وثائقها، ورسومها وبيئة كل قبيلة وبلد، ولعل ابن خلدون هو المؤرخ الوحيد الذي فتح لنا هذا الباب وقدم دراسات مستفيضة ومدققة عن قبائل المغرب وطبائعها واحوالها، والدول التي مرت بها .. ولكنها خطوة اولى يجب ان تتلوها خطوات، وهنا ينبغي ان نتساءل: ماذا كان موقف المؤرخين العرب، والمغاربة بوجه خاص، من هذه الدراسات؟ ولذا ما ان طلع مقال الدكتور الشال في هذه المجلة الغراء (دعوة الحق) (✱) وهو من هو في علمه الغزير، واطلاعه الواسع – عن ابي الحسن الشاذلي حتى بادرت لقراءته، لعلي اجد فيه ضالتي المنشودة، وتتبدد تلك الغيوم التي طالما خيمت على مخيلتي، فقرأت المقال، وعدت الى قراءته غير مرة، وانتظرت بكل تلهف القسم الاخير منه، وربما كنت اول قارىء له، والواقع اني استفدت من هذا المقال كثيرا، لكن استوقفتني امور، وبعضها من البداهة بمكان، فاحببت ان اراجع الدكتور فيها، لعله يزيدها وضوحا وبيانا، وتتلخص في النقاط التالية:

1) ولد ابو الحسن الشاذلي في غمارة، ولكن في اي مكان؟ والى اية قرية ينتمي؟

يذكر الدكتور انه ولد في قرية غمارة، وينتمي الى قبيلة عمران (عموان) التي ينتمي اليها ولي الله عبد الرحيم القنائي .. والتاريخ لا يعرف غمارة كقرية، بل كقبيلة من قبائل مصمودة، وبعبارة ادق، فهي اقليم كبير في شمال المغرب يمتد على ساحل الابيض المتوسط من طنجة الى حدود وادي ملوية (الريف)، ويتصل على ضفة المحيط بقبائل برغواطة (اهل تامسنا) (✱).

وتختلف حدود غمارة باختلاف العصور، والظروف السياسية، ففي عصر الشاذلي الذي نتحدث عنه يذكر المراكشي في المعجب ص 251: (انها قبيلة لا يكاد يحصرها عد، ولا يحدها حزر لكثرتها .. ومسافة بلادها طولا وعرضا نحو اثنتى عشرة مرحلة ..) (✱) ويذكر البكري والادريسي انها تبتدىء من واد راس (قرب تطوان) وتنتهي بانتهاء بلاد بادس، فيخرجان منها سبتة وطنجة (✱) ويقول ابن خلدون في صدد الحديث عن غمارة، وقد اطال في ذلك: (وهم شعوب وقبائل اكثر من ان تنحصر، والبطون المشهورة منهم: بنو حميد ومتيوة وبنو نال واغصاوة وبنو زروال ومجكسة (بني حسان) (✱) ثم تفرعت الى قبائل اتسع بعضها حتى

✱ راجع العدد التاسع من السنة السادسة.

✱ ابن خلدون، كتاب العبر ج 6 ص 435 ط لبنان انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة (غمر).

✱ انظر كتاب الاستبصار ص 190.

✱ البكري المغرب ص 100 الادريسي نزهة المشتاق 170.

✱ كتاب العبر ج 6 ص 435.

استقل بنفسه ، وتجرد عن اسم غمارة ، واندمج البعض الآخر في قبائل الريف ، حتى اصبحت غمارة الى اليوم لا تطلق الا على تسع قبائل : بني خالد بني زجل بني زيات بني سلمان بني منصور بني بوزرة بني جرير بني سميح بني رزين .

اما قبيلة عموان التي يذكر الدكتور انه ينتمي اليها ابو الحسن الشاذلي فلا وجود لذكرها قديما ولا حديثا عند المؤرخين المغاربة ، والقبيلة التي ينتمي اليها الشيخ عبد الرحيم القنائي ــ هي قبيلة غمارة وقد ولد بقرية ترغة ــ بني زيات ، شرقي تطوان تبعد عنها بنحو 60 كلم .

وكانت غمارة في هذا العهد ، حسب التقسيم السياسي ، من اعمال سبتة (✵) ولذا يقال في ترجمة القنائي انه ولد في احدى قرى سبتة (✵) ولا ادري من اين اتى السندوبي واضرابه بهذا الاسم (عمران) ولعله تصحيف عن كلمة غمارة ، فكلاهما يتألف من خمسة احرف ، صحفت الغين المعجمة بالعين المهملة والالف بالواو والراء بالالف والهاء بالنون ، وما اكثر مثل هذا التصحيف في كتابات اخواننا الشرقيين ، وهم معذورون كل العذر ، لبعدهم عن هذه الديار ، ولانهم يعانون اشد ما يعانون في قراءة الخط المغربي ، ولكنه الواقع المؤلم .

بقي ان نذكر المكان الحقيقي الذي ولد فيه ابو الحسن الشاذلي ، والذي تناقله الناس ابا عن جد بقبائل غمارة الى اليوم ، ونورد هذه القصة كما يرويها بعض المؤرخين من ابناء هذا البلد ، باسلوبه المهلهل ، حفظا لامانة التاريخ ، قال السيد الطاهر الجريري في كتابه (بهجة ايضاح الكلام ، في مناقب الحاج عبد السلام) : ولد ابو الحسن الشاذلي ببلد غمارة ، قبيلة بني سميح مدشر تازمورت ، وداره هناك صارت خربة في خلوة ، قال واعلم اني كنت يوما جالسا بزاوية وزان ، مع نائب الشيخ مولانا الطيب ، السيد التهامي الوزاني ، وكنا نتحدث مع بعضنا في امور ، حتى ذكرنا ولادة الشيخ ابي الحسن ، فقلت له يا سيدي ، ولد بغمارة ، قبيلة بني سميح ، فقال لي كنت يوما في قبيلة بني سميح ، بمدشر تازمورت جالسا مع رجل كبير السن ، من المدشر المذكور ، يعدها حزر لكثرتها .. ومسافة بلادها طولا وعرضا نحو اثنين فذكرنا ولادة الشاذلي ، فقال لي الرجل انظر خربة داره في هذه الخلوة ــ فاذا بها دار مخربة قديمة ، في خلوة هنالك .. (✵) وقد يأخذك العجب من رواية تعيش على السنة الناس اكثر من ثمانية قرون ، ولكنها الحقيقة ، والحقيقة لا تموت ، اني لم اقف عند هذا النص ، بل اتصلت بكبار الشيوخ والعلماء بهذا البلد ، فسألتهم عن اصل هذه الرواية ، فاكدوا لي ذلك واعتبرتها نقطة البداية لمواصلة البحث .

وتقع قرية تازمورت هذه ، بقبيلة بن سميح ، احدى قبائل غمارة البحرية ، في الجنوب الشرقي لتطوان على بعد نحو مائة وعشرين كلم ، ومن علماء هذه القبيلة ابو عبد الله مسرف النالي ، والصيغر المحمدي نسبة الى تلا محمد ، وهما من اهل الفضل والصلاح ، وعلى قدم راسخ في التصوف والمعرفة ، رحلا الى الشرق ، وحجا ، وطوفا على كثير من البلدان .

2) واذا كان ابو الحسن الشاذلي ولد بغمارة ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن .. فلماذا ابعد النجعة ، ورحل الى تونس ؟ وفي المغرب مدن كبيرة ، مثل فاس ومراكش وسبتة ، وهي غاصة بالعلماء وشيوخ التصوف ، فهو ــ كما يقول الدكتور ــ لم يتجه اليها ، ولم يأخذ عن واحد من علمائها .. ان الروايات التاريخية تثبت ، بل تكاد تجمع على ان اول من اخذ عنه ابو الحسن طريق القوم ، هو ابو عبد الله بن حرازم ، وهو طبعا من شيوخ فاس ، ورجال التصوف لهذا العهد ، اخذ عنه قبل ان يرحل الى تونس ، ولابد ان يكون قد اخذ عن آخرين سواء من اهل الفقه والحديث ، وعلوم العربية ، قال الشيخ علي سالم عمار في كتابه القيم : ابو الحسن الشاذلي ج 1 ص 49 (ولد ابو الحسن الشاذلي سنة 593 في غمارة ، ونشأ فيها ، واتم حفظ القرآن وتجويده بها ، وتلقى علومه الابتدائية على شيوخها ، وحينئذ تاقت نفسه الى سلوك طريق القوم ، فاخذ عن ابي عبد الله ابن ابي الحسن ابن حرازم .. ولبس منه خرقة التصوف ، وسلك على يديه بادىء الامر ، وزاد يقول ص 61 وابو عبد الله هذا هو اول من تتلمذ عليه ابو الحسن ، واول من لبس منه خرقة التصوف ، واول من تعلم منه طريق القوم .. وذلك قبل ان ينتقل الشاذلي الى تونس) .

✵ المراكشي المعجب ص 255 .
✵ ابن قاضي شهبة في الاعلام .
✵ اطلعت على هذا الكتاب عند بعض صفوة المؤلف وهو مخطوط في مجلد انظر ورقة 40 منه .
✵ من ذلك ما وقفت عليه للفقيه مشال الكبير نزيل قرية تازمورت وانا اكتب هذه السطور انه قال ــ تعليقا على بعض فتاوي ابي الحسن الزرويلي ، ولد ابو الحسن الشاذلي تازمورت قبيلة بني سميح ، ثم انتقل الى بني زرويل بلد ابي الحسن الزرويلي ، وهناك ظهر سره ..

3) والعصر الذي نشأ فيه ابو الحسن الشاذلي ، وعاشه بالمغرب ، هو عصر الموحدين ، ولكن هل كان عصر التزمت وخنق الحريات .. كما يحلو لبعض المؤرخين ان يصوروه بذلك ؟

لا اعتقد ذلك صحيحا ، فالعصر الموحدي هو العصر الذهبي ، الذي ازدهرت فيه الحضارة العربية بالمغرب ، واتسع نطاق الفكر الاسلامي (وكانوا – والحق يقال – اشبه الدول الاسلامية بالعباسيين ، في الاخذ بضبع العلوم الحكمية ، وتنشيط رجالها ..) (✱) ويعقوب المنصور الذي يرمى به تحجر الفكر ، وضيق الافق .. هو الذي كان من شدة عنايته بافذاذ هذه الطبقة – ان سمع طبيبه الخاص ، ابا بكر بن زهر ، يتشوق الى ولد له صغير :

« ولي واحد مثل فرخ القطا صغير تخلفت قلبي اليه
وافردت عنه فيا وحشتي لذلك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكي علي وابكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه الي ومني اليه »

فيرسل المهندسين الى اشبيلية ، ويامرهم ان يحيطوا علما ببيوت ابن زهر ، وحارته ، ثم يبنوا مثلها بحارة مراكش ، فيفعلوا ما امرهم في اقرب وقت ، وتفرش بمثل فرشه ، ويجعل فيها مثل آلته ، ثم يامر بنقل عيال ابن زهر واولاده ، وحشمه واسبابه ، الى تلك الدار ، فيحتال على ابن زهر ويدخله اليها ، فاذا ولده الذي تشوق اليه يلعب في البيت ، فيحصل له من السرور ما لا مزيد عليه، ولا يعبر عنه..
فهل سمع بمثل هذا في اكرام العلم والعلماء ؟ وهل بقيت بعد غاية في هذا السبيل ؟ اما ما كان بدا منه من نزوة في حق ابن رشد بعد اكرامه ، واحلاله المحل اللائق به ، فيرجع السبب فيه الى امر سياسي محض ، كما فصل ذلك المؤرخون، على انه تدارك ما فات وعاد ، فاصلح ما فسد (✱) .

اما التصوف فالموحدون هم الذين رفعوا عنه الخناق الذي طوقه به المرابطون ، ولم يبق للفقهاء على اهله تلك الصولة ، فظهر جماعة من الصوفية الكبار ، اصحاب النزعات الفلسفية ، وابثت مذاهبهم المختلفة في الناس (✱) كابي الحسن المسفر وابي العباس السبتي ، وابي محمد صالح الآسفي .

ومن شيوخ التصوف الكبار لهذا العهد – ابو يعزى يلنثور وهو من طراز آخر ، وكان مثال الصوفي السني الكامل وهو من بادية بني صبيح من هسكورة ، او من اغمات ايلان ، نزل تاغية بجبل ايرخان من عمل مكناسة الزيتون ، واقام له مدرسة خاصة بهذه الجهة ، وكان المنتسبون يهرعون اليها من سائر انحاء المغرب والاندلس ، وممن تخرج من هذه المدرسة ابو مدين الغوث ، ويحدثنا عن قصة اتصاله بابي يعزى ، وخروجه من فاس الى البادية فيقول . (لما كنت بفاس بعد معرفتي بالشيخ ابي الحسن بن حرزم ، وملازمتي له ، سمعت الناس يتحدثون بكرامات ابي يعزى ، فذهبت اليه في جماعة ، فلما وصلنا جبل ايرخان ، ودخلنا على ابي يعزى – اقبل على القوم دوني) (✱) وقد توفى ابو يعزى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة 572 هـ وقد عمر طويلا حتى قيل انه ناف على المائة والثلاثين ، ومن هنا نعلمان ما ذكرهالدكتور من انه كان يقيم بفاس اواخر القرن السادس ، وان تابع فيه غيره – فانه لا يتفق مع ما ذكره المؤرخون المغاربة الذين عاصروا ابا يعزي وكتبوا عن حياته شبه مذكرات يومية (✱)

بقي ان نعرف ما هو السبب الحامل ليعقوب المنصور على استدعاء ابي مدين الى مراكش ؟ وما هي الصورة التي اشخص بها ؟ تضطرب الروايات في هذا الموضوع ، وينساق بعض المؤرخين لعواطفهم ، فيصورون قصة ابي مدين هذه ، وكأنها احدى قصص الف ليلة وليلة ؟ فهو بين يدي زبانية يعقوب المنصور ، يرسف في سلاسله واغلاله ، ومن ورائه تلاميذه ومريدوه ، وهم يبكون وينتحبون وكانه ثائر شق العصا ، او باع لطلخ يده بدماء .. او .. والرواية التي تبدو واضحة لا يشوبها غلو ولا تحيز ، وهي التي تذكر ان الخليفة يعقوب المنصور ، لما بلغه امر ابي مدين ببجاية ، والتفاف الناس حوله ، وتوارد الوفود عليه من كل بلد ، وتكرر الشكايات والوشايات به من ذوي الاغراض ، وما اكثرهم في كل زمن ومكان ، حتى لقد قال بعض الفقهاء ليعقوب المنصور ان هذا الرجل يخاف منه على دولتكم ، وان له لشبها بالامام المهدي ، وله اتباع كثيرون ، واصحابه في كل بلد واقليم .. تقول هذه الرواية بصيغة التمريض هكذا

✱ كنون ، النبوغ المغربي : ج 1 ص 133 .
✱ نفس المصدر ، وانظر وفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة ابن زهر .
✱ كنون ، النبوغ المغربي ج 1 .
✱ الصومعي مناقب ابي يعزى ورقة 39 .
✱ ابن الزيات ، التشوف ص 195–205 وانظر مناقب ابي يعزي للصومعي ودعامة اليقين في زعامة المتقين لابي العباس العزفي .

زعموا ان ذلك وقع في قلبه ، واهمه شانه ، فكتب اليه يستدعيه بواسطة قائد بجاية ، وقال له احمله حملا مكرما (✱)

وهناك رواية تبرىء ساحة المنصور من كل تهمة ازاء ابي مدين ، فقد ذكر ابو محمد الحضرمي في كتابه « روض الرياحين وحكايات الصالحين » : ان الخليفة يعقوب المنصور وجد في نفسه نزوعا عن الملك ، واعترته احوال اشبه باحوال المريدين ، فاختار ان ينزوي في قصره ، ويأخذ البيعة لولي عهده ، وقد اشارت عليه بعض حظياته ان يستشفي بالطبيب التقساني ، الشيخ الاكبر ابي مدين الغوث ، فكتب اليه . ان اطع الله ورسوله فيما امر به من طاعة اولياء امره .. واحضر لدي فقال ابو مدين سمعا وطاعة ، فلما وصل الشيخ ابو مدين الى تلمسان ، واحس بثقل المرض عليه ، قال لرسول السلطان . سلموا على صاحبكم وقولوا له : شفاؤك على يد ابي العباس (يعني السبتي) (✱) ومن هذا ما ذكره ابن خلكان وغيره من ان يعقوب المنصور تجرد في اخريات حياته وساح في الارض وهو مستخف ، حتى انتهى الى بلاد المشرق ومات هناك خاملا (✱) .

وهناك غير شاهد واحد على ان يعقوب المنصور ، كانت له روح صوفية ، واعتقاد كبير في شيوخ التصوف واهل الكرامات ، وكان كثير التعظيم لابي العباس السبتي ، وغيره من اولياء الله ، فكيف يقال . انه اضطهد الصوفية ، وامتحن ارباب الزوايا ، وكان يحملهم اليه للمحاكمة في السلاسل والاغلال .

4) وكما قلت سابقا ، فان الحياة الاولى لابي الحسن الشاذلي ، لا تزال غامضة ، لم يرفع عنها الستار بعد ، ولهذا نرى الذين كتبوا عنه في هذه الفترة من حياته يتعثرون في كل شيء ، وحتى في الاشياء البسيطة ، التي ربما يحتاج الى الوقوف معها طويلا ، مثلا تذكر بعض المصادر ان ابا الحسن انتقل من غمارة الى بني زرويل بالاخماس على بعد نحو 70 كلم ، فيذهب المؤرخون في هذه الرحلة مذاهب شتى ، ويخلقون لها الاسباب والعلل ، ويبنون – كما يقال – قبة من حبة ، فمنهم من يرى ان انتقاله كان لطلب المزيد في العلم والمعارف ، وانه لم يول وجهه شطر سبتة او مراكش او فاس ، ابتعادا عن حركة التزمت والجمود) (✱) فيذهب بهم الوهم الى ان يتخيلوا زرويلة ، احدى القرى المغربية العادية – وكانها مازونة في عهد ازدهارها – ومنهم من ذهب الى ابعد من هذا ، فاعتقد ان زرويلة احدى المراكز الهامة بتونس ، واعتبر هذه الرحلة التي رحلها ابو الحسن، وهو في طور الصبى لا يتجاوز سنه التاسعة من عمره – هي الرحلة الاولى لابي الحسن الى تونس ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور : (ورحل ابو الحسن الشاذلي من قريته غمارة الى تونس حوالي 602 ، وهو بعد حدث صغير السن في نحو العاشرة من عمره ، وبدأ هناك يتلقى على علمائها الفقه على مذهب مالك ..) ولا ادري كيف يفهم هؤلاء الرواية التي تذكر عن ابي الحسن الشاذلي وهو يتحدث عن رحلته الى تونس(دخلت تونس وانا شاب صغير،فوجدت فيها مجاعة شديدة .. فاعطيته (الخباز) برنسي وكرزيتي) ولعلهم يعتقدون ان الشباب يبتدىء الانسان من التاسعة من عمره ، وان الاحداث في المغرب يولدون شيوخا ، ويلبسون البرانس ويضعون على رؤوسهم الكرازي) .

والرواية الصحيحة المتصلة بالاسناد – كما يقولون – هي التي تذكر ان انتقال ابي الحسن من غمارة في هذا السن المبكر ، كان لاسباب قاهرة فوق ارادته ، فقد توفي والده ، وهو بعد صبي صغير وكأنه تركه بدون كافل ، فاضطرت امه الى الانتقال به الى بني زرويل ، وعلى وجه الضبط الى قرية (اشنواغن) بقبيلة الاخماس المجاورة لغمارة ، وتبعد عن شفشاون بنحو 15 كلم ، وكان انتقال امه الى هذا المكان يقول الراوي . اما لان اهلها واصلها من هناك ، واما لانها تزوجت الى تلك القبيلة بعد ان ترملت) (✱) ، وهكذا شاءت الاقدار ان يذوق ابو الحسن الصبي مرارة اليتم بموت والده ، ويتحمل آلام الفرقة بهجرته عن مسقط رأسه ، فينتقل مع امه الى دار اخواله او بيت زوج والدته ، وكلاهما غريب عنه ، وقد مر في طريقه بجبل تيزيران ، حيث مغاور الاولياء ، ومعابد النساك الاصفياء ، وكان يرى من بعيد ذلك الجبل الاشم ، جبل العلم حيث مغارة القطب الانور ابن مشيش ، ومن هناك صاحب الصبي سر ، ووقر في قلبه نور ، واصبحت نفسه تحدثه باشياء واشياء .. وربما لو حدث بها الناس لقيل عنه انه مجنون او في عقله خبل ، ولكنه سر ومعرفة ، ولابد

✱ احمد بابا نيل الابتهاج ص 129 ، ابو العباس الصومعي مناقب ابي يعزي ورقة 38 .
✱ ابو العباس الصومعي ، مناقب ابي يعزي ورقة 39 .
✱ ابن خلكان وفيات الاعيان ج 6 ص 9 .
✱ انظر كتاب : ابو الحسن الشاذلي – للشيخ علي سالم عمار ، ج 1 ص 50 .
✱ الطاهر الجريري ، بهجة ايضاح الكلام ، في مناقب ج عبد الله ورقة 40 .

ان يبحث عمن يكشف له عن هذا السر ، ويشرح له تلك الهواجس التي تتوارد على قلبه ، ويكاد يضيق لها صدره ، اذن لابد ان يرحل الى فاس موطن العلم والمعرفة ، ولابد ان يزور شيخ الصوفية وارث سر ابي مدين الغوث ، ابا عبد الله بن حرازم ، فهو الذي يدله على الطريق ، وهو وحده الذي يأخذ بيده .

5) ثم هناك من المؤرخين من خلط ، فلم يفرق بين الشيوخ الذين اخذ عنهم ابو الحسن وهم بالمغرب ، وبين الآخرين الذين لقيهم واخذ عنهم بتونس ، حتى لقد ادمجوا بعض الشيوخ المغاربة في علماء تونس ، وربما لم يروا قط تونس في حياتهم ، كابي عبد الله بن حرازم الفاسي ، (ت 633) وابي محمد صالح الآسفي (ت 631) (*) ومن هذا القبيل ما يذكره الدكتور في رحلة ابي الحسن الاولى الى تونس ، قال : (لم يكن غريبا ان يتجه الشاذلي بوجهه عن مدن المغرب الاقصى الكبيرة ويرحل الى تونس ليستكمل علومه بها ، وفيها على ذلك الوقت كان يقيم عدد كبير من اعلام التصوف امثال الشيخ محمد صالح (كذا) بن ينصار .. وزاد يقول : وفي تونس قضى ابو الحسن سنوات الصبى والشباب الاول تتلمذ فيها على كبار علمائها وشيوخها ، ومتصوفيها ، فبدأ بابي عبد الله بن حرازم ..) وهنا نورد ما ذكره الشيخ علي سالم عمار نقلا عن بعض المؤرخين المغاربة ج 1 ص 61 — قال وهو يتحدث عن شيوخ ابي الحسن الشاذلي : (ابو محمد بن حرازم — احد شيوخ المغرب والاندلس المعدودين ، ادرك ابا مدين ، واخذ عنه وانتفع به كما ادرك تلميذه ابا محمد صالح بن ينصار الدكالي الى ان يقول : وكان لابي عبد الله مقام كبير بالمغرب، توفي ودفن بالاحواز بضواحي فاس سنة 633 ويعرف هناك بسيدي حرازم السخونات) (*) .

6) اما دعوى ان الجو في تونس كان اصلح منه في المغرب الاقصى ، وحرية الفكر ، والدراسة مكفولة هناك الى حد ما — كما يذكر الدكتور في تعليقاته لرحلة ابي الحسن الى تونس — فانها لا تقوم على حجة صحيحة ، وبادنى مقارنة بين القطرين في هذا العهد ، تدرك ان لا مناسبة بينهما ، فالمغرب كان بالنسبة الى غيره من اقطار افريقيا بمنزلة الراس والقلب ، ففيه خليفة المسلمين ، واليه يرجع الامر كله في افريقيا والاندلس ، وكان المغرب لهذا العهد ، يعج بكثير من العلماء ورجال الفكر ، وخصوصا شيوخ التصوف على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم .. وقد رحل اليه اكثر علماء الاندلس من فقهاء ومحدثين ، وادباء واطباء وفلاسفة وحكماء .. امثال ابن رشد وابن طفيل وابن زهر وابن عربي الحاتمي وابن سعيد ، ومن اليهم ، وكانت فاس — كما يقول المراكشي في المعجب ص 353 قد اجتمع فيها علم القيروان — وعلم قرطبة .. ورحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفقهاء من كل طبقة فرارا من الفتنة ، فنزل اكثرهم مدينة فاس ، وما زلت اسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب ، وبحق ما قالوا ذلك.. ومن المعلوم ان تونس كانت لهذا العهد تابعة للمغرب فكريا وسياسيا .. وكان الحفصيون ولاة تونس خاضعين لسلطة الموحدين ، وتحت نفوذهم ، وليس ادل على حرية الفكر بالمغرب في هذا العصر بالذات ، من ان ينبغ فيه ابن عربي الحاتمي ، وينشر كتابه الفتوحات المكية وغيره ، فلا يحرك الفقهاء ساكنا في سبيل الانكار عليه ، مع عظم الفرق بين محتويات الاحياء ، ومحتويات الفتوحات ، مما لا تقره القوانين الفقهية باجمعها ، وربما يتعارض مع جوهر العقيدة الاسلامية في كثير من المسائل (*) .

والتعليل الصحيح — في نظري — لرحلة ابي الحسن الشاذلي الى تونس ، لا يرجع الى صلاحية الاجواء الفكرية والسياسية ، او عدمها ، بل يرجع الى سر مكنون في نفسه ، يبحث عمن يكشف له هذا السر ، او يدله على الطريق الموصل اليه ، كما اومأنا الى ذلك سابقا ، فبسببه رحل الى تونس ، ثم الى المشرق ، ومن اجله رجع الى المغرب ، وهذا السر الذي لم يكن يعلمه احد ، اهو في الشرق ام في الغرب ؟ حتى دله عليه ابو الفتح الواسطي عليه ، وانه في المغرب ، وبجبل العلم بغمارة ، وهو ابن مشيش قطب الزمان ، فكان ابو الفتح الواسطي ابا الفتح حقا .

ويحدثنا ابو الحسن في رحلته الطويلة عن هذا الامر ، ويكاد يفصح عن هذا السر : (لما دخلت تونس في ابتداء

---

* انظر التشوف لابن الزيات ، والمنهاج الواضح في كرامات ابي محمد صالح .
* وقد اضطرب كلام المؤلف في ابي محمد صالح ، فسماه تارة ابا محمد صالح (على الوجه الصحيح) وذكر انه من تلاميذ ابي مدين ، ومرة اخرى سماه محمد صالح وجعله من شيوخ ابن مشيش .. انظر ج 1 ص 46 — 49 وقارن ذلك مع ص 61 .
* كنون ، النبوغ المغربي ج 1 ص 121 .

امري ، قصدت بها جملة من المشايخ ، وكان عندي شيء احب ان اطلع عليه ، ويبين لي منه خبر ، ودخلت العراق ، ولقيت جملة من المشايخ ، فلم ار احسن من الشيخ ابي الفتح الواسطي وكنت اطلب على القطب ، فقال لي اتطلب على القطب بالعراق ؟ وهو ببلادك بالمغرب) .

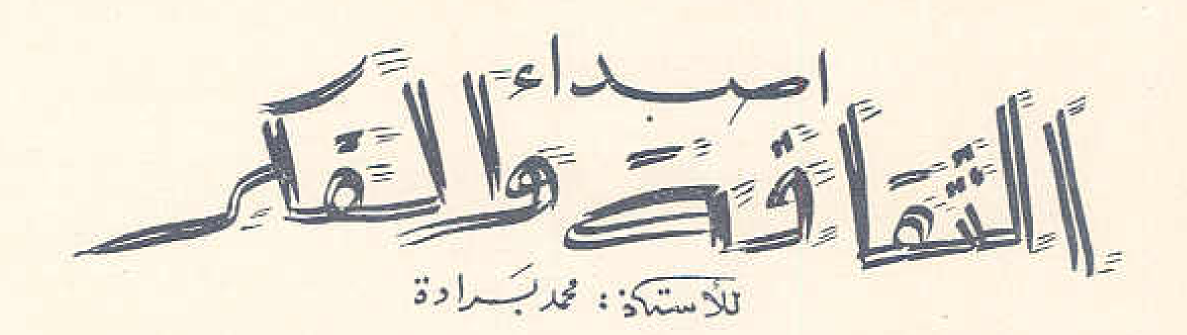
هذه بعض ملاحظات عنت لي ، وانا اقرأ القسم الاول من مقال ابي الحسن الشاذلي ، وبعبارة اوضح عن حياة ابي الحسن بالمغرب وارجو ان اكون انزت انتباه حضرة الكاتب الى بعض الجوانب التي ربما اغفلها ، او اقتضب الكلام فيها ، وكم يكون مشكورا لو تفضل ببيان المصادر التي استقى منها هذا البحث القيم ، لاننا نعلم انه انما تركها ، لانه كتب هذا الموضوع على شكل محاضرة ، قام بالقائها في مختلف مدن المغرب ، تنويرا للرأي العام .

وعذري الى الدكتور في تقديم هذه الملاحظات ، وربما كانت بسيطة ، وبسيطة جدا انه ان فاتني الاستماع الى هذه المحاضرة القيمة ، وحرمت من المشاركة في مناقشتها ، فانه لن يفوتني ان اناقشه فيها ، وقد تفضل بنشرها على اعمدة (مجلة دعوة الحق) الفيحاء .

وللدكتور شكري سلفا ، لو يتفضل بالجواب عنها ، والى اللقاء .

تطوان : سعيد أعراب





لقاء بين الواقعية الاشتراكية والرواية الجديدة

عند ما انعقد اول مؤتمر للكتاب السوفياتيين سنة 1934 ، هاجم مكسيم جوركي في تقريره ، المطلق الميتافزيقي ، والبعد عن الواقع ، والاقرار بالانهزام .. وجعل من انتاج دستوفسكي مثلا للسلبية ، وافراغ البطولة من دورها الاجتماعي . وكأن هذا الرفض لديستوفسكي يعلن في نفس الوقت القطيعة بين ادب ما بعد الثورة في روسيا ، وبين الادب الغربي .. ذلك ان دستوفسكي ظل يؤثر طيلة عشرات السنين على كبار الروائيين الاوربيين تاثيرا عميقا ، بشهادة اندريه جيد وفرانسوا مورياك ..

فالى اي حد استمرت هذه القطيعة ؟

سؤال يحتاج الى تتبع متان للتطورات التي مرت من خلالها تجارب الواقعية الاشتراكية ، ومدى تفتحها على الانتاج الخارجي ، وانعكاسات هذا الانتاج في ادبها، واضافاتها للتراث الروائي والشعري من خلال رؤيتها الايديولوجية .. ولكننا هنا نتجاوز كل هذه التفاصيل لنصل الى مناظرة ليننفراد التي نظمتها الجمعية الاوربية للكتاب ، والتي انعقدت يوم توقيع اتفاقية موسكو لايقاف التجارب النووية (5 غشت 1963) .

وفي هذه المناظرة التقى رواد الرواية الجديدة بطلائع كتاب الواقعية الاشتراكية .

والسؤال ، الآن هو — كما وضعه الناقد برنارد بانكو (*) هل أسفر هذا اللقاء عن معاهدة اخرى لوقف التجارب الروائية ؟

بعبارة اخرى ، هل طريق الرواية والفن عموما ، معبدة واضحة لا تدعو الى الاختلاف مثلما هو الحال بالنسبة لضرورة تحقيق السلام ؟

لا شك ان مثل هذا الاتفاق بعيد المنال ، نتيجة لطبيعة الخلق الفني وارتباطاته بالواقع الاجتماعي والحضاري لكل امة .. الا ان المناقشة بين طرفين متناقضين تكتسب اهمية بالغة ، وتساعد على توضيح نقط الاختلاف ، ومواضيع الالتقاء .. وذلك ما سيتبين لنا من خلال عرض آراء بعض المتناظرين ..

تحدث سيمنوف — من الاتحاد السوفياتي — فوصف الكاتب بانه ربان تتمثل كرامته في الاهتمام بالركاب وحسن قيادتهم . وكان هذا الوصف منطلقا لاعتراضات زعماء الرواية الجديدة . « رد آلان روب كريي » قائلا :

« الرواية ليست وسيلة للتنقل ، لان الربان يعلم الى اين هو ذاهب ، في حين ان الروائي لا يعلم . اننا لانكتب لتثبيت قيم معروفة مسبقا ، ولكننا نكتب لنكشف عن قيم جديدة .. ومسؤولية الكاتب تقع في مستوى هذا البحث .. انه مسؤول عن وسائل التعبير والاشكال التي يخترعها ، والعالم المتخيل المتولد عن هذه الاشكال . واذا كانت هذه الافتراضات صحيحة فان صحتها ستتبين فيما بعد ... »

ان جزء كبيرا من الاختلافات يرجع الى تباين المفاهيم في عقول المتناقشين ، فبينما يتحدث السوفياتيون عن الواقعية الاشتراكية فانهم ينطلقون

* « L'Express », du 22 août 1963

اساسا من ان « الواقع » واحد معـروف لا يحتاج الى تحديد ، فى حين ان اصحاب الرواية الجديدة يصرخون بان « واقع » اي شيء ليس بهذه البساطة . وهذا ما جعل الروائية الفرنسية « نتالي ساروت » تخصص حيزا كبيرا من عرضها لتوضيح مفهوم « الواقع » بالنسبة للروائي (*) ، قالت :

« يظهر لي ان هناك ــ بالنسبة للكاتب ــ نوعين من الحقيقة . هناك اولا الحقيقة التي يعيش فيها .. تلك التي يراها الجميع ويسهل ادراكها من النظرة الاولى .. حقيقة يمكن لاي كان أن يبصرها اذا ما وجد امامها . حقيقة معروفة ، تدخل فى النطاق الصحفي .. انها متصلة بمجال الوثائق والتحقيقات الصحفية . وهي لا تكون المجال الذي يخصه الروائي بجهده الخلاق . ان « الواقع » بالنسبة للروائي ، هو ما لم يعرف بعد . هو الذي ما يزال متسترا . ونتيجة لذلك لا يمكن التعبير عنه فى قوالب استعملت من قبل واصبحت معروفة . ان هذا الواقع يتطلب خلق انماط واشكال تعبيرية جديدة » .

طبعا هذه نغمة جديدة على الكتاب السوفياتيين الذين يؤمنون بان اللاعقلانية ، واللاشعور ، واللامرئي كلها لعب بورجوازية استحدثت للتسلية والتزييف . ولا يهتمون بمعرفة الانسان قدر انشغالهم بتغيير واقعه الاقتصادي والمجتمعي . ولكن هذا « التغيير » نفسه الا يتطلب اشكالا تعبيرية جديدة ؟ ذلك هو محور الصراع او « التحول » الموجود حاليا فى الاتحاد السوفياتي بين الكتاب المذهبيين الوثوقيين ، وطلائع الشيوعيين المتفتحين المتطلعين الى ايجاد ادب غير دعائي .. واجابة على هذا السؤال قال «تفاردوفسكي» مدير مجلة « نوفي مير » ومشجع الاتجاه الجديد : « لا يمكن للكاتب ان يخضع انتاجه لانماط جاهزة ، لان ما أكتبه انا وحدي قادر على خلقه .. وتولستوي نفسه لن يستطيع كتابته » .

ان هذا اللقاء بين الواقعية الاشتراكية والروائية الجديدة (او الادب غير الملتزم) لم يكن لينهي الخلاف ، لانه ــ كما فى التقرير التركيبي الذي القاه سارتر ــ خلاف مبدئي قائم على تباين فى البنايات المجتمعية . اذ يوجد بين الكاتب السوفياتي وجمهوره تواصل مستمر ، مما يجعل قيمة انتاجه تقاس بما يحدث ذلك الانتاج من صدى .. اما الكاتب البورجوازي فانه يجهل جمهوره ، ولا يعرف اين ، ومتى ، وكيف يصل اليه .. ولذلك فهو يكتب ــ قبل كل شيء ــ لنفسه ..

ولعل هذه الجذور العميقة للخلاف هي التي حدت بالرئيس خروتشوف الى ان يقول :

« فى الفن ، نحن ضد التعايش السلمي بين الاديولوجية الاشتراكية والاديولوجية البورجوازية . وسياستنا تعتمد على العداء الثابت للفن التجريدي والشكلي وكل تحريف بورجوازي » ... (*)

انه من الصعب ان نؤيد فريقا من المتناظرين ضد الآخرين ... لان الامر يرتبط بالظروف المجتمعية التي ينتمي اليها هؤلاء الكتاب .

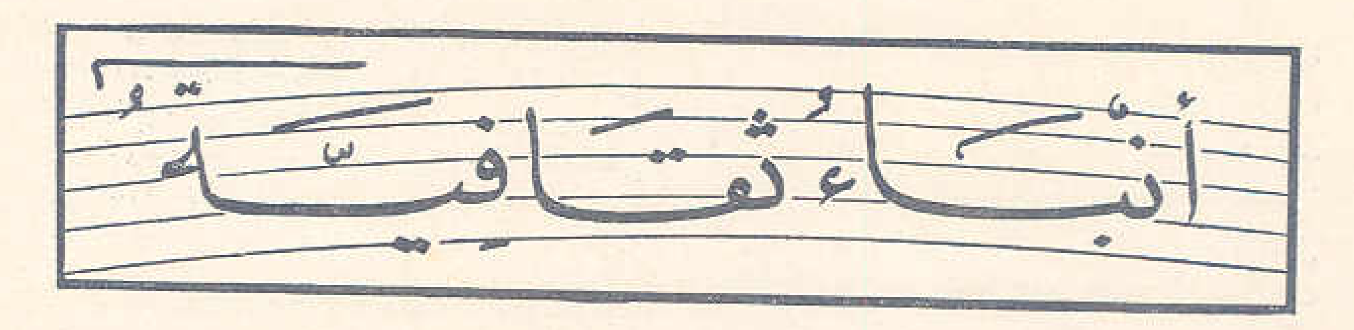
وهي تعكس ــ قبل كل شيء ــ فترات حضارية معينة فى تاريخ البشرية الباحثة عن الافضل . ولعل الوقت لم يحن بعد لاصطناع مقباس مطلق تقوم من خلاله النتاجات الفكرية والفنية .. ولكن الواضح من هذا اللقاء انه حدث عميق الدلالة ، لانه يسر الاتصال والاحتكاك ، وساعد على بلورة الاتجاهات وتوضيحها .. وعسى ان يكون بداية للقاءات اخرى تنمي خصوبة التراث الفني المعاصر ...

الرباط : محمد برادة

---

* Nathalie Sarraute : le romancier recherche une réalité inconnue (« Le Monde », 20 septembre 1963)

* Khrouchtchev et la culture : discours du 8 mars 1963 - Collection « Preuves », page 71.



* قامت لجنة اليونيسكو المتنقلة للميكروفيلم بتصوير ما يربو على 500 الف صفحة من المخطوطات والكتب النفيسة التي توجد فى الخزانة العامة ودار المحفوظات بالرباط . وقد سلمت نسخة من هذه الصور الى وزارة التربية المغربية واودعت الاخرى فى معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية بالقاهرة .

* زار وفد مغربي يضم ثمانية من مفتشي التعليم القاهرة لدراسة البرامج الدراسية فى العربية المتحدة

* زار المغرب اخيرا الكاتب المصري محمود الشرقاوي بقصد الاطلاع على المخطوطات الموجودة فى جامعة القرويين للاعتماد عليها فى كتابة مؤلفيه عن « ابن بطوطة » و « ابن جبير » وهما الموضوعان اللذان نال عليهما منحة التفرغ من وزارة الارشاد والثقافة فى مصر .

* فى منتصف شهر غشت الماضي بدات عمليات الحفر لاقامة الجناح المغربي فى أرض المعرض الدولي لعام 1964 — 1965 بمدينة نيويورك . وسيضم هذا الجناح الذي سيقام على مساحة 3 000 مترا مربعا مطعما ومسرحا ومعرضا للصناعة التقليدية المغربية .

* صدرت فى تونس ثلاث كتب مصورة عن المخطوطات والمعالم الحضارية التونسية وهي : « المكتبة الاثرية بالقيروان » لمؤلفه محمد البهلي النيال و « قرطاج » بقلم محمد فنترو « بين الآثار الاسلامية فى تونس » لمصطفى زبيس .

* تصدر دار الثقافة العربية بتونس سلسلة عن اعلام « المغرب العربي » تحتوي على دراسات عن مشاهير رجالات المغرب العربي فى القديم والحديث من شعراء وكتاب وزعماء وأبطال ومفكرين .

* يعكف الشاعر التونسي مصطفى خريف على طبع ديوانه فى تونس .

* « الطاهر الحداد : حياته ، تراثه » عنوان كتاب جديد صدر فى تونس لمؤلفيه محمد المرزوقي والجيلاني بالحاج يحيى .

* صدر عن دار الثقافة العربية بتونس كتاب « عصر القيروان » لمؤلفيه الاستاذين ابو القاسم كرو، وعبد الله شريط .

* صدر فى بيروت كتابان جديدان للقاص الليبي عبد الله القديري الكتاب الاول مجموعة مسرحيات قصيرة بعنوان « المعاناة من اجل شيء » والثاني مجموعة قصص ليبية بعنوان « العيد فى الارض » .

* عقد فى الشهر الماضي فى البرازافيل مؤتمر افريقي لحماية حقوق المؤلفين ، اشتركت فيه عشرون دولة افريقية تحت رعاية هيئة اليونيسكو . وقد قرر المؤتمر دعوة الحكومات الافريقية الى مطالبة الحكومات المعنية عن طريق المفاوضات الدولية لاسترجاع الاعمال الثقافية الافريقية الموجودة فى المتاحف والمؤسسات الثقافية خارج القارة الافريقية من مواد اثرية وتماثيل وروائع فنية .

* اجرى اتفاق بين الجزائر والجمهورية العربية المتحدة على انتداب مدرسين مصريين للعمل فى المعاهد الاسلامية الجزائرية .

* عثر على مئات من القطع الفنية الحائطية داخل اطلال الكنيسة القبطية القديمة التي تنتمي الى الاديرة القبطية فى القرن الثاني عشر الميلادي ، والتي كان قد اشار اليها عالم المصريات بجامعة اكسفورد الدكتور

فرنسيس ليلوين . وتوجد هذه الكنيسة الاثرية على الحدود المصرية السودانية .

* اعلن المجلس الاعلى للفنون بالقاهرة اسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية وهم : المهندس علي لبيب جبر بجائزة العمارة ، ومحمود تيمور بجائزة الاداب ، والدكتور احمد بدوي بجائزة العلوم .

اما الجوائز التشجيعية فقد فاز بها عن العمارة المهندسان مصطفى شوقي وصلاح زيتون ، وعن أدب الاطفال محمد سعيد العريان عن كتابه « رحلات سندباد » وعن المسرحية علي احمد باكثير عن مسرحيته « هارون وماروت » ، وعن التربية الدكاترة ابو الفتح رضوان ومحمد الهادي عفيفي وعبد الحميد السيد ومحمد احمد الغنام ، وعن التاريخ والآثار الدكتور أحمد دراج عن كتابه « المماليك والفرنج » والدكتور عبد العزيز صالح عن كتابه « حضارة مصر وآثارها » وعن القانون التجاري والمرافعات المدنية والتجارية الدكتور فتحي والي عن كتابه « التنفيذ الجبري في المواد المدنية والتجارية » .

* أعد السيد محمد علي غريب كتابا عن « تاريخ الصحافة العربية — ذكريات وأسرار وشخصيات » صدر مؤخرا بالقاهرة .

* « المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث » كتاب يصدر قريبا للدكتور لويس عوض .

* اقيم في هذا الشهر في القاهرة اسبوع للكتاب العربي حضره مجموعة من اصحاب دور النشر في البلاد العربية .

* أصدر الدكتور بدوي طبانة كتاب « التيارات المعاصرة في النقد الادبي » .

* صدر اخيرا كتاب « الاسلامية والمذاهب الادبية » للدكتور نجيب الكيلاني .

* أصدر الكاتب يوسف الشاروني ديوانا بعنوان « المساء الاخير » .

* يكتب الدكتور لويس عوض الجزء الثاني من كتابه « المؤثرات الاجنبية في الادب العربي » وسيصدر قريبا .

* يقوم الشاعر ابراهيم شعراوي بكتابة ملحمة شعرية عن بلاد النوبة ، وهي البلاد التي ستغمرها مياه السد العالي ، والملحمة تحكي تاريخ هذه البلاد منذ عصور الفراعنة حتى اليوم .

* صدرت في القاهرة الترجمة العربية الكاملة لمسرحية برنارد شو « حيرة طبيب » قام بهذه الترجمة الدكتور عمر مكاوي وراجعها علي ادهم .

* صدرت المجموعة الاولى من قصص الفائزين في مسابقة نادي القصة بالقاهرة ، والمجموعة مؤلفة من 22 قصة فازت في مسابقة عام 1956 و 1957 وتصدر بعنوان « أدب الطليعة » .

* اختير الدكتور محمد ضياء الدين الريس استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم بالقاهرة الاشراف على كتابة تاريخ اليمن وجمع الوثائق والمخطوطات المتناثرة في مكتبات العالم عن اليمن .

* تكونت جمعية ادبية في مصر اطلق عليها اسم جمعية مؤلفي الدراما ، ويراس هذه الجمعية محمود تيمور ، ووكيلها يوسف السباعي ، وسكرتيرها العام سعيد العريان ، ويبلغ عدد أعضاء مجلس الادارة ثلاثة عشر اديبا .

* اصدر الشاعر احمد محرم ديوانا بعنوان « مجد الاسلام او الالياذة الاسلامية » .

* أحرز الشاعر محمد احمد العزب على جائزة الشعر الاولى للمجلس الاعلى للفنون بالقاهرة عن قصيدته « مذكرات نشال يسرق شاعرا » .

* قام الاستاذ عبد السلام هارون بتحقيق كتاب «شرح المعلقات» لابن الانباري وكتاب أمالي الزجاجي» وصدرا مؤخرا في القاهرة .

※ صدرت في القاهرة الكتب الآتية :

« جراح » قصة طويلة لرضا الجمل « الاصمعي » للدكتور احمد كمال زكي ، « القاموس الاسلامي » لأحمد عطية الله ، « التفرقة العنصرية في افريقيا » للدكتور فؤاد محمد الصقار ، « تطور الملكية الفردية » لأحمد محمد غنيم ، « سكان الكواكب » للدكتور امام ابراهيم احمد ، « تطور المجتمع اليوغسلافي » لفوزي عبد الحميد ، « صور قومية » للعقيد يحيى زكي صالح ، « الشرق العربي بين حربين » للدكتور حسين فوزي النجار ، « يوميات محامي مصري » لمحمود كامل المحامي ، « دفاع عن الادب » لجورج ديهاميل ، ترجمة الدكتور محمد مندور ، « اقاصيص من الادب الصيني القديم » ترجمة محمد حلمي محمود ، « الجامعة والمجتمع الجديد » للدكتور لويس عوض ، « مجموعة دراسات فقهية مقارنة » لاحمد فتحي بهنسي ، « العرب والثار » للدكتور ابراهيم احمد العدوي ، « الامة العربية ورسالتها » لمحمود الشرقاوي ، « العبقرية العسكرية في غزوات الرسول » للعقيد محمد فرج ، « فيشته وغاية الانسان » ترجمة الدكتوره فوقية حسين محمود ، « تاريخ الوجودية في الفكر البشري » لمحمد سعيد العشماوي ، « التربية والتغير الثقافي » لمحمد الهادي عفيفي ، « في السجاد اليدوي » لاحمد فؤاد نور الدين ومصطفى محمد حسين ، « ايطاليا وشعبها وارضها » ترجمة الدكتور محمد نظيف ، « الندم » لانور حجازي .

※ احتفل في الجمهورية العربية المتحدة بمهرجان التليفزيون في قصر المنتزه بالاسكندرية بحضور 38 دولة و 11 نجما من مشاهير التليفزيونيين في العالم .

※ اصدرت دار الفن الحديث العالمي بدمشق في سلسلة منشوراتها كتابها الثالث عشر عن « عنترة » وهو مسرحية كان قد نظمها شعرا باللغة الفرنسية الكاتب اللبناني شكري غانم عام 1898 .

※ « دراسات في العقائد » اسم كتاب جديد يعكف على تاليفه الاديب السوري احمد الشيباني ، يتضمن دراسة تحليلية علمية عن الراسمالية والاشتراكية والشيوعية والصهيونية .

※ نظم في لبنان في هذا الشهر مهرجان السينما الدولي ، اشترك فيه عدة اقطار غربية وشرقية .

※ هذه الكتب صدرت اخيرا في لبنان : « الابطال » للفيلسوف توماس كارليل بترجمة محمد السباعي « ابن الشعب » لرفائيل ساباتيني « مشاهير رجال العلم » لبولتون ، ترجمة الدكتور وصفي حجاب « اشهر ملكات التاريخ » لليديا هويت فارمر و « انباء السندباد » لألان فاليارس .

※ اصدرت دار العلم للملايين الترجمة العربية لرواية « الصخب والعنف » لوليام فولكنر ، قام بالترجمة الاديب الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا .

※ صدرت في بيروت رواية بعنوان «بريق عينيك» مؤلفة هذه الرواية فتاة اسمها سمير لم تذكر اسمها كاملا ، وانما اكتفت بان قالت عن نفسها بانها « بنت الجزيرة العربية ؟ » .

※ قررت الحكومة اللبنانية المساهمة في تجديد مكتبة الجزائر ، وقد عهد الى وزارة التربية بتزويد هذه المكتبة من الكتب اللبنانية الحديثة .

※ يصدر قريبا في بيروت لادوار امين البستاني كتاب « كهوف وثنية » يتناول بالدرس بعض النظريات الادبية المعاصرة بالتحليل والنقد .

※ منحت في بيروت جائزة سعيد عقل الشهرية عن شهر يونيو للدكتوره جمال كرم حرفوش لابحاثها حول التغذية عن سن الفطام ومعالجتها موضوع تغذية الطفل .

※ اصدرت اليونسكو في بيروت ضمن السلسلة العربية من مجموعة الروائع الانسانية ترجمة انجليزية لكتاب « فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال) لابن رشد ، وقد قام بهذه الترجمة ف الحوراني .

※ « على دروب الخريف » مجموعة شعرية صدرت مؤخرا في بيروت للشاعر الياس لحود .

❋ احتفل في بيروت بالذكرى الثامنة لوفاة الشاعر اللبناني صلاح لبكي .

❋ « المصارف » مجلة مصرفية جديدة صدرت في منتصف الصيف المنصرم في لبنان .

❋ يجري استعداد حكومي في لبنان لاقامة تماثيل لكبار الادباء اللبنانيين الراحلين ، كما ستجري اعادة طبع مؤلفاتهم طبعا متقنا .

❋ قام الاستاذ شفيق الأرناؤوط بترجمة كتاب « العالم في مفهوم برتراندرسل » .

❋ سيصدر لمحمد احمد نعمان كتاب « من وراء الاسوار » مشتملا على مناقشات سياسية .

❋ سيصدر انعام الجندي مجلة دورية في بيروت تحت عنوان « دراسات عربية » .

❋ سيظهر في المكتبات اللبنانية قريبا ديوان الشيخ امين تقي الدين بمقدمة الشاعر امين نخلة .

ولم يسبق لهذا الديوان ان طبع في حياة مؤلفه

❋ يقوم الدكتور رئيف ابو اللمع بوضع كتاب بالعربية يضم افضل مائة خطبة قيلت في تاريخ البشرية منذ فجر التاريخ الى اليوم .

❋ يطبع في بيروت كتاب جديد لحسيب عبد الساتر يضم مختارات من مقالاته الادبية باسم «مواسم»

❋ دشنت في زحلة بلبنان اكاديمية ميكيل انجلو للفنون الجميلة .

❋ ستنتدب مجموعة من الاساتذة اللبنانيين للعمل في مدارس السينغال بموجب اتفاق ثقافي تم بين الدولتين .

❋ اتفقت مكتبة النهضة في بغداد ، ودار الكتاب العربي في بيروت على نشر سلسلة من المؤلفات وستستهلها بكتاب « دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء » للشيخ محمد رسول الكركولي . وقد نقله عن التركية محمد فورسي وهو يؤرخ احداث حقبة مجهولة من تاريخ العراق وعلاقاتها بالدول العثمانية والدول المجاورة لها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

❋ صدر في بغداد « ديوان الاخرس » شاعر العراق في القرن التاسع عشر ، قام بتحقيقه الشاعر يوسف عز الدين .

❋ عقد في اواخر الشهر الماضي ببغداد مؤتمر السياحة العربي درس مشكلات السياحة في العالم العربي .

❋ صدرت في بغداد مجلة بعنوان «اليوم ـ وغدا»

❋ يصدر قريبا في بغداد كتاب جديد باسم « عينان بلا لون » .

❋ يجري استعداد في العراق لانشاء معهد لغوي ببغداد .

❋ ستصدر رابطة العالم الاسلامي بمكة مجلة اسلامية تسعى لتمتين الروابط بين اقطار العالم الاسلامي .

❋ صدرت في السعودية قصة طويلة بعنوان « المراة الخروف » لمؤلفها ياسين طه .

❋ ستصدر في جدة مجلة نسوية تعنى بشؤون المرأة .

❋ ستقام في برلين الغربية خلال العام المقبل احدث بناية لعرض الاعمال الفنية الالمانية ، وسيطلق عليها اسم « متحف القرن العشرين » .

❋ نعت موسكو فنانها الكبير فيساريون شيبالين

❋ بعد رئيس الجمهورية اللبنانية السابق الفريد نقاش ديوانا باللغة الفرنسية للطبع في باريس .

❋ فاز روبير بينجيه من رواد القصة الجديدة في فرنسا بجائزة النقاد عن قصته « التحقيق » .

※ خلال هذا الشهر عقد نادي القلم الدولي اجتماعه في فرنسا لبحث موضوع الترجمة والمسرحية

※ صدر في فرنسا كتاب عن الفنان الكبير جورج روو الذي توفى في فبراير 1958 .

※ صدرت في فرنسا عدة دراسات عن الفنان الفرنسي ديلاكروا بمناسبة الاحتفال بذكراه المئوية .

※ قدم مسرح في لندن تمثيلية باللغة الانجليزية ارفقت بتلاوة ترجمتها الى اللغة العربية . وتولى قراءة الترجمة العربية موظفون من هيأة الاذاعة البريطانية . ونقلت الترجمة الى المتفرجين في قاعة المسرح بواسطة سماعات .

※ « كل شيء عن كليوباترا » كتاب صدر باللغة الانجليزية للكاتبة الامريكية اليانورا هرزي بلو .

※ عقد في لندن المؤتمر الدولي لجامعات دول الكومنولث لبحث مشاكل الجامعات الناشئة .

※ يستعد الاديب المهجري نظير زيتون لطبع كتابه عن « ادب المهجر » .

※ تم اكتشاف مقتطفات من ملهاة يونانية للشاعر الاغريقي ميناندر على مومياء مصرية ترجع الى 2 000 سنة .

※ « انفاس السحر » اول ديوان صدر للشاعرة عاتكة الخزرجي الاستاذة في كلية التربية بجامعة بغداد

※ بدا العمل في اضخم دار للكتب في الشرق الاوسط بالقاهرة . سيكون في هذه الدار قاعات للاطلاع للاطفال والشباب والمكفوفين ، واخرى للاستماع وعرض الافلام .

※ عثرت بعثة الآثار بمحافظة كفر الشيخ في الجمهورية العربية المتحدة على مجاميع كبيرة من العملات اليونانية والرومانية والاواني الفخارية .

※ حصل الاديب الجزائري كاتب ياسين على جائزة جان عمروش التي يقدمها اتحاد ثقافة البحر المتوسط الى من يسهم في تحقيق السلام بين الشعوب

※ صدر في القاهرة الجزء الثاني من رواية « الضحية » تاليف عبد المنعم الصاوي بعنوان : « الرحيل » والجزء الاول صدر في العام الماضي بعنوان « الساقية » .

※ تقدم الجمعية الادبية المصرية بطبع كتاب جديد للدكتور شكري عياد « الارجنتين سابقا » مشتملا على دراسات عن شعراء المهجر العربي في الارجنتين .

※ « التفسير النفسي للادب » كتاب جديد للدكتور عز الدين اسماعيل ، صدر مؤخرا عن دار المعارف .

※ الرسائل الشخصية التي كتبها استاذ الجيل المرحوم احمد لطفي السيد الى تلاميذه واصدقائه تصدر في كتاب بعنوان : « رسائل استاذ الجيل » .

※ كتب الروائي المصري عبد الرحمن الشرقاوي رواية جديدة بعنوان « طريق بلا نهاية » .

※ يترجم في موسكو كتاب « اولاد حارتنا » الى الروسية لصاحبها نجيب محفوظ .

※ آخر مؤلفات الشاعر اللبناني فوزي خليل عطوى ديوان شعر بعنوان « بغداد والثوار » .

※ صدرت للاديب العراقي في القاهرة محيي الدين اسماعيل مجموعة من الدراسات الادبية والفكرية بعنوان « رحلة لاقصى الفجر » بمقدمة الاستاذ ابراهيم المصري .

※ عثرت بعثة جامعة شيكاغو الأثرية التي تنقب عن الآثار في منطقة قسطل ببلاد النوبة على 220 مقبرة أثرية تعود الى عهود تاريخية مختلفة .

※ ستنشأ كلية للتربية بجامعة الأزهر . ستصبح هذه الكلية مختصة بتأهيل خريجي كليات الجامعة الازهرية تربويا ، فضلا عن الاعداد للدراسات العليا .

※ « مختارات من الشعر العربي الحديث — من البارودي الى الحرب العالمية الاولى » كتاب انتهى

من ترجمته جان موسكا تيللى وفيكتور صهيون وسيقوم باصداره المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهـــرة .

* اعتمد مبلغ 9 ملايين جنيه لانشاء المباني الجديدة لكليات جامعة الازهر وادارة الجامعة .

* انتهى عبد الحميد جودة السحار من كتابة قصة « انسهول البيض » وتدور حوادثها فى بور سعيد

* خصصت حكومة الجمهورية العربية المتحدة حوالي 2 فى المائة من مدخولها القومي للابحاث العلمية

* يصدر مجلس الاداب بالقاهرة كتابا يشتمل على مجموعة من الشعر الافريقي . ومعظمه من الشعر الثوري الذى كتبه شعراء افريقيون عن حرية بلادهم واستقلالهـــا .

* قررت الجمهورية العربية المتحدة انشاء ثلاثة مكاتب ثقافية فى الجزائر والفلبين وتنجانقا . وقـــد ابتدا العمل فيها فى مطلع هذا الموسم الدراسي .

* ستدرس اللغة العربية فى المدارس الحكومية فى الـسنغال ابتداء من هذا العام الدراسي ، كما تقـرر ايضا انشاء معهد للتربية لتخريج مدرسين يلحق بمعهد الدراسات الاسلامية فى جامعة داكار .

* يقدم الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور حسن سعفان باعداد دراسة عن « الحركة الفلسفية والاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة » .

* تصدر منظمة اليونيسكو فى القاهرة مجموعة قصص ليبية عنواها « الجـراد » من تاليـف احمـد ابراهيم الفقيه وبمقدمة الدكتور عبد الحميد يونس .

* اقيم معرض فى باريس للادباء اللبنانيين يضم اعمال جورج شحادة ، وليلى البعلبكي ، واندري شديد، وفرج الله حايك ، وفؤاد نفاع .



فهرس العدد الاول من السنة السابعة

دراسات اسلامية :

ابحاث ومقالات :

القصة :

ديوان دعوة الحق :

معرض الكتب :

مناقشات :